جمعية معهد تضامن النساء الأردني
Solidarity Is Global Institute-JO

"نساء من ذهب"

إعـــداد

الأستاذة/ إنعام العشا

المديرة التنفيذية ومستشارة الجمعية

تدقيق وتحرير

الإعلامية/ عطاف الروضان

في إطار مشروع - مسارات آمنة

سياسات لمناهضة العنف في بيئة وعالم العمل الذي تنفذه

تضامن بدعم من الصندوق الأفريقي لتنمية المرأة

2024

تصميم وتنسيق: هناء رمضان

مسؤولة إدارة الإعلام والاتصال – تضامن

AFRICAN WOMEN'S DEVELOPMENT FUND

الفهرس

المحتوى	الصفحة
كلمة تقديمية – أستاذة إنعام العشا المديرة التنفيذية ومستشارة الجمعية	3
ملخص باللغة العربية	8-4
ملخص باللغة الإنجليزية	14-9
محطات حياة عدد من النساء الرياديات القياديات الأردنيات ضمن مجالات متعددة الترتيب أبجديًا	15
1. إحسان بركات "بوصلة لا تشير إلى العدالة مشبوهة "	21-16
2. أدب السعود " أحلام تحققت وأحلام قيد الانتظار "	28-22
3. إسراء الطوالبة "الحياة في مواجهة الموت "	33-29
4. آسيا ياغي " حكاية انسان "	37-34
5. أمل الداغستاني "الألماس لا يعكس الحقيقة "	41-38
6. إنعام خلف " لا تفريط ولا افراط / تميز وجدارة "	46-42
7. تغريد حكمت " أمرأة وحلم "	51-47
8. جميلة شتيوي " امرأة من ذهب "	58-52
9. سامية الجبور " البادية تتحدى "	63-59
10.سلمى الشرفات "الاسم المستعار"	68-54
11.عايدة دعيسات " الخيارات الصعبة "	77-69
12.عبلة أبو علبة "من الحزبية إلى البرلمان"	83-78
13.فداء الحمود "أكون أو لا أكون / تحدي الذات"	89-84
14.فريال الجهران " ثقافة ليست صديقة ولكن ..... "	93-90
15.ميسر السعدي " رحلتي ما بين التهجير القسري والتطوع "	98-94
16.نانسي أبو حيانة "مكتبة على شكل انثى جميلة "	103-99
17.نهى المعايطة " طفولة مقدسية "	109-104
18.هالة حماد "قلب بحجم الكون"	112-110
19.هناء الأفغاني " كسر المألوف "	118-113
20.هيفاء البشير " قلب من ذهب "	125-119

كلمة تقديمية

"نساء من ذهب"

بداية أنا أعرف ومتيقنة تمامًا أن هذا الكتيب الصغير لن يوفي لهذه الثلة من الرياديات الأردنيات حقهن وتقييمهن كما يستحققن، وكما يجب ,انها مجرد محاولة متواضعة لرصد بعض المحطات من سيرتهن الحياتية وعطائهن سواء في الحيز الخاص او الحيز العام .

لذلك هو لا يؤرخ لهؤلاء المناضلات سيرة حياتهنّ، أو يعكس حجم الثراء والغنى التي تزخر بها قصصهنّ وحكاياتهن الذاتية والعلمية والمليئة بالعبر والنجاحات، كما هي مليئة كذلك بالتحديات و الصعوبات اللاتي واجهنها بكل قوة واقتدار.. "انهنّ بطلات" وهكذا تكون النساء الحقيقيات.

أيضا هنّ ربما لا يمثلن كل القطاعات وكل الشرائح.. ومن باب الإنصاف للمرأة الأردنية أن تؤكد أن هناك الكثيرات من المبدعات والرياديات والقياديات في مجالات شتى لم يحالفنا الحظ بالوصول اليهن لقصور منا وليس منهن، ولأن الكثيرات منهن معروفات على الصعيد الدولي والإقليمي والمحلي كقياديات صنعن التغيير في محيطهن ومجتمعهن وبتن رمزا يحتذى بها ونتطلع دوما لمزيد من العطاء منهن لأنهن بالفعل قادرات على إحداث الأثر وصناعة التغيير كل في محيطها ومجال تخصصها .

أسميتهنّ ((نساء من ذهب)) تيمنا بهذا المعدن الثمين اللامع الذي نحرص على اقتنائه والاحتفاظ به كطوق نجاة ونحتمي به من العوز والفقر والحاجة ومن ناحية أخرى نتجمل به ونبرز به محاسننا وهكذا نحن نفعل حين سعينا لمقابلة هذه الباقة الجميلة من النساء الأردنيات.

عندما سعيت لمقابلة كل منهن، اعترف بأنهن أكسبنني معرفة وعلمنني مهارة وأضأن لي طُرقًا لم تخطر على بالي، وخلال بعض تلك المقابلات تمنيت لو عاد بي الزمن للوراء بضع سنوات لتكن تجربتهن مشعلا وبوصلة تنير لي الدروب التي تتشابه أحيانًا كما تتشابه الكلمات.

كل الشكر والتقدير لكنّ أيتها الرائعات.. المعطيات.. المميزات.. .. شكرا على المشاعل التي أضاءت بها الدروب لتكون معبراً آمناً لنا جميعاً.. كل الاحترام.

إنعام العشا – المديرة التنفيذية ومستشارة الجمعية

الملخص

بداية هناك مجموعة من النقاط والمحاور التي تقف خلف إعداد هذا الكتاب بعنوان: "نســاء من ذهب" الذي قام برصد وتوثيق محطات من حياة عدد من النساء الرياديات القياديات الأردنيات ضمن مجالات واختصاصات متنوعة، لذلك تعتبر جمعية تضامن أن إنجاز هذا العمل في سياق "مشروع سياسات لمناهضة العنف في بيئة وعالم العمل" بدعم من الصندوق الأفريقي لتنمية المرأة AWDF، والذي يهدف إلى التصدي للعنف في بيئة العمل من خلال تعزيز دور منظمات المجتمع المدني وتحسين الإطار القانوني والهيكلي والسياسات الخاصة بظروف مشاركة النساء في سوق العمل،هو إضافة نوعية لموارد وأدبيات وأبحاث ودراسات ووثائق جمعية معهد تضامن النساء الأردني، والتي سيتم توظيفها في مجالات مختلفة نظرًا لطبيعة الأهداف والغايات التي دفعت تضامن للبدء بالحلقة الأولى من "حفظ الذاكرة النسوية الأردنية".

إن فكرة رصد وتوثيق قصص النجاح الغنية الزاخرة بالعِبر والدروس المُستفادة والتجارب الإنسانية لعدد من الرياديات القياديات الأردنيات جاءت في إطار تحقيق عدد من الأهداف والغايات وبشكل أساسي:

الهدف الأول والمتمثل بـِ:

ـ تكريم هؤلاء السيدات وتسليط الضوء على تجاربهن الإنسانية وخبراتهن خلال حياتهن ولنقل لهنّ "شكرًا"، ونحن ممتنات لكنّ لأنكنّ بجهودكنّ ومثابرتكنّ وصبركنّ ونجاحاتكنّ أضأتن عتمة الطريق، وخلقتنّ آفاقًا لأحلام يُمكن العبور إليها وتحقيقها لمن يليكن من النساء والفتيات على امتداد الحلم وآفاقه، خصوصًا وأن العادة درجت في بلادنا أن يتم تكريم الأغلب منّا خلال "حفل التأبين"، ونحن نفضل وبأمس الحاجة لمن يرى إنجازاتنا كنساء ورياديات وقياديات ومبدعات وأمهات "خلال حياتنا وليس بعد مماتنا" لذلك؛ نحن في إطار هذا الرصد والتعميم لتجاربهن نُرسخ ونُضيء على نجاحاتهن ونستفيد منها كدروس مُستفادة وقصص نجاح يُحتذى بها، لذلك "شكرًا" من القلب للقلب وننحني احترامًا لجهودهن وإنجازاتهن.

الهدف الثاني والمُتمثل بـِ:

– حيث أن تلك الحيوات زاخرة بالعبر والمعاني والدروس المُستفادة كقصص نجاح، فقد تُشكل منهجًا للبعض وبوصلة تُرشد البعض الآخر وشمعة تُضيء عتمة الطريق في حياة امرأة ما أو فتاة تخطو خطواتها الأولى في الحياة العملية أو الأسرية، وذلك من خلال الاسترشاد بأنموذج ما من تلك الخبرات والتجارب العملية الواقعية والتي قد تُشبهنا في كثير من الأوجه والظروف. بالإضافة إلى أن تلك القصص والتجارب الإنسانية الواقعية ستكون جزءً أساسيًا من أدبيات وأدلة وأبحاث ودراسات جمعية معهد تضامن النساء الأردني، وبالتالي تُعتبر جزءً من عملية بناء المعرفة والمهارات وتطوير القدرات والتي سيتم استخدامها وتوظيفها خلال برامج التوعية والتثقيف المجتمعي وللمجتمع النسوي بشكل خاص.

علمًا بأن جمعية تضامن تلعب دورًا بناءً ومحوريًا في عملية بناء القدرات للعديد من الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني وشركائنا في مختلف الأقاليم على امتداد الجغرافيا الأردنية، بالإضافة طبعًا لقطاع الشباب والشابات واليافعين واليافعات من طلبة المدارس الثانوية والجامعات والذي يُعتبر أحد القطاعات التي تستهدفها جمعية معهد تضامن النساء الأردني.

آلية ومعايير الاختيار للمجموعة الأولى من الرياديات الأردنيات:

فيما يتعلق بمعايير الاختيار التي اعتمدتها جمعية معهد تضامن النساء الأردني في اختيار هذه الكوكبة من الرياديات الأردنيات في مجالات متعددة، جاءت ضمن نهج اعتمد التنوع في الاختصاصات/ مجالات العمل/ الخبرات/ الفئات العمرية/ والجغرافيا بحيث شملت؛ "المدن، القرى، المخيمات، والبوادي".

مع تأكيدنا على أنها عينة لم تشمل وربما لن تكون عادلة من حيث الشمول الأوسع والعادل، نظرًا لأن هناك عشرات بل مئات وآلاف من النماذج النسوية الرائدة والمؤثرة والقيادية على امتداد الجغرافيا الأردنية، ولم يتسنى لنا الإضاءة على تلك التجارب والشخصيات آملين أن نتمكن لاحقًا من حصر أكبر عدد مُمكن من المؤثرات الأردنيات "سواء اللواتي حالفهن الحظ بتسليط الضوء عليهن أو ممن ما زلن أشبه بالجوهر المكنون في طي الحفظ وربما النسيان في بعض الأحيان من البعض" في محاولة من تضامن لحفظ الذاكرة النسوية ما أمكنها ذلك من حيث توفر الموارد اللازمة لهذا الإنجاز.

أيضًا نود الإشارة إلى أن تلك المقابلات الموجزة ليست سيرًا ذاتية لهؤلاء الرائدات، بل هي عبارة عن "مقتطفات من تجاربهن وخبراتهن بما فيها من إنجازات أو تحديات"، حيث حاولنا خلال تلك المقابلات

التقاط ما يُمكن مما ورد على لسانهن، إلا أننا أيضًا نؤكد أن هناك الكثير الكثير مما لم يتسنى لنا معرفته أو توثيقه، مؤكدين على ضرورة حفظ الذاكرة النسوية كجزء من الإرث والميراث للأجيال القادمة.

لذلك سنسعى مستقبلًا لتحويل تلك الحيوات "وفق الموارد" لتوثيقها مُتلفزة من خلال عين الكاميرا التي تلتقط الصورة والكلمة والإيماءات والأحاسيس عندما تُبدع بعض النساء باستخراج مخزون الذاكرة.

ماذا عن التحديات والصعوبات التي واجهتها هذه المجموعة من الرياديات الأردنيات؟

عندما نريد أن نتحدث عن التحديات والمُعيقات التي واجهتها هؤلاء الرياديات خلال استعراضهن لبعض المحطات في مسيرة حياتهن، كان أحد المحاور الأساسية للمقابلة هو تناول هذه الصعوبات وطبيعتها وأسبابها والآليات اللاتي اعتمدنها في تذليل هذه الصعاب والعقبات وتجاوزها، وبالطبع تختلف طبيعة الظروف والتحديات ومسبباتها وأدوات مجابهتها من امرأة لأخرى، بالإضافة لاختلاف وتنوّع شبكات الدعم الأسري والمجتمعي من واحدة لأخرى.

ولذلك؛ فإن الغاية من التطرّق لهذه النقطة تتمحور في نقطتين هامتين، هما:

– حفظ الذاكرة النسوية الزاخرة والثمينة كإرث وميراث للأجيال القادمة.

– رصد وتوثيق طبيعة التحديات والمُعيقات التي واجهنها ومن ثم تحليلها والوقوف على مسبباتها سواء أكانت قانونية/ اجتماعية/ ثقافية/ اقتصادية/ موارد وفرص...الخ، وبناءً عليه؛ الخروج بتوصيات لصنّاع وصانعات القرار والمؤثرين والمؤثرات لاطلاعهم وحثّهم على الحد منها ما أمكن ذلك.

مع التأكيد على أن طبيعة العقبات اللاتي واجهنها تختلف من واحدة لأخرى، وقد تكون مُركبة بمعنى مُتعددة الأوجه والمُسببات، بالإضافة طبعًا إلى هناك اختلافات أيضًا تتعلق بشبكات الدعم المقدّم لكل واحدة منهن على حدة.

وكمثال؛

هناك من كان التحدي بالنسبة لها اقتصاديًا بالدرجة الأولى بمعنى التبعية الاقتصادية، وهناك من كان التحدي يتعلق بالموروثات الثقافية والاجتماعية وعوامل التنشئة الأسرية كالتمييز بين الجنسين وعدم المساواة، وأخرى كان التحدي بالنسبة لها يكمنُ في صعوبة وعدالة الوصول للموارد والفرص...الخ،

وبالطبع؛ هناك من واجهت أشكالًا متعددة/ مركبة من الصعوبات والمُعيقات خلال مسيرتها نحو التفوّق والنجاح والإنجاز، وبالتالي استطعن إحداث التغيير والفرق في الحيز الخاص والحيز العام.

خصوصية رصد وتوثيق تجارب نساء "محليات":

يهمنا في تضامن أن نضئ تحت هذا العنوان وبعجالة على النحو الآتي: عادة وعلى الأغلب الأعم تزخر العديد من الأدلة التدريبية ضمن سياقات مُختلفة سواء اجتماعية/ اقتصادية/ ثقافية/ سياسية وغيرها من المجالات، ونقصد هنا تلك الأدبيات التي تُستخدم للتدريب والتوعية وتعديل الاتجاهات أو التزويد بمعلومات أو مهارات حياتية أو غيرها، حيث يتم استخدام حالات دراسية لنساء "كقصص نجاح" أحدثن فرقًا وتغييرًا في مجتمعاتهن، لكنهن من مجتمعات أخرى وثقافات وعادات وتقاليد مختلفة ومغايرة تمامًا لواقعنا ومواردنا، بل ولتشريعاتنا وخاصة ما تتعلق بالبعد الديني وتفسيراته التي تُستخدم من الكثيرين بشكل غير صحيح وغير عادل ولا يُنصف النساء في أحيان كثيرة "حيث قد يتعمّد البعض إخراج النص الأصلي عن مقاصده وغاياته ومعانيه الحقيقية حتى في سياق القوانين الوضعية "رغم أنه من المعلوم أن العديد من القواسم المشتركة بين النساء تتجاوز حدود الجغرافيا والقانون والعادات والتقاليد...وغيرها كموضوع العنف ضد المرأة أو إقصاء وتهميش النساء أو استضعافهن وهن "لسن ضعيفات بطبيعتهن".

وبناء على ما تقدم؛ فإن مسألة محاكاة تلك النماذج المُغايرة تُصبح صعبة وأحيانًا صعبة للغاية بحيث يراها البعض تُلامس المستحيل، فمثلًا: عندما تستعرض مُدرّبة ما قصة نجاح لامرأة ما من مجتمع وثقافة وقانون وموارد وعادات مغايرة تمامًا لواقع وحياة هؤلاء المشاركات في تلك الدورة أو الجلسة التدريبية، فقد تجد الكثير من المشاركات أنه لا يُمكنهن محاكاة تلك النماذج مهما كانت مؤثرة أو مُلفتة أو مُنجزة حتى لو أبدين الإعجاب والاهتمام بها.

لـــــذلك؛

ستُشكل قصص هؤلاء الرائدات حال استخدامها أنموذجًا محليًا "يُشبهنا ويُشبه ظروفنا" ومن المُمكن محاكاته واتخاذه أنموذجًا يُحتذى، وبالتالي يحدُ استخدام تلك النماذج النسوية المحلية من إطلاق التهم المعتادة والاتهام بالتغريب والأجندات الغربية وغيرها من التُهم المُعدة مسبقًا، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالنساء وقضاياهن وقضايا حقوق الإنسان بشكل عام.

وبناء على كل ما تقدم؛ عملت تضـــامن كمنظمة نســـوية حقوقية تنموية تســـعى لتمكين النســـاء وتعزيز مشـــاركتهن في الإطارين الخاص والعام من خلال ســـعيها لتوثيق ورصـــد هذه النماذج الوطنية/ المحلية وإبراز نجاحاتهن وقُدرتهن على تخطي الصـــعاب وتذليلها، وبالتالي تحســـين نوعية حياتهن وحياة أســـرهن ومجتمعاتهن، وبالتالي تتحول حكاياتهن وتجاربهن لبوصلة يُحتذى بها مُمكنة التحقيق على الأغلب.

Summary in English

SIGI Honors Jordanian Female Pioneers with "Women Made of Gold"

Solidarity Is Global Institute (SIGI) honored Jordanian female pioneers who have made a significant impact on their communities through documenting and showcasing the journeys of twenty Jordanian women as examples of influential figures. These women have shattered the stereotypical image of women, becoming living examples of women's capacity for leadership and change.

"Women Made of Gold" was chosen by SIGI as the title of the book documenting the golden journeys of the Jordanian women who surpassed challenges, confronted the impossible, and broke through the traditional framework to achieve greatness with the strength, elegance, and impact of gold.

In her statement, the President of Solidarity Is Global Institute, Professor In'am Al-Asha, mentioned that the "Women Made of Gold" exemplify Jordanian women but do not encompass all successes across various fields. Many creative and pioneering women leaders in different fields have yet to be recognized but are not mentioned due to the fact that they are out of reach and SIGI is entitled to include them in the future. She highlighted that there are numerous Jordanian women who are known internationally, regionally, and locally as change-makers within their environments and communities, serving as icons to emulate.

This book is an initiative by the Solidarity Is Global Institute to highlight successful female examples who have contributed significantly. They serve as real role models for the new generation, demonstrating how they overcame challenges and social, legal, and other barriers at all levels to achieve what they have.

Through this initiative we look forward at SIGI to more contributions from Jordanian women and men alike, providing true role models that sow hope and achievement in the hearts of their youth.

"Women Made of Gold" book include the following names:

Entrepreneur Fidaa Al-Hamoud-The late Dr. Hala Hamad-Entrepreneur Asia Yaghi-Entrepreneur Maisar Al-Saadi-Entrepreneur Abla Abu Ulba-Entrepreneur Ferial Al-Joharan-Entrepreneur Engineer Nancy Abu Hayyan-Entrepreneur Salma Al-Sharafat- Entrepreneur Dr. Amal Al-Daghstani-Dr. Israa Ahmed Al-Tawalbeh-Entrepreneur Samia Al-Jubour-Entrepreneur Tareed Hakmat- Entrepreneur Dr. Inam Khalaf-Entrepreneur Noha Al-Muayyatah-Entrepreneur Haifa Al-Bashir-Judge Ehsan Barkat-Entrepreneur Hana'a Al-Afghani-Entrepreneur Dr. Jameela Abdul Latif Shteiwi-Entrepreneur Ayda Dua'isat-Dr. Adab Al-Saud, Dr. Israa Ahmed Al-Tawalba, entrepreneur Samia Al-Jabour, entrepreneur Taghreed Hikmat, entrepreneur Dr. Inaam Khalaf, entrepreneur Noha Al-Maaytah, entrepreneur Haifa Al-Bashir, judge Ihsan Barakat, entrepreneur Hanaa Al-Afghani The stories of these pioneering women, when used as a local model "similar to us and our circumstances," can be replicated and adopted as exemplary models to follow. Consequently, this helps prevent the usual accusations of westernization, western agendas, and other pre-prepared charges, especially concerning women, their issues, and human rights issues in general.

About the project: This book is part of the "Safe Pathways" project, policies to combat harassment in the workplace and environment. The project is implemented with support from the African Women's Development Fund (AWDF).

Conclusion

There are a series of points and themes that underpin the preparation of this booklet titled "Jordanian Pioneers," which has documented and chronicled milestones from the lives of several Jordanian women across various fields and specialties. Therefore, SIGI views the completion of this work within the context of the "Anti-Harassment Policies in the Workplace and Environment Project" as a significant addition to the resources, literature, research, studies, and documents of SIGI. These will be employed in various fields due to the nature of the goals and objectives that prompted SIGI to initiate the first phase of "Preserving Jordanian Feminist Memory."

The idea of capturing and documenting these rich, meaningful lives, brimming with lessons, experiences, and human trials of several Jordanian pioneers, aligns with achieving numerous objectives and goals fundamentally.

The First Goal,

is to honor these women and shed light on their human experiences and expertise throughout their lives, is to express our gratitude to them. We are thankful because through your efforts, perseverance, patience, and successes, you have illuminated the path's darkness and created horizons of dreams that can be pursued and achieved by those who follow you, women and girls alike, across the realm of dreams and possibilities. Particularly, as it is customary in our country for most of us to be honored during "memorial ceremonies," we prefer and urgently need recognition for our achievements as women, pioneers, leaders, creators, and mothers "during our lifetimes and not after our deaths." Therefore, within the framework of documenting and disseminating their experiences, we aim to establish and highlight their successes, benefiting from them as valuable lessons and exemplary success stories. Hence, "thank you" from the heart to the heart, and we bow in respect to their efforts and accomplishments.

The Second Goal,

which involves the richness of these lives with lessons and meanings learned as success stories, aims to serve as a curriculum for some and a guiding compass for others. They are like beacons illuminating the path in the lives of women or young girls taking their first steps in professional or family life. This is achieved through drawing inspiration from models based on these practical experiences and real-life trials that resonate with many aspects and circumstances.

Furthermore, these real-life stories and experiences will form an essential part of the literature, guides, research, and studies of SIGI. Therefore, they are integral to the process of knowledge building, skills development, and capacity building, which will be used and deployed in awareness and educational programs, particularly targeted at the women's community.

It's worth noting that SIGI plays a constructive and pivotal role in capacity building for numerous civil society associations and organizations, as well as our partners across various regions of Jordan. Additionally, our efforts extend to youth sectors, including young men and

women, adolescents, high school and university students, which are among the targeted demographics of SIGI.

The Selection Mechanism and Criteria for the First group of Jordanian Pioneers,

For the women chosen by SIGI across various fields, encompassed an approach that emphasized diversity in specialties, fields of work, experiences, age groups, and geographic locations including cities, villages, refugee camps, and rural areas.

It's important to note that this sample is not exhaustive or necessarily representative due to the vast number of influential female models across Jordan's geography. There are likely hundreds or even thousands of impactful female figures who have not been highlighted or acknowledged, either due to circumstance or oversight. In an attempt from SIGI to preserve the feminist memory and to secure the required resources for this achievement.

We would like to draw your attention that these brief interviews are not autobiographies but rather excerpts of their experiences and achievements, capturing insights and challenges. While efforts were made to capture their stories during these interviews, it is acknowledged that much remains unknown or undocumented.

Therefore, SIGI aims to preserve these memories and contribute to the legacy for future generations, leveraging available resources to potentially document these lives through multimedia platforms, capturing the essence of their memories through visuals, words, gestures, and emotions.

In the future, efforts will continue to transform “according to available resources” these lives into documented narratives, using the camera's lens to capture the complete picture of these women as they creatively extract from the reservoir of memory.

What about the Challenges and Difficulties faced by these Jordanian Female Entrepreneurs?

As they reflect on key milestones in their journeys, one of the main focuses of the interview was to delve into these obstacles, their nature, causes, and the strategies they employed to

overcome them. It is important to recognize that the circumstances, challenges, causes, and coping mechanisms vary from one woman to another, alongside differences in familial and societal support networks.

The purpose of addressing these points revolves around two crucial goals:

- Preserving the rich and valuable feminine memory as a legacy for future generations.

- Identifying and documenting the nature of the challenges and barriers they faced, analyzing their causes—whether legal, social, cultural, economic, resource-related, or opportunity-related—and based on this analysis, making recommendations to policymakers, influencers, and stakeholders to mitigate these challenges as much as possible.

It is emphasized that the types of obstacles encountered vary from one individual to another and can often be complex, with multiple facets and causes. Additionally, differences exist in the support networks provided to each woman individually.

For example,

Some females faced primarily economic challenges, such as financial dependence. Others dealt with challenges related to cultural and social heritage, including gender discrimination and inequality. Yet others faced challenges related to the difficulty and fairness of accessing resources and opportunities…Of course, there were those who encountered multiple and complex forms of difficulties and barriers during their journey towards excellence, success, and achievement. Through their resilience and efforts, they were able to bring about change and make a difference both in their personal lives and in the public sphere.

Confidentiality of Monitoring and Documenting the Experiences of Local Women:

We at SIGI are eager to shed light on this topic as follows:

Usually, most of the training materials are rich in various contexts, whether social, economic, cultural, political, or other fields. Here, we mean those literatures used for training, awareness, attitude adjustment, or provision of information, life skills, or others. Case studies of women, as "success stories," are used to make a difference and bring about change in their societies. However, they come from different communities, cultures, customs, and traditions that are completely different and divergent from our reality, resources, and legislation, especially

regarding the religious dimension and its interpretations, which many misuse in an unfair and unjust way that often does not favor women, "where some intentionally misinterpret the original text, its purposes, and real meanings, even within the context of laws and regulations." It is well-known that many commonalities among women transcend geographic boundaries, law, customs, traditions, and other areas, such as the subject of violence against women, or the exclusion and marginalization of women, or their "perceived weakness by nature."

Based on the foregoing, the issue of simulating these diverse models becomes difficult and sometimes extremely difficult to the extent that some people consider it impossible. For example, when a trainer reviews the success story of a woman from a community and culture, law, resources, and completely different customs, from the reality and life of those participants in that training session or course, many participants may find that they cannot simulate those models, no matter how influential or compelling they are, even if they express admiration and interest in them.

Therefore,

These pioneering women's stories will serve as local models that "resemble us and our circumstances" and can be emulated and adopted as exemplary. Thus, using these local female models can prevent the usual accusations of westernization and foreign agendas, among other preconceived charges, especially concerning women, their issues, and human rights in general.

Based on all the above, SIGI, as a feminist human rights development organization, works to empower women and enhance their participation in both private and public spheres. It seeks to document and monitor these national/local models, highlighting their successes and their ability to overcome and mitigate challenges. Consequently, this effort aims to improve their quality of life, as well as that of their families and communities, turning their stories and experiences into guiding compasses achievable for many.

Summary of the Entrepreneurship Guide that needs to be translated into English and shared with the donor organization

محطات حياة عدد من النساء الرياديات القياديات الأردنيات في مجالات متنوعة

بوصلة لا تشير للعدالة مشبوهة

القاضي/ إحسان بركات

القاضي إحسان بركات شغلت منصب مديرة المعهد القضائي الأردني (2018 – 2020) ، عضو مجلس الأهيان الثامن والعشرون،رئيسة تجمع لجان المرأة الوطني الأردني 2023، امرأة مميزة بكل المعايير من حيث طبيعة قراراتها المدروسة بعناية كبيرة، لأن المواقع التي تقلدتها والمتعلقة بصناعة القرار هي في أكثر المجالات حساسية وهو "القضاء"، بالإضافة للمنطق والفكر السليم ما جعلها محط أنظار القادة وصناع القرار في الدولة الأردنية الذين ارتأوا في هذه الشخصية المميزة مقدرة مميزة ايضًا على إدارة مواقع حساسة وهامة .

وإحسان بركات المرأة الأولى التي تقلدت منصاب هامة في السلك القضائي الأردني، فهي أول قاضي استئناف امرأة في الأردن وأول رئيسة محكمة امرأة وأول نائب عام امرأة، وأول مفتش قضائي امرأة، وأول عضو في محكمة التمييز امرأة وأول مديرة للمعهد القضائي امرأة.

وإحسان بركات من مواليد مدينة القدس وهي ابنة لعائلة مكونة من 4 أبناء و4 بنات وهي أوسطهم، فهي تنحدر من عائلة فلسطينية الأصل تعتبر من شيوخ مدينة الخليل وعائلاتها المعروفة بالسمعة الحسنة ويسر الحال، وسكنت عائلتها مدينة القدس وتملكت الكثير من الأراضي فيها، وما زالت تمتلك مئات الدونمات في منطقة شعفاط ومنطقة الرام في القدس والخليل، ولم تقم ببيعها أو التنازل عنها رغم الكثير من المغريات، وجدها من أبرز رجالات فلسطين الذين عاصروا المغفور له بإذن الله الملك عبدالله الأول وكان من المقربين من جلالته.

العائلة والطفولة

غادر والدها إلى دولة الكويت بعد أن أنهى دراسته كمحاسب في أحد المعاهد الفلسطينية، ثم عاد واصطحب العائلة حيث يعمل هناك، ووالدتها خريجة دار المعلمات في رام لله وهي تجيد اللغة الإنجليزية، إلا أن الأسرة عادت لاحقًا واستقرت في عمان عام 1969 لعدم انسجام والدتها مع نمط المعيشة هناك.

وتقول إحسان بركات: "عائلتي من العائلات التي أولت التعليم مكانة خاصة تصل حد التقديس، لهذا جميع أفراد أسرتي يحملون مؤهلات جامعية بتقديرات مميزة في عدة مجالات، ومع كل الاحترام والتقدير لأهمية التعليم وقدسيته إلا أنه لم يكن يومًا نقطة انطلاق بالنسبة لي لذلك بالقدر الذي أوليت التعليم مكانة مهمة في حياتي ركزت بالقدر نفسه أو أكثر على الجانب العملي".

وتستذكر حال بيتهم في تلك الفترة من الطفولة وتقول: "بيتنا كان أشبة بصف الكتاتيب حيث يتم تكليفنا بإعداد موضوعات مختلفة للنقاش وكان كل منا يقوم بعرض موضوعه ليتم مناقشته، وإذا أجاد إعداد موضوعه ومناقشته كان يربح نجمة ونقوم بالتصفيق له، كما كان لشهر رمضان طقوسه الخاصة بهم حيث شكل هذا الشهر وطقوسه حدثًا مهمًا في حياتنا في كل عام، حيث يخصص وقت منتظم لحفظ القرآن الكريم وفي أخر الشهر نحتفل بختمة القران، تلك أيام مميزة مؤثرة جدًا في بناء الشخصية وتماسكها ونضوجها، ولولدي ووالدتي عظيم الأثر في حياتنا وأخلاقنا وميولنا وأفكارنا، ووالدتي سيدة حنونة معطاءة بلا حدود، كانت تحكم سيطرتها اللطيفة علينا بلا تجبر أو سلطوية بل ديمقراطية بالفطرة".

وعن طفولتها تقول إحسان: "في صغري كنت أكثر ميلًا للعب، ولم أجد غضاضة أو تناقضًا بين اللعب والدراسة فكنت حريصة على كلاهما لأهميتهما بالنسبة لي، لذلك بمقابل إلحاح والدتي على الدراسة وخوفها من ميولي الجارفة اتجاه اللعب، كنت أصحو مبكرًا قبل الجميع لمتابعة الدراسة والتحضير والذهاب للمدرسة، وكنت أحصد أعلى العلامات والتقديرات حتى أثبت لأمي أنه يمكنني أن أكون متفوقة وليس بالضرورة أن اللعب للأطفال نقيض الدراسة والنجاح".

وتتابع إحسان في وصف طفولتها: "كنت في طفولتي طفلة مشاكسة، كثيرة الحركة والجدل، وأحتاج لأن اقتنع أولا بالشئ حتى أنفذه، وفي مجال الرغبة بدراسة القانون كنت وفي مراحل مبكرة كثيرة الأسئلة حول "شو يعني محامي، وشو قانون، ويعني المحامي شو بعمل، وكيف ممكن أكون محامية"، لذلك كانوا يسموننني في صغري "فتح" بمعنى أنني ثورية في سلوكي وفي طباعي وفي نقاشاتي، ولا أنصاع لرغبات الآخرين بسهولة، لي فلسفة حياتية خاصة، وكانت لدي رغبة جامحة بكسر المألوف والنمطي والخروج عليه".

وطبيعة شخصية إحسان بركات لا ترضخ لاستحقاقات الأنوثة التقليدية أبدًا، وهذا أوقعها في مطبات خلال مرحلة الدراسة الأولى في الكلية العلمية الإسلامية فمثلًا المعلمات عادة ما يميلون بل يميزون أحيانًا البنات الأوائل الهادئات المطواعات غير المشاكسات، وهي بالطبع لم تكن كذلك لذلك كانوا يقولون لها: لم أنت مختلفة تمامًا عن أخواتك فهن هادئات مطواعات ومن الأوائل أيضًا، ولماذا لا تكونين مثلهن؟.

ومع كل هذه الملاحظات والأسئلة من معلماتها إلا أن هذه الأسئلة المستهجنة لم تغير من نمط سلوكها وأفكارها شيئًا، فهي كما هي لن تتغير ولا ترغب أساسًا بالتغيير، لكل مخلوق نمطه الخاص الذي ارتضاه وهي مقتنعة بما هي عليه.

وتقول إحسان في هذا السياق: "لا أسمح لأي كان بأن يملي علي شئ ما، لا أقبل الخضوع بل أقاومه بشدة كثيرة الأسئلة غلباوية كثيرة الفتاوي اجتماعية أميل لبناء شبكة/ شلة من الصديقات اللواتي أحيا بينهن، لذلك كان يوم الأرض بالنسبة لي يومًا مميزًا جدًا يستحق الاحتفاء به، لذلك كنت أحضر الخطب وانا أجيد الخطابة وأحتل المراكز الأولى في أي انشطة مدرسية وخاصة المناسبات الوطنية، وتلك سمات قيادية كما تعلمتها لاحقًا، تلك محطات من طفولة تميل للشقاوة أكثر من الهدوء والاستكانة وربما ما زالت في داخلي بقايا طفولة تلازمني حتى الآن".

وتضيف إحسان: "نشأت في أسرة مختلفة ربما عن البعض فيما يتعلق بالمعاملة بين الأبناء الذكور والبنات، وفي توزيع الأدوار أيضًا حتى بما فيها تنظيف البيت والاعتناء ببعضنا البعض، ولم تكن هناك معاملة مميزة للذكور على أساس الجنس أبدًا، وكانت والدتي توزع الأدوار بالتساوي من كنس ومسح ومهام منزلية، وإحضار الخضار والفواكة، والتسوق وتنظيف الثريات، لكنها كانت تراعي طبيعة رغبة وإتقان كل منا لما يريد أن ينجزه من أعمال ومهام، لذلك أنا اعتمد على نفسي كثيرًا وأثق بخياراتي، وبوصلتي لم تكن أبدًا لتخذلني وتدلني دومًا على الاتجاه نحو الصواب أو الأكثر قربًا من الصواب".

دراسة القانون ومسيرة العمل

بعد إنهاء مرحلة "التوجيهي" بتفوق رغبت إحسان بركات بدراسة القانون، علمًا بأن أفراد عائلتها على الأغلب يعملون بالتجارة ومنهم أطباء ومهندسين وصيادلة ولم يكن بينهم أحد يعمل في مجال القانون لذلك كانت الأولى في هذا المجال على مستوى العائلة، لهذا كانت أسرتها تدفع بها للتخصص في مجال الصيدلة، إلا أن ميولها كانت نحو دراسة القانون أقوى وأكثر وضوحًا لتصبح محامية متميزة.

وبالفعل كان لها ما تريد ودرست القانون وحصلت على درجة البكالويس بالقانون بدرجة امتياز من الجامعة الأردنية سنة 1986، وكانت هذه مرحلة الانتقال من الطفولة لمرحلة النضج بالنسبة لها، وهنا بدأت ملامح شخصيتها واتجاهاتها وميولها وأفكارها بالتبلور بشكل واضح.

وبعد التخرج مباشرة حرصت ألا يضيع الوقت منها، لذلك سجلت مباشرة كمحامية متدرّبة لدى المحامي باسل بسطامي، وفي سنة 1988 حصلت على لقب أستاذة، وكان بحثها حينئذ حول "عقد الإيجار".

وبعد حصولها على درجة الأستاذية عملت مع زميلتها مصون شقير بنفس المكتب حيث دعمتها والدتها في النفقات المالية بل وشجعتها على الاستقلالية في مجال المهنة التي ارتضتها لنفسها منذ الصغر، وبالفعل كان مكتبًا ناجحًا ولديهم العديد من الوكالات لشركات عدة، بالإضافة لكونها مستشارة لعدد من الشركات ومنها؛ العمل على تصفية بنك البتراء في حينه، وعملت في مجال المحاماة من عام 1988 ـــ 2000 لحين صدور قرار تعيينيها في سلك القضاء.

من المحاماة إلى القضاء

وتقول إحسان بركات: "طلبني رئيس المجلس القضائي حينها أحمد الطراونة وكانت معرفته بي تمت من خلال عمله السابق في بنك البتراء، وكنا قد تزاملنا كوني كنت مستشارة البنك المركزي/ الدائرة القانونية حين كان محافظ البنك المركزي محمد سعيد النابلسي، وفي ذلك الوقت جمعتنا طبيعة المهنة والاختصاص، فعرفني من خلال عملي والتزامي ونزاهتي وكان يطلب مني بعض الاستشارات ويبدو أنها نالت استحسانه، فرشحني ودعمني لأبدأ عملًا آخر في سلك القضاء بجانب زميلاتي في المجال، وكان عدد القاضيات آنذاك لا يتجاوز 5 قاضيات على الأغلب منهن "فداء الحمود، إيناس الخالدي، نوال الجوهري وتغريد حكمت".

وتتابع روايتها: "طبعًا شجعني زوجي كثيرًا ودعمني ووقف بجانبي خصوصًا أن له خبرة في هذا المجال، فقد عمل قاضيًا لفترة من الزمن، وهو يعلم تمامًا أنها ليست بالمهمة اليسيرة وأنها تحتاج الوقت والجهد والمثابرة والعمل الحثيث والمجهد في أغلب الاحيان، أما والدتي فأذكر أنها عارضت تماما فكرة الانتقال للعمل بالقضاء بدعوى الحلال والحرام وصعوبة المجال الذي قد يُشكل عبئًا كبيرًا على كاهلي".

وبعد دخولها القضاء تنقلت إحسان بركات بين عدد من الأماكن الحساسة للغاية وتقلدت العديد من المواقع الهامة في مجال القضاء، وتقول: " لدي قناعة راسخة أن الأماكن هي التي اختارتني ولست أنا من اختارها، وذلك ليس من باب الغرور أو المباهاة لكنها الحقيقة لأنني أعمل بجد ومثابرة وأبذل كل الوقت في التعلم المستمر، ولقناعتي أن عملية التعلم عملية مستمرة من الحياة وحتى الممات، وتلك نقطة قوة أعتز بها".

وبدأت إحسان عملها في السلك القضائي في عام 2002 وعملت كقاضية في محكمة بداية عمان، وقاضية في محكمة استئناف عمان، ومديرة العلاقات الدولية في وزارة العدل، ثم عادت مرة أخرى لمحكمة الاستئناف، وفي عام 2007 أصبحت رئيسة لمحكمة بداية غرب عمان، وفي عام 2010 عملت كنائب عام، وفي عام 2012 عادت للمرة الثانية إلى محكمة الاستئناف، وبعدها في عام 2014 عملت في مديرية التفتيش القضائي كمفتش قضائي، ومن ثم في عام 2017 عادت لمحكمة الاسئناف واستمرت فيها لمدة 3 سنوات

إلى أن تم ترفيعها للدرجة العليا، ومن ثم عملت كعضو في محكمة التمييز إلى أن تم انتدابها من محكمة التمييز لإدارة المعهد القضائي الأردني حاليًا.

مواقف بعد دخول السلك القضائي

ومن المواقف التي ما زالت تذكرها إحسان بركات عندما تم تعيينها كقاض في محكمة الاستئناف رفضت في البداية هذا التعيين وطلبت تعيينها في محكمة البداية والذي قام بتعيينها آنذاك هو محمد صامد الرقاد وكان بالنسبة له صدمة أن ترفض العمل في محكمة الاستئناف وأن تطلب العمل في محكمة البداية، وكان ردها على استهجانه: "بدي كيف أكون مش وين أكون وأيضًا أريد صعود السلم درجة درجة لأنني أؤمن بإتقان وجودة العمل وليس نوعه فقط وهو للأسف المفهوم الأكثر شيوعًا".

وتضيف: "العمل في سلك القضاء في البدايات لم يكن أبدًا بالأمر السهل بل كان تحديًا كبيرًا للمرأة لإثبات الجدارة والقدرة والفهم العميق لهذا العمل الذي يمس حياة الناس وصورة القطاع والدولة وزملاءنا والمراجعين والمتخاصمين وكل من له علاقة وذلك ليس بالأمر الهين، وعلى الصعيد الشخصي حرصت دومًا على أن أظهر بأفضل حال وبذلت الكثير من الجهد وتحملت الكثير من المعاناة أيضًا، قيل لنا ونحن صغار من طلب العلا سهر الليالي فكيف والحال يتعلق بأمن الناس والبلد على مختلف الصعد".

ومن المواقف التي تستذكرها إحسان بركات خلال عملها في القضاء: "عندما تم تعييني كرئيسة لمحكمة غرب عمان كنت أجلس في مكتبي وإذا بشخص يدخل المكتب ليعرض مظلمته على الرئيس، وعندما رآني ظنني السكرتيرة فقال لي: أريد رئيس المحكمة ... فقلت له تفضل ماذا تريد؟ فرد قائلا بعصبية أريد الرئيس ولن اتكلم إلا معه .. فأعدت ترحيبي قائلة تفضل أخي .... فرفض مؤكدًا أنه يريد الرئيس ظنًا منه أنني السكرتيرة .... فقلت له أنا الرئيس أخي تفضل اعرض مظلمتك وسأسمعك أنا الرئيس، وعندها نظر لي مليًا ثم غادر المحكمة رافضًا أن يعرض مظلمته على أنثى ربما لتقديره الخاطئ وأن النساء لا يصلحن للقضاء فكيف برئاسة المحكمة".

وتؤكد هنا أنه كان في المحكمة عدد من زملائها القضاه وهم قامات قانونية ولم يكن العمل سهلًا أبدًا، والجميع متوجسون من رئاسة امرأة للمحكمة وهو أمر لم يكن متعارفًا عليه سابقًا، لكن مع مرور الوقت ومعرفتهم بها وحسن الأداء والجدية والإنسانية والمهنية العالية، اعتاد الزملاء والمراجعون والمتخاصمون على وجودها وأصبح الوضع عاديًا جدًا.

وفي موقف آخر تقول إحسان: "خلال خدمتي في بعض المواقع في القضاء دخل أحد المراجعين مهتاجًا عصبيًا شديد الغضب والانزعاج يصرخ ويشتم بكل الألفاظ "وين القاضي إحسان بركات.... وينو بدي أشوفو ضروري .... ودعوته للجلوس وقلت له ما مظلمتك يمكنني مساعدتك، لكن رفض الحديث بداية

ومكررًا سيلًا من الشتائم وأن محاميه أخبره أنه خسر قضيته بسبب أن القاضي مرتشي وكان المبلغ المحكوم به آنذاك 89 الف دينار، يعني مبلغ كبير من المال، وبقيت أحاول تهدئته دون أن أذكر له أنني القاضي إحسان حيث كان يظن أنه رجل وربما أراد الاعتداء عليه وشتمه مباشرة لشدة غيظه، ولما تم إعلامه من محاميه وقمت بطلب الملف وراجعته معه ورقة ورقة، وبينت له أنه لم يظهر مستندًا يثبت صحة دعواه، فقال لي لا..لا .... لقد أحضرت له هذا المستند وأنا أعرف أنه سيثبت حقي به لكن القاضي لم يعترف به، وعندما تفحصت الملف والأوراق المقدمة للقضاء وسير القضية تبين أن المحامي لم يبرز هذا المستند القطعي الذي كان سيغير مسار الحكم، وقمت بإعلامه أن عليه الاستئناف وإبراز المستند المذكور كبينة على صحة دعواه، فبدأ بشكري والدعوى لي ولم أكن أنوي إعلامه أنني القاضي إحسان بركات، وعندما هم بالمغادرة وهو يدعو لي بالستر والعافية والشكر الجزيل، دخل حينذاك زميل لي قائلًا وينك يا إحسان بيك بدهم إياك، وهنا استدرك الزائر الغاضب وعرف أنني القاضي الذي أوسعه شتمًا، وهنا انقلبت الصورة من شخص غاضب مهتاج إلى شخص في منتهى الخجل وكرر الاعتذار بشدة، واصفًا نفسه بأنه شخص عصبي قليل الأدب وطلب السماح، ولقد أحرجت من شدة إحراجه".

وتستذكر إحسان بركات ما حصل أيضًا عند التوجه بتعيينها كنائب عام وتقول: "ما أذكره أن المفاوضات استمرت أكثر من شهرين معي لكي أقبل بالعمل كنائب عام، وكان سبب رفضي اعتقادي حينذاك أن مدة خدمتي وخبرتي لا تؤهلني لاحتلال ذلك الموقع الحساس، وكان لدي رهبة شديدة من هذا المسمى لأنه موقع يجمع بين السياسة والقانون وصرامة إصدار القرار، ولإن موقع النيابة العامة يتطلب المحافظة على الحقوق والحريات والكرامة الإنسانية لكل الناس مدعين أو مدعى عليهم وهذا صعب للغاية، بالإضافة إلى ضرورة تحري الدقة اللامتناهية في التقصي والبحث عن البينات والحقائق ومن ثم بالنتيجة إسناد الجرم للجاني وإحالته للمحكمة المختصة للمحاكمة، وطبعًا أنا خلال هذا كله علي أن أبحث عن الحقيقة بجانب البحث عن الأدلة الجرمية وبراءة المتهم إن كان بريئًا".

كلمة أخيرة للنساء

أعتقد انني تركت بصمة في كل الأماكن التي عملت بها على اختلافها، وسعيت دومًا لإحداث تغيير إيجابي وهذا ما كان ليحدث دون عمل جاد وتعاون الزملاء وتواصل جيد ومحترم مع الجميع بما فيه الخصوم، بالإضافة إلى سعيي الدائم إلى تطوير آليات العمل وتوطيد العلاقات مع الجميع وبين الجميع وهذا ما يجب على كل من يعمل سواء في القضاء أو غيره أن ينتهجه وخاصة الزميلات الجدد اللواتي أتمنى لهن كل التوفيق والنجاح، بالإضافة إلى ضرورة توخي العدل حيثما يكون والالتزام بمدونة قواعد السلوك بحذافيرها، وتنمية القدرات والذات والسعي للتعلم المستمر فمواصفات القاض الجيد "النزاهة والعلم والحيادية والتفهم والمهنية والاستقامة".

أحلام تحققت وأحلام قيد الانتظار
الدكتورة/ أدب السعود

ولدت الدكتورة أدب السعود في محافظة الطفيلة لأبوين من قرية عيمة عام 1969، والتحقت بالمدارس الحكومية لحين حصولها على شهادة الدراسة الثانوية العامة "التوجيهي" بالفرع العلمي، وقد كانت على مدار سنواتها الدراسية من المتفوقات، لذلك كانت الأولى على محافظة الطفيلة رغم مرورها في تلك الفترة بوعكة صحية تسببت لها ببعض التراجع الدراسي آنذاك.

شغلت مؤخرا عضوية الهيئة الادارية لتضامن النساء الاردني كنائب الرئيس، كما شغلت عضو مجلس الامناء للمجلس الوطني، عضو مجلس ادارة مؤسسة الاعمار في الطفيلةن وكانت شغلت سابقة ادارة التنمية و التشغيل لمدة اربع سنوات ، عضو منظمة عرب ضد الفساد / مقررت فرع الاردن ، عضو الجمعية الشفافية الدولية

عاشت الدكتورة أدب طفولتها في كنف جدتها لأمها، وقد تركت تلك الجدة القوية الشخصية والشكيمة بصمتها الواضحة على شخصية أدب وأدائها لاحقًا سواء في حيزها العائلي أو عندما خرجت للعمل العام أو في قطاع مهنتها كمدرسة جامعية في جامعة العلوم الإسلامية.

وتقول الدكتورة أدب واصفة جدتها: "تلك الجدة أمية الأبجدية لكنها تتقن كل العلوم الحياتية وتمتلك مهارات التنشئة الصحيحة بالفطرة، ومن هنا كانت تشكل درع حماية لي ومحفزة من الطراز الرفيع، تلك الجدة كانت تدرك بالفطرة معنى التعزيز المعنوي والمادي حيثما لزم ذلك بأدواتها البسيطة والمؤثرة بذات الوقت".

والدكتورة أدب السعود اسم على مسمى فهي مزيج من الأدب والجرأة والثبات على الموقف طالما كان هذا الموقف نابعًا من قناعة ترسخت في وجدانها وضميرها وعقلها، لذا فهي ربما من القلائل المتفردات بالثبات والشجاعة في الدفاع عن القضايا التي آمنت بها تحت قبة البرلمان الأردني، فهي لا تهادن ولا تساوم ولا تصمت إزاء قناعاتها ومعتقداتها وعقيدتها، فالناس في معتقدها صنفان أخ لك في الدين وأخ

لك في الإنسانية وفلسفتها الحياتية تقوم على ذلك، وهي تعتقد أنه ليس هناك فرق أو تعارض أو تناقض مع التزامها الديني، بالإضافة لتوافقه من الناحية الشرعية.

وتقول الدكتورة أدب: "نشأت في بيئة محافظة جدًا، وبطبعي ومنذ طفولتي أميل للتدين الشديد والالتزام الديني ولكنني بذات الوقت لم أسمح بأن يكون التزامي وتديني حائلًا من التعامل مع الآخرين على اختلاف أفكارهم واتجاهاتهم، ولدي تقبل شديد للجميع لأنني متصالحة مع ذاتي ومع الآخرين وبداخلي حالة من الرضا والسكون أحمد الله عليها".

ولعل من أبرز سماتها؛ المثابرة والعمل تحت الضغط، فهي شخصية تتحدى الظروف مهما كانت، فهي لا تيأس ولا تستسلم أبدًا للضغوط بل دومًا تقوم بتحليل المواقف وتدرسها وتستنبط الحلول المناسبة بما يتفق مع فكرها واتجاهاتها ومواردها المختلفة .

والدكتورة أدب من الشخصيات التي قد تختلف معها لكنك بالتأكيد لا تستطيع إلا أن تحترمها، فالذين يعرفونها يؤكدون أنها تؤثر الآخرين على ذاتها، وعلى الأغلب هي شخصية ليست متطلبة وترضى بالقليل والقناعة لديها كنزها الذي لا يفنى، كما أنها شخصية تمتلك حساسية عالية حيال حاجات عائلتها ومحيطها وحتى للقضايا العامة، لذلك هي لا تهادن ولا تقبل المساومات أبدًا، مع أن تلك الحساسية العالية متعبة للغاية بالنسبة لها كما ذكرت.

والدكتورة أدب عندما دخلت كعضوة منتخبة عن محافظة الطفيلة في مجلس النواب كانت أصغر الأعضاء سنًا، لكنها كانت قد اختبرت العديد من المجالات فيما يتعلق بالعمل العام والعمل التطوعي، وبناء على ذلك استطاعت أن تجد لنفسها مكانًا بين عتاولة السياسة في ذلك المجلس تحديدًا بفترة زمنية قياسية، وشقت لنفسها خطًا مميزًا برغم حداثة السن والخبرة بالعمل تحت قبة البرلمان، فاستحقت احترام الجميع حتى ممن يخالفونها الرأي والتوجهات ونمط التفكير، فهي محسوبة على التيار الإسلامي بتوجهاتها الفكرية والتزامها بثوابت العقيدة، لكنها لا تنتمي لتيار محدد.

الدراسة وتفاصيلها

وعن هذه المرحلة تقول الدكتورة أدب السعود:" بعد الانتهاء من مرحلة التوجيهي التحقت بالجامعة الأردنية حيث حصلت على درجة البكالوريس بتخصص الجغرافيا، ومن ثم تابعت دراستها فحصلت على درجة الماجستير ومن ثم الدكتوراه".

وتستذكر بعض الأحداث في بداياتها: "في صغري حلمت دومًا بأن أكون دكتورة أي طب بشري، لكن الأقدار والظروف الصحية التي فاجأتني خلال مرحلة التوجيهي أعاقت هذا التوجه للتخصص في مجال الطب البشري من خلال الالتحاق بإحدى الجامعات في الخارج، حيث تقدمت في حينها إلى ثلاث جامعات

إحداها جامعة في روسيا، بالإضافة طبعا لجملة من العوائق الاجتماعية والثقافية من قبل عائلة الوالد والتي تنطلق من طبيعة الثقافة والبيئة المحافظة جدًا، فدفعتني تلك الظروف باتجاه آخر فتخصصت في مجال الجغرافيا في الجامعة الأردنية، رغم أنها لم تكن يومًا من خياراتي، لكن قدر الله وما شاء فعل، وبكل الحالات الحمدلله".

وتضيف: "لقد كنت من أوائل الجامعيات في القرية في تلك المرحلة، فقريتنا بطبيعتها تتكون من مجتمع محافظ بسيط تحكمه جملة من المعايير والقيم والعادات والأعراف التي لها من السطوة والتحكم ما يفوق سلطة القانون وأي سلطات أخرى، لذلك عندما تقدمت لفحص السواقة للحصول على رخصة القيادة كنت أول واحدة تقود مركبة وكان أيضًا هذا من المسلكيات غير الشائعة وغير المفهومة أو المقبولة من البعض، وكان البعض من الأهالي في تلك المرحلة يعمدون إلى إخراج بناتهم من المدرسة تحت ذرائع ومفاهيم مغلوطة للدين ومقتضياته، بالإضافة إلى أن النظرة للأنثى لا تعدو عن كونها أمًا وزوجة مكانها البيت في كل الأحوال على قاعدة "البنت مصيرها البيت والمطبخ".

وبعد تخرجها عملت في الصندوق الأردني الهاشمي للتنمية البشرية والذي كان سابقا يسمى "صندوق الملكة علياء للعمل الاجتماعي التطوعي" كمنسقة برامج وكانت مسؤولة عن كافة البرامج بالمركز بالإضافة إلى المراكز والجمعيات الفرعية التابعة للصندوق في المنطقة وكان عددها 14 مركزًا آنذاك.

وبعد ذلك تنقلت بين عدة مهام إدارية مختلفة، ثم تم تعيينها معلمة في مدارس وزارة التربية والتعليم ولاحقًا عينت مساعدة مديرة، ثم أكملت رسالتها للحصول على درجة الماجستير من الجامعة الأردنية في عام 1999 بتخصص "إدارة البيئة " فكانت رسالتها أول رسالة عن "المحميات في الشرق الأوسط".

ولاحقًا لذلك حصلت الدكتورة أدب السعود على منحة للحصول على درجة الدكتوراه في تخصص البيئة بسبب التفوق والتميز من خلال المرفق البيئي العالمي/ كندا، ولكن ذات العوائق الاجتماعية والثقافية والبيئة شديدة المحافظة حالت دون ذلك كما حدث معها سابقًا عندما حصلت على موافقة على الابتعاث لدراسة الطب في روسيا، فاتجهت بسبب ذلك للحصول على دبلوم عالٍ في الإدارة التربوية وقامت بتأجيل فكرة الحصول على درجة الدكتوراه لكنها بالطبع لم تلغها من ذاكرتها أبدًا، لذلك تابعت دراستها وحصلت على درجة الدكتوراه التي قامت بتأجيلها سابقًا لبعض الوقت بسبب عدم توفر نفقات الدراسة والرسوم وبعض المستلزمات الدراسية كما خططت وحلمت من البدايات وتقول "لا أتخلى عن أحلامي أبدًا أبدًا، قد تؤجل أو تُرحل لكنها لا تلغى أبدًا".

مسيرتها في مجال العمل العام واهتمامها بالشأن السياسي

سعت الدكتورة أدب دائمًا ومنذ صغرها لأن تكون شخصية معروفة وعامة، وهذا منذ المراحل الدراسية الأولى، لذلك كانت تحرص على المشاركة في كل الأنشطة المدرسية التي تتاح لها، مع أن طبيعة البيئة والموارد لم تكن صديقة لها، فاستعانت بالقراءة، لأن المطالعة هي نوع من السفر خارج المكان والزمان، وهي مصدر للاستزادة والتعلم من خبرات وتجارب الآخرين تقدم للقارئ مجانًا.

وهنا تقول: "دائمًا تلفتني شخصيات الأبطال في التاريخ والحكايات وربما من هنا ولدت لدي تلك الرغبة الدفينة وربما غير المفهومة في ذلك الوقت المبكر بمحاكاة تلك الشخوص مع تساؤل الأبطال دائمًا أشخاص يخدمون أنفسهم و مجتمعهم ويمتلكون شكلًا من أشكال السلطة لذلك لما لا أكون مثل أحدهم أو إحداهن؟".

ولقد تزامنت إجراءات تسجيلها للدكتوراه مع إقرار قانون الانتخاب لعام 2003 والذي تضمن نصًا قانونيًا أقر "الكوتا النسائية" وهي مقاعد مخصصة للنساء الأردنيات ممن ينطبق عليهن قانون الانتخاب، وهنا لاحت في ذهنها فكرة خوض هذا المجال مستندة على مجموعة من العوامل والأسباب والعلاقات والخبرات العملية بالعمل مع المجتمع المحلي وتمثيله في سياقات متعددة، فقامت بالاسترشاد وأخذ المشورة ودراسة إمكانية الفوز بالإضافة لدراسة التحديات والصعوبات المحتملة، ووضعت خطة محكمة بالاستناد للقانون والظروف المحيطة وعوامل النجاح أو الفشل والموارد المتاحة، وهكذا دخلت هذا المعترك متسلحة بإرادة ورؤية لما تريده ولماذا تريد الدخول لهذا المجال، وحالفها النجاح وفازت بمقعد تحت قبة البرلمان الأردني".

ومن المواقف الطريفة التي سبقت نيتها الترشح للانتخابات النيابية تقول الدكتورة أدب السعود: "تم عمل استطلاع في محافظة الطفيلة بذاك الوقت حيث كانت الغاية منه قياس توجهات المجتمع المحلي حيال مشاركة النساء السياسية، وكان من الأسئلة هل هناك شخصيات محددة من النساء في محافظتك يمكنك التصويت لها في الانتخابات؟ ولم أكن بعد قد قررت النزول للنتخابات، وجاءت معظم الإجابات بشبه إجماع تشير لاسمي، وطبعًا كان هذا الاستطلاع ونتائجه من المؤشرات الإيجابية لي على مدى تقبل المجتمع المحلي لي وقناعتهم بي كممثلة لهم تحت قبة البرلمان الأردني".

ولا تنسى الدكتورة أدب أن الدافع الأكبر لها للدخول لهذا المجال كان تحفيز وتعزيز خالها الدكتور صبري اربيحات والذي ستبقى ممتنة له على جهده الكبير ولأنه الداعم لها باستمرار وفي أي مسار تقوم باختياره، فلم يكن يبخل عليها بالوقت والمشورة والدعم المالي أبدًا، فدرس لها قانون الانتخاب وحلل مواده وقام

باحتساب فرص النجاح والظروف المحيطة ووجد أن الفرصة مواتية وأن النجاح سيكون حليفها وهذا ما تم فعلًا، فبالنسبة لها الدكتور صبري اربيحات خال ووالد.

التحديات في العمل العام والترشح للانتخابات النيابية

وتقول الدكتورة أدب السعود: "بداية كانت هناك نظرة مستهجنة من المحيط بخصوص قرار ترشحي للانتخابات النيابية والذي يراه الكثيرون دورًا للرجال حصريًا، ومن هنا بدأت أواجه الكثير من العقبات المنبثقة بالأساس من فكر محافظ ومنظومة ثقافية واجتماعية ليست صديقة للنساء على الأغلب، خصوصًا ضمن هذا الاطار، بل أن البعض قد تجرأ على حثي على الانسحاب والبعض عرض على المال لقاء الانسحاب والبعض الآخر بدأ باستخدام النصوص الدينية المجتزأة أو المغلوطة أو المختلقة وحث المجتمع المحلي على عدم الاستجابة والامتناع عن التصويت لي".

وتستذكر الدكتورة أدب في هذا السياق هذه الحادثة وتقول: "قام أحد الخطباء باستخدام المنبر الديني وحث الناس على مقاطعتي لأن ترشحي هو مخالف للشريعة، ومثال على استخدامهم للحديث المجتزء أو الضعيف "ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" وما كان مني إلا قصدت منزل ذلك الشيخ وطرقت بابه لأعرف سبب هذا العداء غير المبرر، وعندما رآني بباب المنزل بادرني بالقول تفضلي ... تفضلي ... أم فلان بالداخل، فأجبته فورًا أنا أريد الحديث معك وليس مع زوجتك، وحينها فهم مقصدي فرحب بي على مضض، وعندها ناقشته وحاججته قائلة له إنني متدينة وأعرف الحلال والحرام، وأفهم المقاصد الشرعية وأتمسك بها، لكن حجتك ضعيفة واستخدامك للحديث في غير محله وإنني أفهم موضوع الحديث ومقصده ومناسبته والذي لا يتوافق أبدًا مع فهمه المغلوط بقصد أو بغير قصد، وطبعًا لم يجد ما يرد لأنه لا يملك الرد من حيث الأساس، فشعر بالحرج وبادرني قائلًا: أعدك بأن لا أعود للحديث عنك أبدًا، كما أعدك بأن أسمح لزوجتي وبناتي بالتصويت لك إن رغبن، لكنني أنا بشكل شخصي لن أصوت لك لأنني سأصوت لرجل وليس لامرأة، وبالفعل تحققت لاحقًا من الأمر وتأكدت أن زوجته صوتت لي وهو صوت لمرشح آخر".

وتتحدث الدكتورة أدب عن التحديات الاقتصادية وتقول: "لأن النساء هن الأضعف من حيث امتلاك الموارد والدعم المالي وضعف الفرص الاقتصادية بشكل عام، لكن هنا أعيد التأكيد على أن الدكتور صبري اربيحات هو من تكفل بتغطية كافة النفقات وبالتالي أغلق هذا الباب تمامًا ومنحني فرصة الترشح دون أعباء مالية، والتي هي بالأساس تحدي كبير في وجه النساء عمومًا".

وتضيف: "العوائق العشائرية والتي تجاوزتها بفهم قانون الانتخاب فهمًا صحيحًا حيث بينت للعشيرة بدعم الدكتور صبري وبعض المؤيدين لي بأن فرصة العشيرة هي بالإجماع على ترشيحي والا فإن فرصة العشيرة بفوز مرشح ذكر هي ضئيلة للغاية، بالإضافة إلى أن كثرة المتنافسين سيبدد الأصوات وستضيع فرصة

تمثيل مرشح للعشيرة تحت القبة، وطبعًا لاحقًا لذلك أصبحت سنة لدى العشائر قليلة العدد والتي أضحت لاحقًا تجمع على أن ترشيح امرأة وضمان نجاحها هو الخيار الأصوب، وهنا ما زلت أتذكر أحدى قريباتي من الدرجة الأولى والتي امتنعت عن التصويت لي بشكل علني متذرعة أنني أنتسب لفخذ في العشيرة وهي تنتسب لفخذ آخر، وأنها ستصوت لأي كان من أقاربها حتى لو كان غير مؤهل بالمطلق، مع تأكيدها أنها مقتنعة تمامًا بي، لكن اسم عشيرتها أولى بصوتها وهذا يعكس عدم استقلالية المرأة في اتخاذ القرار ومفهوم الالتزام العشائري الضيق والمقيد بذات الوقت، طبعًا لا ألوم قريبتي تلك وأتفهم عدم تصويتها لي مع أنها مخطئة تمامًا بدوافها الكامنة خلف قرارها".

التحديات تحت قبة البرلمان

وعن عملها والتحديات التي واجهتها تحت قبة البرلمان تقول الدكتورة أدب السعود: "وجودي في برلمان نوعي في تلك المرحلة "المجلس الرابع عشر" وهي أول انتخابات في عهد المملكة الرابعة في عهد جلالة الملك عبدالله الثاني، والذي صادف أول دخول للنساء تحت قبة البرلمان الأردني حيث شغلت النساء 6 مقاعد على الكوتا وكان احتساب الأصوات على مستوى المملكة، وهذا يعني أن المرأة ممثلة وطن وليست ممثلة دائرة محددة، وأيضا يعني أن مساحة مسؤوليتها أوسع وأشمل وأكثر حساسية من أي نائب آخر لأنه يمثل دائرة محددة".

وتضيف: "نوعية أعضاء المجلس آنذاك وطبيعة خبراتهم حيث كان معظمهم من ذوي الخبرات والتجارب العميقة في العمل العام والعمل النيابي بشكل خاص، والبعض الآخر رؤساء حكومات سابقًا وعسكريين مخضرمين ومسؤولي أحزاب، وطبعًا شكلت هذه التركيبة هاجسًا بالنسبة لي في البدايات وشكلت تساؤلات في داخلي تؤرقني حول كيفية ونوعية أدائي داخل المجلس وسط هذه المجموعة المميزة، لذلك حرصت في البدايات أن تكون مداخلاتي محددة للغاية باستثناء بعض الخطابات الرسمية، وطبعًا ذلك لم يستمر طويلًا لأنني سعيت لاكتساب المعرفة من مصادر متنوعة، واطلعت على الأنظمة والتعليمات ذات العلاقة بالعمل البرلماني، وأيضًا كانت الاستشارة والاسترشاد وجمع المعلومات بشكل دائم هي البوصلة التي تقودني خلال عملي مع الالتزام ببرنامجي الانتخابي".

ومن التحديات التي تعاملت معها خلال وجودها كنائب تحت قبة البرلمان؛ نظرة الأغلبية من النواب الزملاء للمرأة ودورها وإمكانياتها والتزامها، فكانوا يستخدمون مصطلح "نساء الكوتا" وكأن السيدات نواب درجة ثانية داخل المجلس، علما بأن عددًا من النواب الرجال قد نجحوا أصلًا عبر الكوتات الأخرى مثل؛ كوتات الشركس والشيشان، المسيحيين، والبدو، ولم تكن تلك النظرة تشملهم، وهذا يعكس طبيعة النظرة للمرأة ويعكس التمييز الذي يمارس ضدها بشكل عام.

كما أن توزيع اللجان الدائمة وتشكيلة المكتب الدائم للمجلس وسفر النواب لتمثيل المجلس خارجيًا كانت تسيطر عليها النظرة السائدة تجاه المرأة ومنها؛ أن المرأة فقط ستشارك في تركيبة اللجان ذات الطابع الاجتماعي أو المؤتمرات الخاصة بالمرأة وقضاياها فقط وليس في الشأن السياسي بشكل عام، لذلك كثيرًا ما دخلت الدكتورة أدب السعود في حالة جدل مع الكثيرين حول ذلك ورفضت هذا التعامل وهذه النظرة القاصرة والتمييزية بذات الوقت، وإثر ذلك ترشحت لعضوية لجان؛ الشؤون الخارجية، الصحية، البيئة، ولجنة التوجيه الوطني، وعضوية لجنة مشتركة مع مجلس الأعيان "اللجنة البرلمانية للسكان"، ونائبة رئيسة لجنة المرأة في الاتحاد البرلماني العربي.

أدب السعود النائب والخال الوزير

ومن المواقف التي شكلت تحديًا لها خلال عضويتها في مجلس النواب عندما أصبح خالها الدكتور صبري اربيحات وزيرًا للتنمية السياسية، وتقول الدكتورة أدب السعود: "في جلسة منح الثقة حول الموازنة العامة كنت معه تحت قبة البرلمان حيث كنت محسوبة تمامًا من البعض على الحكومة عند التصويت لاعتقادهم بتأثير خالي الوزير الدكتور صبري على توجهاتي وتوجيهي، والذي كان ضمن تشكيلة تلك الحكومة وكنت بين خيارين منح الثقة أو حجبها، وفوجئ الجميع بما فيهم الدكتور صبري أني حجبت الثقة، انطلاقًا من موقفي وقناعاتي من تلك الحكومة وسياساتها، ولم يكن أبدًا موقفًا شخصيًا، بالمقابل كان خالي الوزير متفهمًا لموقفي ودوافعي تمامًا، ولم تكن تلك المواقف لتفسد العلاقة أبدًا بين أب وأبنته".

كلمة أخيرة للنساء

لقد أضافت لي التجربة البرلمانية الكثير من المعرفة في شتى المجالات، بالإضافة لصقل الشخصية السياسية التي يُمكن أن تكون أنموذجًا لمشاركة المرأة في الحياة العامة، وأيضًا تلك التجربة ساعدتني كثيرًا على المساهمة في تغيير النظرة للمرأة في مجال العمل العام، وبالتالي كانت العوائق الثقافية والاجتماعية المقيدة للمرأة تتداعى وهذا مفيد للمرأة والمجتمع بشكل عام.

لذلك على المرأة أن تسعى للحصول على حقها ودورها في المشاركة المنصفة سواء بالحيز الخاص أو الحيز العام، وأن لا تحصر دورها في الدور الاجتماعي فقط على أهميته الذي لا أنكره وأجله كثيرًا، وأن عليها أن لا تنتظر أن يمنحها أو يهبها أحد ما هذه الفرصة، لأن الحق هدف سام يجب أن نسعى للحصول عليه ونجند الموارد المتاحة لذلك، وذلك بالعمل الدؤوب والإرادة التي لا تنكسر، بالإضافة للسعي لبناء الذات؛ اجتماعيًا، سياسيًا، اقتصاديًا، قانونيًا ومعرفيًا وعلى مختلف الأصعدة، وفوق كل ذلك الإيمان والثقة بالنفس مع التوكل على الله الذي لن يخذل صاحب حق يسعى وراءه.

الحياة في مواجهة الموت
الدكتورة/ إسراء الطوالبة

الدكتورة إسراء أحمد الطوالبة أول طبيبة أردنية متخصصة بالطب الشرعي ومديرة إدارة الأزمات في وزارة الصحة من مواليد 17/ 4 / 1972 حاصلة على درجة البكالوريس بالطب العام من جامعة الفاتح في ليبيا، التحقت بالعمل في وزارة الصحة في عام 2003 وحصلت على البورد الأردني بتخصص الطب الشرعي .

تقول الدكتورة الطوالبة : "طلبت لقاء مع مدير المركز الوطني للطب الشرعي، حينها، مؤمن الحديدي. فأخبرته برغبتي في التخصص في الطب الشرعي، فردّ على طلبي: "هل أنت متأكدة وجادة؟"، فأكدت له رغبتي. وبعد حديث مطول لمس الدكتور إصراري، ووافق على الالتحاق والتدريب. وبعد 4 سنوات حصلت على الاعتماد الرسمي كمتخصصة طب شرعي، وذلك عام 2007 بعد أن أنهيت التدريبين النظري والعمل

ولدت الدكتورة إسراء لأسرة أردنية من محافظة اربد شمال المملكة من الطبقة المتوسطة مكونة من 4 بنات وولد وحيد، وتزوجت في عام 1999 ولديها 3 من الأبناء جميعهم على مقاعد الدراسة وحياتها موزعة بين عملها واهتماماتها والاعتناء ومتابعة شؤون أبنائها ككل أم.

والدكتورة إسراء امرأة متميزة من حيث جرأتها واختياراتها، فاختارت تخصصها في مجال الطب الشرعي كأنثى، مع أنه ليس من السهل أن تقدم أنثى في سن مبكرة على خيار فيه كسر للمألوف وللحواجز وإن كانت وهمية في بعض الأحيان، حيث لم تسبقها امرأة في مجال الطب الشرعي في الأردن والذي كان لسنوات مضت ساحة ذكورية بامتياز.

وتصف الدكتورة إسراء نفسها: "لعل من أبرز سماتي تلك الاستقلالية التي تصل حد التحدي، مما قد يستفز البعض حتى داخل العائلة ويصل حد العقاب تحت ذريعة التمرد والعناد، لذلك وصفت أحيانًا بالمتمردة القاسية وطبعًا هذا ليس حقيقيًا ففي داخلي ما زالت تعيش طفلة مشاكسة ربما لم تغادر عامها الخامس".

وتضيف: "أسرتي كأي أسرة تقليدية، من سماتها الهدوء والصمت وإن كان أشبه بصمت العاصفة الذي قد يثور في أي وقت، وبالمقابل أنا المشاكسة العنيدة الواثقة بنفسها، لم أكن أهادن على حق اعتقدت أنه لي داخل العائلة أوخارجها، لذلك كثيرًا ما عوقبت وتم تأنيبي لاعتراضي المستمر على تمييز أخي في المعاملة لا لشئ فقط لأنه الذكر وله حظوة كبيرة بالعائلة ألم أقل أنني نشأت في عائلة تقليدية بسيطة وطيبة بذات الوقت؟".

الترحال في السكن والدراسة أساس في حياتها

تقول الدكتورة إسراء: "طفولتي كان فيها ترحال دائم مع العائلة لذلك كانت من جانب تعكس حالة من عدم الاستقرار المكاني ولكنها في الجانب الثاني نمّت لدي قدرات مميزة وقدرة عالية على التكيف والتأقلم، بل والاندماج السريع مع الجغرافيا والأشخاص بغض النظر عن أوجه الاختلاف التي لم تعنِ لي يومًا نوعًا من الخلاف مع الآخر".

وتضيف: "وطنت نفسي على الترحال الدائم مع العائلة، وأنني قد أغادر هذا المكان أو ذاك في أي وقت لذلك لا أتعلق بمكان أو أشخاص قد يرحلون ويختفون من حياتي في أي وقت، وتعجبني مقولة لا تعشق الغرباء فإنهم دومًا على رحيل، وبالمناسبة تلك آلية دفاعية عن الذات وحماية للذات بنفس الوقت من الإحساس بالفقدان سواء للشخوص أو جغرافية المكان".

وتشير الدكتورة إسراء إلى أنها تنقلت مع أسرتها بين عدد من المدن الأردنية بحكم عمل والدها الذي عمل في الاستخبارات العسكرية، وفي سن التاسعة من عمرها انتقلوا للعيش في دولة الإمارات العربية المتحدة حيث عمل والدها لاحقًا، ثم عادوا للأردن في عام 1986 وبعد ثلاث سنوات غادروا مرة أخرى للعيش في ليبيا، وهناك أتمت دراستها ومن ثم التحقت بجامعة الفاتح لدراسة الطب، وتقول إسراء "لليبيا مكانة خاصة في ذاكرتي ووجداني، فهناك عشت سنوات جميلة لن ولم انساها ودوما يأخذني الحنين لتلك البقعة من وطننا العربي".

اللغات ودراسة الطب

تقول الدكتور إسراء: "في الحقيقة لم أختر أن أكون طبيبة، فأنا أحب اللغات، لكن الأسرة كان خيارها دراسة الطب، لذلك وبصراحة أجبرت على دراسة الطب، فأسرتي رغم محافظتها الشديدة كان لديها حرص شديد على التعليم في المجالات التي يختارونها، وأذكر في هذا السياق أنني رفضت الذهاب للجامعة والانصياع لهم وبقيت سنة جالسة بالبيت وبالنهاية انتصرت إرادتهم ورغبتهم، وخوفًا من أن ابقى بالبيت دون تعليم تراجعت عن موقفي الرافض والتحقت بجامعة الفاتح لدراسة الطب".

لماذا اختارت العمل في مجال الطب الشرعي؟

وتقول الدكتور إسراء: "تخصصت بالطب الشرعي لكوني درست الطب مجبرة ولم استطع الالتزام مع أي من المشافي التي سبق لي وعملت بها لعدم قناعتي بما أعمل، أما توجهي لدراسة الطب الشرعي فتلك قصة أخرى تمامًا، فقد اخترت ذلك عن قناعة تامة رغم كل التحديات والمعيقات التي واجهتني، وهذا زاد من رغبتي وعمق إيماني بما أنا مقبلة عليه، ولقد بذلت جهدًا حثيثًا حتى استطعت الحصول على القبول، في حين وصل الأمر لممارسة التخويف من هذا المسار لذلك أحببت ما اقتنعت به، ولذلك أعتقد أن الإنسان عندما يختار بحرية يصنع المستحيل بل ويبدع في مجال عمله، فأنا لم أتردد لحظة واحدة في قراري هذا".

وتتذكر أول يوم دوام لها في المركز الوطني للطب الشرعي وتقول: "أخذت جولة لوحدي داخل الأقسام وقادتني قدماي لمشرحة الموتى، لم أشعر بالتردد ولا الخوف ولا القلق ولا التقزز، بل بقيت ثابتة في مكاني أتأمل كل ما حولي بدقة إلى أن كسر حاجز الخوف بداخلي، ومنذ زمن طويل ما عدت أخشى حتى الموت بكل ما يعني، وأشعر بأن بداخلي صلابة عصية على الانكسار، لذلك أشعر أنني استثنائية في قراراتي وخياراتي واستقلاليتي وتلك من أبرز صفاتي".

وتضيف: "أنا مؤمنة تمامًا بالروحانيات لكنني لا أؤمن بالغيبيات إن لم تشكل قناعة راسخة في أعماقي خصوصًا إذا ما كانت تلك الغيبيات تناقض العقل والمنطق، وربما دراستي للطب الشرعي رسخت لدي تلك القناعات، فأنا أؤمن بالمنطق والتحليل وأسعى للتميز دون تكبر أو تجبر، ولدي حب للمعرفة المتجددة تصل حد الشغف".

ومفهومها عن الطب الشرعي يعني لها البحث عن الحقيقة والعدالة حتى في أكثر الأماكن صعوبة أو في أعماق جسد فارق الحياة منذ زمن أو لتوه، وهذا التخصص وافق تمامًا قناعاتها الفكرية وتناغم مع اتجاهاتها بالبحث والاعتماد على الدليل العلمي والمنطقي والتحليل، لذلك وجدت نفسها في هذا المجال الذي قد يجده الكثيرون صعبًا للغاية.

وفكرة التعامل مع علم متخصص في البحث عن أدلة إثبات جرمية أو نفيها هو لغايات تحقيق العدالة وإدانة الجاني وأخذ حق المظلوم والمعنف بذات الوقت في بعض الوقائع كما تقول الدكتورة إسراء، وهو أيضًا خيار قد لا تحبذه الكثيرات من الإناث، لأن العمل في مجال الطب الشرعي ليس بالأمر السهل أو المحبب للبعض، بالإضافة إلى أن الولوج لعالم ليس للإناث فيه حضور سابق كان دافعًا لها للإبداع والتميز وترك بصمة أنثوية في تخصص ذكوري بالمطلق، بل وقد يراه الكثيرون هو عالم التعامل مع الأموات والجثث، ولكن الدكتورة إسراء تؤكد أنه علم متخصص في البحث عن الحقيقة وتحقيق العدالة

في محيط صـعب وأن الكثير من الأدلة قد تسـكن الموتى والجثث، وأن العثور على هذه الأدلة هو الحكم بالبراءة للبعض في الكثير من الأحيان وأيضًا إدانة للجناة في الجانب الآخر.

حياتها العملية

عملت الدكتورة إسراء في عدد من الأماكن بعد تخرجها، منها مستشفى فيلادلفيا، مستشفى الأردن كمقيم باطني، ومستشفى الأمل للتوليد إلى أن عملت مؤخرًا مديرة لمستشفى التوتنجي.

وتطوعت مع العديد من المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية والمحلية، وقبل حوالي 3 سنوات عملت مع منظمة دولية مقرها تونس تختص في مجال الصحة الإنجابية وكانت مسؤولة قسم "الحاجات غير الملباة مثل؛ حاجات الجندر، الصحة الإنجابية، الإجهاض، وحقوق مرضى الإيدز"، وتقول الدكتورة إسراء: "كان عملًا صعبًا لكنه كان أيضًا مجالًا لمعرفة مختلفة".

وبالعودة لعملها في الطب الشـرعي تقول: "منذ تعييني في المركز الوطني للطب الشـرعي واجهت نوعين من الناس وأعني الزملاء، فمنهم من بدا داعمًا وناصـــحًا لي، ومنهم من تفنن في وضـــع المعيقات والصعاب أمامي، لكنني كما قلت أنا امرأة أركض وراء أحلامي وأيضًا صلبة للغاية ولا أنكسر ولدي قدرة على العمل تحت الضـغوط، لذلك لم أدعهم يؤثرون علي وإن كان وجودهم يسـبب لي الضـيق، فأنا أعتقد أن رحلة العمر قصـيرة ولا تحتمل إضـاعة الوقت أو العيش في مشـاحنات ومناكفات لا داعي لها، بل هي تعطل عملنا وتعيقه وبالتالي ذلك اعتداء على أصـحاب الحقوق من حولنا، خصـوصًـا أن عملنا في غاية الأهمية والحساسية والخطورة ولا يحتمل التأخير" .

عالم الموتى

أما فيما يتعلق بعالم الموتى كما يحلو للبعض تسـميته، فمن أقســى المشــاهد التي توجع القلب وتدمية جثث الأطفال في المشرحة وتقول الدكتورة إسراء: "عندما أقوم بتشريح جثة طفل معتدى عليه سواء كان ضحية عنف أسري أو مجتمعي أو كان ضحية اعتداء جنسي كالاغتصاب ومن ثم القتل، تكون تلك من أكثر اللحظات التي تسبب لي الغضب الشديد والحزن في وقت نحن نبحث فيه عن الحقيقة والدليل الذي نسـتطيع بوسـاطته أخذ حق هذا الطفل، أشـعر أنني لسـان حاله حين أخرس الموت صـوته وغيبه، لذلك أجتهد كثيرًا وطويلًا بحيث أبحث بدقة متناهية في كل تفصـيلة لأصـل للحقيقة وأحقق عدالة لروح بريئة ارتقت إلى السماء" .

وفي أول جولة لها في أول يوم عمل وقع نظرها على جثة ذلك الشـــاب الذي اختفت معظم ملامح وجهه وهو غارق بدمه لأنه مات منتحرًا بخرطوش، وبقيت لفترة تتأمل ذلك الجسد الغارق في دمائة متسائلة هل قتل؟ هل فعلا مات منتحرًا؟ هل هو مريض؟ هل دُفع للانتحار؟ هل كان ســـعيدًا في حياته أم شـــقيًا؟

وأسئلة كثيرة دارت بذهنها تلك اللحظات، فكان حوارًا بينها وبين تلك الجثة وتلك الأسئلة هي صلب عملية التحليل وخلف كل سؤال فرضيات بحاجة للنفي أو للإثبات والتي ستوصلها للحقيقة وهي تلك الفلسفة التي قام عليها الطب الشرعي.

ومن أقسى المشاهدات في المشرحة تقول الدكتورة إسراء: "صورة تلك الأم الشابة حيث لم تتجاوز الثلاثين من العمر، التي توفيت فجأة بلا مرض وطُلب مني أن أقوم بتشريح جثتها للتأكد من عدم وجود شبهة جنائية، وكانت أم حديثة الولادة ولديها طفل لم يتجاوز 5 أشهر كما قيل، وكان منظر الحليب الذي يتدفق من ثدييها وكأنها تستجيب لبكاء طفلها من العالم الآخر، فالمشهد أحزنني طويلا وأبكاني".

كلمة أخيرة للنساء

رسالتي لكل امرأة تظن أنها ضعيفة ولا حول لها ولا قوة أقول لها: "ذلك وهم زُرع في أدمغتنا كنساء والبعض منا صدقناه .... صدقيني لا يوجد امرأة ضعيفة هناك امرأة مخدوعة بالوهم أو خدعت نفسها لأن تلك الحواجز وهمية يُمكن تخطيها بالإرادة والسعي وراء المعرفة المتجددة حتى لو خارج قاعات الدرس والتعليم الاكاديمي .... عليك العمل على استثمار الموارد المتاحة وهي كثيرة ومتجددة وسهلة الوصول إليها في عصر التكنولوجيا وأدواتها المتنوعة.... اصنعي حلمك الخاص وهناك دائمًا أمل .... وإن لم تستطيعي رؤية نور القمر حاولي رسمه وامشي على خطاه".

وأيضا تذكرن أيتها النساء العاملات في كل المجالات عندما يسند لك إدارة ما أو مهمة ما فهناك احتمالين لا ثالث لهما، إما أنهم يمتحنونك وهنا عليك المثابرة ثم المثابرة لإثبات جدارتك لأن النساء في بلادنا عليهن بذل عشرة أضعاف ما يبذله الرجل للوصول لنفس الهدف، أو أنهم يسعون لإفشالك لذلك ثابري ولاتيأسي وفي النهاية لكل مجتهدة نصيب.

"حكاية إنسان"

الأستاذة/ آسيا ياغي

آسيا ياغي شابة أردنية شغلت منصب عضو مجلس الأعيان الأردني التاسع والعشـرون 2022 ، أقل ما يقال عنها أنها "المرأة الحديدية" لها مسـيرة حياة مختلفة وذات لون وطعم خاص بسـبب الإعاقة الحركية التي لازمتها منذ طفولتها، تلك الإعاقة التي شـكلت لاحقًا في حياتها حافزًا للتقدم والعطاء وتحدي الذات، ولم تثنها يومًا عن خوض أي من المجالات العامة لخدمة هذا القطاع والذي يشكل ما نسبته 4،12% من تعداد السكان في الأردن.

ونشـأت آسـيا في أسـرة داعمة وأقل ما يقال عنها أنها محظوظة بتلك الأسـرة التي شـكلت طوق حماية ودعم لها منذ صـغرها ولم يكن هذا الطوق يومًا طوق عزل وإقصاء بدعوى الحماية كما قد يحدث للعديدين من الذكور والإناث في هذا القطاع.

وتقول آسيا ياغي عن أسرتها :"أسرتي مختلفة ولكن بالتأكيد هناك أناس يشبهونهم بالعطاء، تلك الأسرة التي عملت على تشجيعها وانخراطها بالحياة العملية والمهنية والتطوعية كما الآخرين لا تمييز لها بسبب الإعاقة لها حقوق وعليها واجبات وهذا ما تعلمته من أسـرتها ووالديها بالتحديد، فالمعاملة واحدة مع الأشقاء والشقيقات وليس هناك معاملة تفضيلية لها، كما تتعلم الأخذ عليك العطاء، وأسرتها ميزتها فقط في الجانب الصحي ومستلزماته نظرًا لخصوصية وضعها وذلك للتكيّف والتخفيف عنها وكان لهذا التدخل الأثر الهام في مسيرتها في مختلف الجوانب".

آسـيا اجتازت 38 عملية تدخل طبي منذ صـغرها وذلك بمتابعة دؤوبة من الوالدين اللذين حرصـا على تسليحها بكل ما يلزم خلال مسيرة حياتها وتنقلوا بها بين عدد من البلدان طلبًا للدعم والتقوية لمساعدتها.

وتقول آسـيا: "أخبرتني عائلتي أنني مشـيت وعمري 9 أشـهر، لكن القدر شـاء لي أن أتوقف عن المشـي كباقي الأطفال في عمر السنتين بسبب حادث لحقه خطأ طبي، وبدأت حياتي التعليمية ككل الصغار في منطقة سكني والتي كانت تبعد عن منزل العائلة 2ـــ3 كيلو يوميًا، وتلك كانت معاناة يومية وكنت أمتنع عن شرب الماء كي لا أضطر للذهاب لدورة المياه لأنها ليست مجهزة بـــ"كراسي تواليت" لأمثالي وأبقى عطشى حتى نهاية اليوم الدراسي".

وتضـــيف : "المعاناة في الدراســـة للتحدي وبالصـــبر وبالمثابرة والتي شـــكلت لاحقًا جزءً من ســـماتي الشـــخصـــية، تابعت دراســـتي حتى المرحلة الثانوية في مدرســـة الحســـين الثانوية/ جبل النزهة ثم أكملت مســـيرتي التعليمية بموجب منحة تم التقدم لها من دون علمي من خلال والدتي وشـــقيقتي وذلك للكلية الملكية البريطانية، وفزت بالمنافســـة من بين 150 متقدمة ومن ثم حصـــلت على الشـــهادة الجامعية تخصص "سكرتاريا وإدارة مكاتب".

نقطة تحول

التحقت فور تخرجها بعمل مكتبي في مكتب سمو الأميرة ماجدة في جمعية الحسين، ثم انتقلت للعمل في مكتب سمو الأمير الحسن بن طلال لمدة 9 سنوات ونصف السنة في الديوان الملكي وهنا تتابع آسيا حديثها قائلة: "حين تقدمت بطلب عمل لمكتب سمو الأمير الحسن وتلقيت اتصالًا منهم للمقابلة قلت لهم أولًا انا لدي إعاقة حركية وأمشـي بمسـاعدة عكازات أو كرسـي متحرك وكنت أتوقع انهم سـيعدلون عن مقابلتي لكنني فوجئت بردهم قائلين "انت تعالي للمقابلة وبعدين بنشـوف"، وبالفعل ذهبت للمقابلة كما أنا بامكانياتي ومواردي المذكورة في سـيرتي الذاتية، وبعد المقابلة سـألوني هل تباشـرين العمل فورًا أم غدًا وقاموا بتسليمي مكتبي الخاص، فكان ذاك يوم مميز في حياتي لا أنساه أبدًا، وشعرت أنني إنسانة كاملة كباقي البشر وهذا عكس لي الأخلاق الرفيعة والاحترام لآدميتي وكرامتي الإنسانية".

"أنا انسان"

وتقول آسـيا: "قبل عملي مع مكتب سـمو الأمير الحسـن واجهت كمًا هائلًا من الصـعوبات والتحديات خلال بحثي عن فرصـــة عمل ومنها على ســـبيل المثال لا الحصـــر، أنني كنت قد تقدمت بطلب عمل للعديد من الشـركات والمؤسـسـات التي كانت قد أعلنت عن حاجتها لموظفين في مجال تخصـصـي أو أعمال السكرتاريا والعلاقات العامة، من خلال إرسال سيرتي الذاتية وكنت أذهب للمقابلة بطلب منهم بناء على مؤهلاتي المذكورة في السيرة الذاتية وكثيرًا ما سمعهتم يقولون عندما يشاهدوني "هاي شو جاي تعمل عنا ليس لها مكان بيننا غير مناســـبة اعتذروا لها"، رغم أنه كانت لدى الخبرة بالعمل مع ســـمو الأميرة ماجدة وأتقن اللغة الإنجليزية ولدي مهارات وكفاءة للعمل حتى تحت الضـغط وأحمل شـهادة جامعية ولا أطلب معاملة خاصـة لي بسـبب الإعاقة، إلا أنهم كانوا يرفضـون والبعض يعتذر والبعض يرفض بقسـوة وإن لم تقولها كلماتهم كانت تنطق بها عيونهم، بالإضافة إلى نظرات الشفقة القاتلة".

وبعد هذه المواقف المؤسفة خطر ببالها فكرة تأسيس مركز خاص تطوعي يُعنى بفئة ذوي الإعاقة وتقول: "أذكر في حينها أنني أسـتشـرت سـمو الأمير الحسـن بذلك وما كان منه إلا أن شـجعني بقوة قائلا لي:

ابدأي العمل فورا بتأســـيس المركز فأنت جديرة بذلك ولديك القدرة بالتأكيد، وفعلًا باشـــرت بالعمل على تأسيس جمعية أنا انسان".

وتلك الخطوة شكلت نقلة نوعية لعالم آسيا ياغي رغم الصعاب التي واجهتها خلال ترخيص ذلك المركز التطوعي، وهي أول جمعية تأســسـت في مجال الاعتناء بالاشـخاص ذوي الإعاقة سـنة 2008 وكان الهدف من إنشاء هذا المركز هو لفت نظر المجتمع والمسؤلين والأهالي وكل ذوي العلاقة لهذه الفئة من المجتمع، والعمل على رفع الوعي بالحقوق كما الواجبات وأيضًـا التوعية بالقانون الذي يكفل هذه الحقوق، وكذلك الاهتمام بالتدريبات بكل أنواعها من بناء القدرات، للمناصـــرة وكســـب التأييد، وبناء المهارات، والتشغيل والمطالبة بالحقوق والسعي وراء تحقيقها، والدعم الاجتماعي والنفسي وتقديم الأدوات المساعدة وإعادة التأهيل".

تكريم ملكي

وتم تكريمها من قبل العديد من المؤسـسـات والهيئات الرسـمية والأهلية ومنظمات المجتمع المدني، وهي عضـــو في العديد من الهيئات المحلية والإقليمية والدولية، حيث تم تكريمها بوســام الحســين للعطاء من جلالة الملك عبدالله الثاني على جهودها المميزة في دعم قطاع الإعاقة وتشـغيلهم، حيث قامت بتشـغيل ما يفوق 500 شـــخص من ذوي/ات الإعاقة، كما عملت كرئيســـة للجنة المرأة في المجلس الأعلى لذوي الإعاقة لدورتين متتاليتين، وعضـــو في المجلس الاقتصـــادي والاجتماعي، ومندوبة الأردن في الشـــبكة العالمية للســياحة، وعضـــو وقائد في حملة مكاني بينكم، وعضـــو في لجنة تكافؤ الفرص لتشـــغيل ذوي الإعاقة في المجلس الأعلى لشـوؤن ذوي الإعاقة، وعضـــو في المنظمة العربية لحقوق الاشـــخاص ذوي الإعاقة، وعضو استشاري في مؤسسة الأرض والإنسان، وقائدة في مؤسسة الحراك الدولي في الولايات المتحدة الأمريكية، ومستشارة لقضايا العنف ضد الاشخاص ذوي الإعاقة في جمهورية مصر العربية، وعضو مؤسس لربطة حقوق المرأة في التنمية في المانيا وعضو في المرصد الاقتصادي الأردني/ طلال أبو غزالة.

مواقف لا تنسى

تقول آسيا ياغي كثيرة هي المواقف والمشاهد والصور التي مررت بها في حياتي، صحيح بعضها شكل لي تحديًا وقوى من عزيمتي رغم الألم والمعاناة في حينها، تلك المحطات كانت تقول "الضـــربة التي لا تقتلني تقويني، ومن تلك المواقف المؤلمة أذكر معاناة خاصـــة لنا مع النقل العام ووســائط النقل الخاص بشكل خاص فهم غالبًا لا يقفون لنا ولا يرغبون بتحميلنا، ومن هذه المواقف توقف سيارة تاكسي لي، حيث نظر الســائق مليًا لعكازتي وربما خجل أن يمشـــي ويتركني في البداية، وعندما حاولت الصـــعود للســيارة

ارتطمت عكازتي بباب السيارة مما استفز السائق فصرخ بي "انزلي يلا خربتي السيارة بعكازتك ودمرتيها"، وأسرع مبتعدًا يتمتم بكلمات غير مفهومة، فمثل هذه المواقف كثيرًا ما جرحتني وأبكتني".

ومن المواقف التي عاشـــتها آســـيا ياغي بخصـــوص إجراءات الإعفاء للخادمة فكانت الوزارة وبعض المؤسسات ذات العلاقة تشترط حضور صاحب الإعاقة شخصيًا لإتمام إجراءات المعاملة والترخيص كذلك، وكان التحدي بالنسبة لشخص ذو إعاقة سواء بالعكازات أو بالكرسي المتحرك في مؤسسات تفتقد للبنى التحتية الخاصة، حيث كنت تضطر لمراجعة 18 مكتبًا لإنهاء المعاملة وكثيرًا ما كان يتدخل بعض الموظفين أو المراجعين لحملها لتلك المكاتب، وهذا ما كان يؤلمها ويشـــعرها بالعجز الذي لم ولن تعترف به يومًا.

رسالتك للناس

احرصـــوا على إعطاء الثقة ثم الثقة لهذا القطاع لأنها حجر الأســـاس، والإيمان بأن ذوي الإعاقة أناس قادرون على العطاء ويســتحقون حياة كريمة كما الآخرين، وأن الأشــخاص ذوي الإعاقة ليســوا مختلفين عنكم فقط الاختلاف هو بالتســهيلات البيئية، وأيضـــا أقول هل يعقل في مجتمع تُشــكل الإعاقة فيه ما نسبته 12.4% بكل فئاتهم أطفالاً وشبابًا ونساءً وشيوخًا أن يكون القانون قاصرًا عن دعمهم أو غير قابل للتنفيذ بمعنى شبه معطل؟ سؤال هو برسم الإجابة لكل مهتم.

الألماس ليس حقيقيًا إنه انعكاس الألوان الأخرى

الدكتورة/ أمل الداغستاني

الدكتورة أمل الداغستاني عميدة كلية التمريض في جامعة عمان الأهلية وهي معارة من الجامعة الأردنية، درست التمريض في جامعة متشيغان في الولايات المتحدة الامريكية.

الدكتورة أمل تزوجت في بداية العشرينيات من عمرها وهي أم لشاب وشابة قامت بتربيتهما وتعليمهما أفضل تربية وأفضل تعليم، متقنة لكل الأدوار المركبة، وعندما تتحدث عن أسرتها ووالدها تحديدًا تتحدث باعتزاز عن دور ذلك الأب وأثره في تربيتها وقيمها وبناء تلك الشخصية واضحة المعالم بلا رتوش.

وتتحدث ببساطة ووضوح وبشفافية عالية تدخلك معها في حميمية تفاصيلها الأسرية، إنها امرأة حقيقية تبذل جهدًا بالابتعاد عن المزيفين، ليس لديها اشتراطات لعلاقاتها الإنسانية والاجتماعية سوى أن يكونوا أناسًا حقيقيين تلك هي أمل الدغساتني التي لا تتقن التزييف المغلف بالمجاملات.

الدكتورة أمل امرأة جميلة المظهر والمخبر والمحضر، تُطالع المتحدث إليها بابتسامة ودودة ومحبة تخبرك فورًا أنها من الأشخاص الذين يسهل التواصل معهم القريبين من القلب، ويشعر المتعامل معها بأنه يعرفها منذ زمن بل قد توحي لك بمشروع صداقة قريبة.

ويقول المقربون منها: "أنها من الشخصيات السهلة والصعبة بذات الوقت، لذلك يجري الحديث معها بكل يسر وبلا حواجز لكن بذات الوقت ضمن ضوابط لا يجوز القفز عليها بأي حال سواء مع طلبتها، أو زملائها أو معارفها، ورغم أن التعامل مع عالم الطلبة حيث الفوارق العمرية والمعرفية يجري عادة من البعض باصطناع حواجز وهمية قد يتصنعها البعض من المدرسين مع جمهور الطلبة لاعتبارات مختلفة، لكن الدكتورة أمل مختلفة تمامًا في هذا الجانب لذلك تقول: "أتعمد مع الطلبة تحديدًا فتح أتوسترادات بيني وبينهم لأصل إليهم، حيث يقع على عاتقي الوصول لأفكارهم وأحلامهم ورؤاهم ومشاكلهم لأتمكن لاحقًا من مساعدتهم ومد يد العون لهم بل ونصحهم، لأن إحساسي بهم إحساس الأمومة بالمطلق أحب لهم ما أحب لأبنائي".

الدكتورة أمل فنانة وذواقة للفن

رغم أن خيار التمريض لم يكن خيارها الأول حيث عشــقت الفنون بأنواعها، كيف لا وهي قد نشــأت في بيت تصدح به أم كلثوم وفيروز، بيت ملئ بالكتب والروايات والشعر.

وعملت في أكثر من بلد وفي أكثر من برنامج كمســتشــارة لوضــع مناهج وخطط لمهنة التمريض في أفضل صورها، وتتقن الكثير من المهارات وتعشق الأشغال اليدوية وتهوى الفنون بكل أنواعها بما فيها فن الطهي الذي تصـــنعهه بمحبة ألم أقل لكم إنها أنثى حقيقية بلا تزييف، وكثيرًا ما تصـــنع هدايا جميلة ومشغولات يدوية تصنعها بمحبة لمحبيها، حيث تلقت في أميركا دورات متخصصة في هذا المجال لذلك يمكنك القول أنها فنانة تحب ما تعمل وتعمل ما تحب. وهنا تعلق قائلة أعشق بساطة الاشياء لان قمة الجمال تعكسها بساطة الاشياء فأنا مثلا لا احب الالماس معشوق الاثرياء وربما حلم البسطاء ، لانه لا لون له بل هو انعكاس الالوان فقط .

الدكتورة أمل تروي حياتها بسطور خطتها بقلمها

تقول الدكتورة: "تربيت في بيت يعشــق الأدب العربي والشــعر والحكم فقد كان الوالد من أوائل من حملوا شـهادة الماجسـتير في الأدب العربي في الأردن والذي أحب مجاله بشـغف، وحبه هذا أضـفى على بيتنا جوًا من الثقافة والحس المرهف وحبًا للغة والقواعد والشعر والموسيقى".

وتستذكر جوانب متعددة من حياتها: "كنا نمضـي الوقت في مسابقة في القواعد أو لعب التنس أو مشاهدة الرياضــة أو إصــابة الهدف أو في مواضــيع ثقافية، وكانت الموسـيقى والأغاني منتقاة فأم كلثوم وفيروز والموسـيقى الكلاسـيكية كانت ترافقنا وقت تناول الشــاي في نفس الســاعة من كل يوم وكنا نُوبَّخ ونُمدح بالشعر والحكم، كانت الكتب من عدة لغات تدخل منزلنا فوالدي يتحدث أثنتا عشرة لغة".

ولها عشــق خاص لوالدتها وتقول: "أما الوالدة كانت تضــفي جو الراحة والحنان والهدوء فهي قد تزوجت صـغيرة وتعلمت بمسـاعدة الوالد المرحلة الأسـاسـية. كان لديها الشـغف في التطور وتسـتمتع بنقاش يطور فكرها فقد كان يحز في نفسـها أنها لم تسـتطع أن تنهي تعليمها، والدتي كانت ولا زالت الحنونة والصـديقة وحافظة أسـراري كانت قوية بعفويتها وبطريقتها الخاصــة، وقد اتفقنا جميعًا أنه إذا أرادت والدتنا شـيئا لا يمكن أن يثنيها أحد عن الوصول إليه".

وعن أسـلوب تربية والدها لهم وكيف انعكس على سـير حياتها تقول: "أسـلوب التربية لدى والديَّ يعتمد على تحقيق الاعتماد على النفس والمشاركة في القرار، لذا لم تكن الحياة سهلة لأننا تعلمنا المسؤولية منذ نعومة أظفارنا وكان والدي يردد دائمًا إننا نحضركم لزمن صـعب لتقفوا على أرجلكم مهما اشتدت الأحوال فالتحديات برأيه تواجه الجميع ذكرًا كان أم أنثى، لذا لم أشـعر يوماً بالتمييز كأنثى، وكأن والدي كان يعلم

بأن حياتي لن تكون ســـهلة فقد تزوجت وبدأت الأمومة في ربيع حياتي في بداية العشـــرين من عمري وانهيت دراســـاتي العليا في أمريكا في جامعتي آن آربر والينوي وكانت فترة دراســـتي في الخارج نقطة تحول في حياتي وفي شـخصـيتي وأسـلوب تفكيري ليس فقط بسـبب ما نهلته من علم وفكر من اثنين من أفضـــل الجامعات الامريكية ولكن بســـبب التحديات التي واجهتها في مقتبل العمر كأم لطفلين تحملت مسـؤوليتهما بشـكل كامل، ومع أن الأمور كانت تزيد عن المحتمل أحيانًا إلا أنني اعتبرتها فرصًـا منحها لي ربي لتزيدني قوة ورضـا ومحبة واسـتقلالية، ومع كل مرحلة كنت أتخطاها مع أطفالي كانت تضـيف علي وعلى أطفالي ثقة وقوة واحترامًا والتي أعطت ثمارها بعد بلوغهم ليصبحوا أقرب أصدقائي".

أما قصـتها عن التمريض تقول الدكتور أمل: "لم اختر مهنة التمريض بل هي من اختارتني وبتشـجيع من والدي كنت من أوائل الملتحقين ببرنـامج البكالوريوس في الجامعة الأردنية، ولكن وبعد التحاقي وجدت نفســـي في هذه المهنة التي فتحت الأبواب على مصـــراعيها أمامي فقد كانت ولا زالت تحتاج إلى من يخلص لها وكانت السبب لتحفيزي للعمل الجاد لكي أترك الأثر في تطويرها".

وتضـيف: "شـاركت في تأسـيس البرامج في الأردن وفي دول المنطقة وقمت بتدريب فئات مختلفة وقدمت الاستشارات والخطط لتطوير المهنة في الداخل والخارج، كما عملت في منظمات عالمية كمنظمة الصحة في اسـتشـارات وعمل قصـير المدى في مكتب المدير الإقليمي وفي منظمات أخرى، وعملت في جامعة السلطان قابوس في عُمان لمدة ثلاث سنوات وتجولت كثيرًا في بلدان عديدة بغاية العمل والسياحة وأقمت في أخرى وكل ذلك أضـاف لشـخصـيتي أبعادًا أخرى في فهم الثقافات واحترام الرأي الآخر وزاد من شـغفي في الاطلاع والعمق والموضـــوعية وفي فهمي ونظرتي للأمور، وإذا ســئلت الآن أقول أنا محظوظة جدًا والحمد لله فالتجارب بالنسـبة لي ليسـت سـلبية وإيجابية فأنا اعتبرها كلها فرصًـا للنمو فقد أضـافت العمق لحياتي فأنا شـاكرة لله على ذلك. كما وعملت في الجامعات المختلفة وتبوأت مناصـب مختلفة، وصـاحب عملي الجانب التطوعي فقد شـــاركت في دعم حقوق المرأة والطفل من خلال نشـــاطات ولجان تطوعية مختلفة واسـتمريت نشـطة لسـنين عدة وسـاهمت في وضـع الأولويات والخطط والتوعية والتدريب والدعم، كما كنت من الفريق المؤسس لبرنامج دراسات المرأة في الجامعة الأردنية".

الجدية والمرونة في التعلم

وللدكتورة أمل أسلوبها في التعليم وتعاملها مع الطلبة وتقول: "أحسست دائمًا بالقرب من طلبتي فأنا ورثت أسـلوب يمزج الجدية بالمرونة لإتاحة الفرصـة للنمو، وطلبة اليوم محتارون بين المعلومة والعلم فكله متاح ومجالات التواصـل الاجتماعي أغدقت حياتهم بكمٍّ من المعلومات تحتاج إلى موضـوعية ومهارات معرفية للتعامل معها وتنظيمها وتصـــنيفها والاســـتفادة منها والقدرة على التمييز بينها، ونحن كمدربين نحتاج أن

نتعامل مع هذا التحدي فمن جهة نحتاج إلى تطوير أســـاليبنا لنواكب المتغيرات والتركيز على خلق الكفايات المناسبة بإتاحة الفرص للطلبة للتعلم وإدارة المعلومات ضمن المعطيات الحالية".

وتعتقد أن الطرق التقليدية في التعليم أصـــبحت لا تحقق الهدف كالســـابق وعلى الجميع الاعتراف بأن الطالب هو محور الجهود التعليمية والتعلمية وإشـراكه في اتخاذ القرار أصـبح ضـرورة، ومواكبة ظروف العصـر الذي يعيش فيه أصـبح لا غنى عنها، وبناء الفكر والقدرة على تنظيم العالم من حوله للتعامل مع العشوائية والخروج بخبرات تعليمية تبني فكرة وشخصيته أصبحت أولوية.

وتضـيف: "المربي الناجح لم تقتصـر خصـائصـه على امتلاك المؤهلات ولكن في استخدام المؤهلات في خلق الأجيال ضمن معطيات هذا العصر وفي خلق الإنسان الذي يستطيع أن يتعامل مع العشوائية دون أن ينجرف خلف حجج قد تبدو مقنعة لكنها تحيد عن الموضوعية والصدق".

هوايات تعشقها

تقول الدكتورة أمل: "هوايتي وشغفي كان دائمًا تصميم المجوهرات والأزياء نميتها بدورات وشهادات متعددة ومن خلال بضـع قطع صـممتها وصـنعتها لنفسـي، أحب الأحجار الكريمة بألوانها ولا أحب الألماس لأنه بلا لون".

نصيحة لكل امرأة

نصـيحتي إلى كل امرأة وإلى ابنتي وصـديقتي وإلى حفيدتي، اسـتغلي وقتك لتتطوري وتتعلمي لا تأخذي الأمور كما تأتي ولكن اعملي على أن تأتي كما تريدين واجعلي همك في إرضـــاء ضـــميرك أنت وليس لمجاراة معايير وضعت لإرضاء غيرك.

واعلمي أن النجاح هو محصـــلة جهود تتراكم يومًا بعد يوم، عليك تحديد أهدافك في الحياة وتوجيه طاقتك عليها بدلًا من تبديدها عشـوائيًا، وتذكري المقولة كل نجاح يحتاج العمل بذكاء وشـقاء وليس هناك طريق مختصر.

وتذكري أن ذلك متعة الحياة وتذكري ما قيل في أن العبقرية هو أن تحملي روح الطفولة إلى الشـــيخوخة وعدم فقدان الحماس، تعلمي أن تضـــحكي وتفرحي وتســـامحي وتحيطي نفســـك بأناس حقيقيين عفويين صـادقين وتجنبي أشـباه الأناس السـلبيين ممن يخفون ضـعفهم وسـلبيتهم بحلو الحديث والمجاملة وكوني صادقة مع نفسك قبل الآخرين.

لا تفريط ولا افراط " تميز وجدارة "
الدكتورة/ إنعام خلف

الدكتورة إنعام خلف من مواليد 1960 من النســـاء الرياديات والمميزات والأوائل في حقل التمريض ومن أوائل الطلبة المميزين في الجامعة الأردنية بكلية التمريض، لهذا تم تعيينها منذ اليوم الأول من تخرجها أي أن يوم تخريجها كان يوم تعيينها، حيث تم إعلامها أنه تمت الموافقة على تعيينها كمســـاعد بحث وتدريس في كلية التمريض للفترة من 1981 – 1983 وذلك لغايات الإيفاد مع أنه في حينها لم تكن قد حصـلت على الماجسـتير في تخصصها.

شغلت منصب عضو مجلس الأعيان الثامن عشر إلى ان صدرت الإرادة الملكية السامية بقبول استقالتها اعتباراً من تاريخ 1/ 10/ 2000.

أما على الصـــعيد الأســـري الدكتورة أمل متزوجة ولديها ابنة مميزة كوالدتها من حيث شـــغفها بالتعليم والتحصيل العلمي وتعيش في الولايات المتحدة الأمريكية.

وتقول الدكتورة أمل: "كنت أول من تخصـص في التمريض بالعائلة حيث معظم أفراد عائلتها ذهبوا باتجاه الطب كتخصص ومهنة مفضلة، وجاء اختياري للتمريض عن قناعة تامة بما أرغب وأفضل وكان معدلي يؤهلني لدراســـة الطب لكنني اخترت مهنة التمريض كمهنة إنســـانية محببة لدي، ولقناعتي أن دور الممرض/ة المؤهل/ة والمدرك/ة لأهمية دوره/ا الإنســـاني والعلمي لا يقل أبدًا عن دور الطبيب في العناية بالمريض إن لم يفوقه بالأهمية".

والدكتورة إنعام من عائلة للتعليم والعلم فيها مكانة مميزة، لها حضور ملفت ومتميز لما تتمتع به من دماثة الخلق وذات خبرة عملية مميزة في مجالها، وهي من الأردنيات اللواتي أثبتن تميزًا وجدارة ونجاحات على مختلف المستويات؛ الأكاديمية والاجتماعية والإنسانية، وتمتاز بطيبة القلب وسعة الأفق، وتمد يد العون لكل من يقصدها ولديها علاقات متميزة مع الزملاء والطلاب، وكانت تلك المواقع التي حصلت عليها في المجال الأكاديمي استحقاقًا لما بذلته من جهد وجد ونشاط في مجال تخصصها.

النشأة والتعليم

الدكتورة إنعام خلف تعود أصولها لقرية لفتا في فلسطين وهي من عائلة ميسورة الحال، وتقول ضاحكة في هذا السياق: "شاعت بين قريتنا والقرى المجاورة أن أهل قرية لفتا من شدة ثرائهم قاموا بتطريز الذهب على أحذيتهم، وكانت تلك إشاعة والصحيح أنه بسبب الاحتلال غادرت مجموعة من أهل البلد إلى أميركا وبلدان الإغتراب وهناك احتكوا بثقافات وعادات مختلفة، وعندما عاد البعض منهم للبلد، قام البعض منهم بتطريز القصب على الأحذية والملابس، وهو ما لم يكن شائعًا في قريتنا أو القرى المجاورة لذلك ظن البعض أنه ذهب، والحقيقة لم يكن ذهبًا أبدًا، وأهل قريتنا يمتازون بالذوق الرفيع وتلك هي أصل حكاية الذهب".

وتلقت الدكتورة تعليمها الإبتدائي في مدارس أريحا ومدارس الكرامة في الأغوار الجنوبية، ثم انتقلت إلى عمان وتحديدًا إلى مدرسة صويلح حيث درست الثانوية العامة وحصلت على الشهادة في العام 1977 للفرع العلمي، والذي مهد الطريق أمامها لبداية مشوار التميز العلمي والعطاء بلا حدود، والذي بدأته بالفعل من الجامعة الأردنية التي التحقت بها عام 1977، وهناك أمضت سنواتها الجامعية الأولى لتحصل بعدها على درجة البكالوريس في التمريض بدرجة امتياز مما أهلها للحصول على بعثة دراسية للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة لاحقًا على نفقة الجامعة الأردنية في الولايات المتحدة الامريكية/ جامعة نيويورك حيث أمضت 6 سنوات لتعود ومعها درجة الماجستير في التعليم الصحي والتمريضي، ومن ثم عادت واستكملت متطلبات الحصول على درجة الدكتوراة من نفس الجامعة في العام 1989 في تخصص تمريض الوالدية والأطفال وكان موضوع رسالتها: "حزن الأمهات على فقدان أطفالهن نتيجة الإصابة بالأمراض المزمنة أو الحوادث"، وكانت عينات الدراسة من المجتمع الأردني.

وبعد الانتهاء من الدراسة في أميركا عادت للأردن لكلية التمريض لتساهم بمعرفتها وتحصيلها العلمي وقدراتها المميزة في مجال التمريض في بناء الوطن بكل الانتماء للمهنة والوطن والمجتمع.

وتستذكر الدكتورة أنعام العديد من الزملاء والزميلات والشخصيات التي تركت بصمة مميزة على قطاع التمريض وعلى الطلبة والطالبات الذين التحقوا بهذا التخصص ومنهم على سبيل المثال لا الحصر؛ الدكتورة هيوارث حيث كانت الكلية تتبع في حينه لكلية العلوم الطبية وأيضًا الدكتورة منار النابلسي، الدكتورة سوسن المجالي، سلوى شحروري، ماجدة عثمان، الدكتور جميل الصمادي والدكتورة علياء محادين.

وتتابع القول: "كانت حياة الجامعة من أجمل سنوات العمر حيث كانت بداية المشوار للانطلاق للعالم الأرحب والأكثر سعة عالم العمل، كان للجامعة ولمدرسينا الذين نكن لهم كل المحبة والتقدير والذي لا

يقل دورهم وتأثيرهم عن دور الأباء من حيث صقل الشخصية وتنمية المواهب وبناء المهارات والكشف عن الإبداعات والميول المتميزة لمجتمع الطلبة آنذاك وكانوا يحرصون وبنفس الدرجة على البناء المعرفي كما البناء السلوكي والقيمي والأخلاقي والاجتماعي للطلاب والطالبات، وكانت علاقات الطلاب والطالبات ببعضهم أيضًا متميزة تقوم على الاحترام والود والمساواة، وذلك كان ينعكس من خلال الأنشطة المتنوعة داخل الجامعة والتي كانت تقابل بكل الدعم والتعزيز والرعاية من قبل الرئيس الدكتور عبد السلام المجالي في ذلك الوقت، وفي حقيقة الأمر كانت وما زالت بصمة هذا الرجل المهم واضحة جلية لكل من ارتاد كلية التمريض في الجامعة الأردنية، بدءاً من مرحلة تأسيسه لكلية التمريض خلال فترة ترؤسه للجامعة الأردنية، لذلك يستذكره الجميع بكل الاحترام والتقدير كما كل من سعى وعمل على دعم هذا الصرح التعليمي الهام".

ووالد الدكتور إنعام هو عبدالله علي خلف من مواليد قرية لفتا/ القدس في العام 1928، حيث تلقى تعليمه في مدرسة المعارف في فلسطين، وكان الأول على دفعته في الثانوية العامة، وقد أظهر والدها في حينه تميزًا كبيرًا في مادتي اللغة الانجليزية والرياضيات، إلا إنه لم يتمكن من إكمال تعليمه لوجود شقيقين له كانا يدرسان الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت وهما؛ الدكتور محمد خلف مدير الخدمات الطبية الملكية سابقًا والدكتور أحمد خلف الذي عمل كمدير لمستشفيات الأمراض النفسية في بيت لحم والفحيص.

والتحق والدها بمهنة التعليم لاحقًا بمدينة جدة في المملكة العربية السعودية، حيث عمل كمترجم لعدة شركات، أما والدتها دولت قاسم من مواليد لفتا في فلسطين وهنا تقول الدكتور أنعام خلف: "والدي ووالدتي لهما الفضل الكبير فيما حققته أو وصلت له من نجاحات، وأدين لهما بالفضل الكبير لما لهما ولتربيتهما من أثر على بناء شخصيتي ووعيي وعلمي واتجاهاتي الفكرية، كانوا يحرصون دائمًا على بناء الجانب المعرفي والمهاراتي والأخلاقي كما الجانب العلمي تمامًا".

ولم يمضِ أكثر من عامين حتى ارتحلت أسرتها عائدة إلى فلسطين بسبب طبيعة عمل والدها الذي كان يعمل آنذاك مدرسًا للغة الإنجليزية مع وكالة الغوث الدولية لإغاثة وتشغيل اللاجئين – الأونروا، وبناء على ذلك استقرت الأسرة في أريحا من العام 1962 ـــ 1968 وذلك ليتمكن الوالد من متابعة عمله في ذلك الوقت في مدارس الكرامة في الأغوار الجنوبية حيث كان يرتحل يوميًا من منطقة الكرامة حيث يعمل إلى منطقة أريحا حيث تسكن العائلة.

مواقع ومناصب تقلدتها وجوائز حصلت عليها

المتتبع للمواقع والمهام التي أســـندت للدكتورة إنعام يرى بوضـــوح حضـــورًا لافتًا وتنوعًا مميزًا ينم عن شخصية مثابرة مجتهدة مدركة لأهمية دورها في الحيز الخاص والحيز العام.

ومن المواقع التي تقلدتها؛ مساعد عميد كلية التمريض، رئيسة قسم الأمومة والطفولة لمدة 5 أعوام من 1991 . 1996، نائب العميد لكلية التمريض من 1995 . 2011، مديرة مكتب خدمة المجتمع من 2003 . 2007، عميدة كلية التمريض من 2007 . 2011، نائبة الرئيس للشؤون الأكاديمية وعميدة لكلية التمريض بجامعة عمان الأهلية في العام 2011، عميدة كلية الدراسات العليا للبحث العلمي، أيضًا هي عضو مجلس أمناء جامعة اليرموك منذ العام 2010، وعضو مجلس أمناء جامعة الزيتونة من 2009-2010، دكتورة في جامعة الأميرة نورة بالمملكة العربية السعودية، وحاليًا تعمل كأستاذ دكتور/ بروفسور تخصص تمريض في الجامعة الأردنية وعضو مجلس التعليم العالي في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وجاء تعيينها بإرادة ملكية سامية.

كما كانت عضوًا مهمًا في العديد من اللجان داخل وخارج الجامعة الأردنية موطنها الأم ومنها على سبيل المثال: عضو المجلس الأعلى للشباب، رئيس لجنة التوعية الصحية سابقًا، رئيس مجلس إدارة حضانة الجامعة الأردنية، عضو لجنة التحرير/ مجلة دراسات الجامعة الأردنية، رئيس تحرير مجلة البلقاء للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مقيّمة للعديد من البرامج الصحية التابعة للوكالة الأمريكية للإنماء الدولي، مشاركة أساسية في تطوير برنامج البكالوريس في جامعة تشرين/ اللاذقية/ سوريا وفي عدة جامعات أخرى، والمستشارة المحلية للـ"usaid " لتقييم برنامج جودة الخدمات في مجال تنظيم الأسرة والرعاية الصحية، عضو جمعية خريجي الجامعات والمعاهد الأمريكية، الإشراف على مساق الأمومة والطفولة في برنامج اختصاص طب المجتمع/ البورد الأردني ورئيس فريق تطوير استراتيجية الأسرة والطفولة لعام 2002 وعضو لجنة الاشهاد لاستئصال شلل الأطفال الوطنية. ونشرت العديد من الأبحاث العلمية في مجال التمريض في مجلات محلية وعالمية.

والدكتورة إنعام حائزة على العديد من الجوائز والتكريمات من عدة جهات نظرًا لعملها وتميزها ودماثة أخلاقها التي هي جزء أصيل من شخصيتها وبنائها الفكري والعلمي والقيمي، ومن أبرز تلك الجوائز؛ جائزة سمو الأميرة منى للتميز في مجال التعليم والقيادة والإدارة "قلادة رفيدة الاسلمية" في التمريض، كما حازت على جائزة الباحث المتميز من الجامعة الأردنية للعام الأكاديمي 2004/ 2005 والعام الاكاديمي 2010/ 2011، وتم ترقيتها لرتبة أستاذ/ بروفسور من عدد من الخبراء العالميين حيث حصلت على أعلى تقييم على مستوى الجامعة الأردنية لعدة سنوات وكان تقييمها هو 4. 72 من 5 درجات وهو ما ينم عن علم وخبرة وتميز في المجال.

أبرز هواياتها

من أبرز هواياتها القراءة ولعب التنس، وهي من القلائل اللواتي امتلكن ذلك التمازج بين الأدوار المتنوعة للمرأة دون أن يكون هناك غلبة لأحدهما على الآخر سـواء الدور الأمومي والأسـري أو الأدوار المتعددة للعمل والمهام المختلفة، تلك هي الدكتورة إنعام خلف أنموذج للمرأة الريادية أينما حلت.

كلمة أخيرة للنساء

رسالتي للمرأة عليها الاهتمام بكلا الدورين دون تفريط أو إفراط لأحدهما على الآخر، بمعنى دور الأمومة دور مقدس وتربية الأجيال مهمة ليست سهلة وعظيمة في كل معانيها، وهي تصب بالمحصلة في سوية الأسرة والمجتمع والدولة حيث ننتمي بكل اعتزاز، لكن علينا أيضًا أن نكون عادلين ومنصفين مع أنفسنا وحقوقنا واحتياجاتنا ولا يعني أبدًا أن تربية الأطفال والاعتناء بالأسرة تعني بقاءك أسيرة المطبخ وأواني الطهي، فكلا الدورين الخاص والعام هما نوع من الاستثمار لا يجدر التفريط به، وأنت قادرة على أداء الدورين بكل اقتدار إن امتلكت الرؤية والإرادة والشغف.

لست متمردة ولا أعاند الأقدار وأحلامي تتحقق
القاضي/ تغريد حكمت

العين تغريد مصطفى حكمت من مواليد العاصمة عمان ومسجلة في قيود الزرقاء، أطلقت عليها والدتها اسم تغريد تيمنًا باسم زوجة عبد الرحمن الداخل "أم البنين تغريد" لاهتمام وإعجاب والدتها بسيرة هذه الشخصية التاريخية، لذلك هي تعتقد أنها أول تغريد في الأردن.

وتغريد متزوجة من زيد الحباشنة الحاصل على وسام الكوكب الأردني من الدرجة الثانية وهو أحد العسكريين البواسل بحرب 1967، وهي امرأة متميزة بكل المقاييس وقبل أي ألقاب حصلت عليها تفخر بكونها أم وربة بيت وزوجة مثالية، ولم تتنصل أبدًا من أمومتها أو أنوثتها ودورها الفطري، لذلك حظيت باحترام ذاتها والآخرين. وتغريد حكمت أبدعت في كل أدوارها من دور الأمومة إلى.

وكان لكل مرحلة في حياتها حلم وهدف وخطة طموحة لذلك حققت أحلامها بجدراة قل نظيرها، وتألقت في كل الأدوار "معلمة، مديرة، محامية وقاضية " فهي أول امرأة عربية مسلمة في المحاكم الجنائية الدولية.

والدها ووالدتها

والد تغريد هو أحد مؤسسي الجيش العربي مصطفى حكمت العياشي، تخرج من الكلية الحربية في اسطنبول وعمل ضابطًا في الجيش السوري في عهد الملك فيصل الأول بن الحسين بن علي ونتيجة لمشاركته بالثورة ضد المستعمر الفرنسي ومطاردته، لجأ مع العديد من الثوار في تلك المرحلة لشرق الأردن حيث التحق بالجيش العربي وأقامت الأسرة في مدينة الزرقاء لأنها كانت مقرًا لقادة ومعسكرات الجيش.

ووالدتها الأديبة والكاتبة نجمية حكمت وهي من أصول تركية استثمرت كل معارفها ومهاراتها في تنشئة أطفالها بشكل مثالي انعكس لاحقًا على مسيرة حياتهم الحافلة بالنجاحات والتألق في مختلف المجالات، وغالبًا ما كانت تتكلم مع أبنائها باللغة التركية، بالإضافة لإجادتها للغة العربية، وعلمت أبناءها الطموح بلا حدود والكبرياء والصبر على الصعاب والتحديات في سبيل الإنجازات التي سيفخرون بها لاحقًا.

وتغريد هي الإبنة الصغرى لتلك العائلة، لذلك هي متعلقة للغاية بامها وانتهجت نفس السبل في تربية أبنائها لاحقًا، لذلك هم أيضًا من المتفوقين كل في مجال اهتمامه واختصاصه.

وتقول عن والدتها: "كانت أمي قارئة ممتازة، تسعى للمعارف أينما وجدت حتى أنها كانت لا تترك قصاصة مكتوبة إلا واطلعت عليها بما في ذلك أوراق الجرائد وأكياس الشراء حيث كان التجار يغلفون البضائع بها في ذلك الزمن، لذلك ومن شدة تعلقها بعالم الورق هذا العالم السحري صممت مجلة حائط بيتية وكنت وأشقائي وشقيقاتي أدباء وكتاب مجلة الحائط البيتة حيث يكلف كل واحد منا بكتابة موضوع ما ليكون جزء من محتويات مجلتنا البيتية، تلك التجربة البسيطة العميقة في معانيها والغنية بآثارها تركت بصمة مميزة لكل منا، تلك المرأة المعلمة العظيمة هي أمي نجمية حكمت".

رحلة الدراسة

أنهت تغريد حكمت مرحلتها التعليمية الابتدائية والإعدادية في مدينة الزرقاء، وتذكر أن أحد أبرز معلماتها في المرحلة الإعدادية كانت إنعام المفتي والتي أصبحت لاحقًا أول وزيرة امرأة بتاريخ الأردن، وكان في تلك المرحلة يتم فرز الطلاب والطالبات إلى الفرعين العلمي أو الأدبي، ولما كانت من المتفوقات دراسيًا رغبت بالالتحاق بالفرع العلمي، إلا أن الحظ لم يحالفها لانه يتوجب على الراغبات بالالتحاق بالفرع العلمي الانتقال لإكمال الدراسة في العاصمة عمان في مدرسة زين الشرف بجبل عمان، ونظرًا لبعد المسافة التي يتوجب عليها قطعها يوميًا ذهابًا وإيابًا للمدرسة لم تحصل على موافقة العائلة واضطرت للبقاء في الفرع الأدبي في مدينة الزرقاء وهي المدرسة الثانوية الوحيدة آنذاك.

وبعد نجاحها في شهادة الدراسة الثانوية العامة "التوجيهي" حصلت على بعثة دراسية في الجامعة الأمريكية للبنات في بيروت، لكن لسوء الحظ لم تتمكن من ذلك بسبب وفاة والدها وتدخل العائلة التي رأت في طبيعة الحياة في بيروت حالة من الانفتاح لا يتفقون معها، لذلك لم يتسنى لها الالتحاق بالجامعة بذلك الوقت لأسباب خارجة عن إرادتها.

وفي هذا السياق تقول العين حكمت: "من مميزاتي أنني سريعة التكيّف ولا أعاند الأقدار، ولكن بذات الوقت لا أتخلى عن أحلامي، لأن الأحلام الحقيقية قد تؤجل لبعض الوقت لكنها لا تزول وتبقى حية بالذاكرة والوجدان، لذلك بعد إنهائي لمرحلة التوجيهي، وجدت كل أقراني أو الأغلب التحقن بسلك التعليم، فتقدمت بطلب توظيف إلى وزارة التربية والتعليم حيث صدر قرار تعييني معلمة في مدرسة نهاوند الإعدادية بمدينة الزرقاء براتب 18 دينارًا ونصف الدينار، وقمت بتدريس مادة اللغة الانجليزية والفنية للصفوف الابتدائية والإعدادية، وكنت أقوم بالكثير من الأنشطة اللامنهجية والتي كانت تلاقي اهتمامًا كبيرًا وحماسًا من الطالبات كالتعليم الممتع كما يسمونه الأنوميشن أو الألعاب المتحركة التي يتم تحريكها باليد، وضمنت تلك الألعاب مسرحيات باللغة الإنجليزية".

وانتقلت لاحقًا للعمل في مدرسة الرملة الإعدادية في الزرقاء، وفي تلك الفترة وقع الاعتداء الغاشم على دول المواجهة مع الكيان الإسرائيلي سنة 1967 حرب حزيران، حيث احتلت إسرائيل مناطق عربية إضافية لاحتلالها للأراضي الفلسطينية عام 1948.

وتتابع قولها: "في صغري كان والدي رحمة الله عليه يسألني دائمًا شوبدك تدرسي لما تكبري وكنت دائمًا أرد عليه أنا أرغب بدراسة القانون، لذلك ربما تأجل الحلم بعض الوقت لكنه كان يسكن أعماقي في انتظار الفرصة الملائمة".

وتتذكر تغريد حكمت إحدى الحوادث المؤلمة: "وقعت حادثة مؤلمة خلال موعد الدورة الثانية للامتحانات بالجامعة، وكنت حينئذ في دمشق وزوجي التحق بالقوات المسلحة في أحداث أيلول الأسود، حيث بقي منزلنا فارغًا في الزرقاء، وكانت العمارة ملكًا لميخائيل شوارب ويبدو أننا نسينا الشباك مفتوحًا في غرفة مطلة على الشارع، ويبدو أن الستارة كانت تتحرك بفعل الهواء فاشتبهت القوات المسلحة بأن أحدًا ما مختبئ داخل المنزل فتم إطلاق النار على المنزل مما جعل صاحب المنزل يصرخ عليهم ليستوقفهم بأن هذا المنزل لضابط زميل لكم، لكن ذلك بعد فوات الأوان، حيث عدت من دمشق وكان قد احترق المنزل بالكامل، إلا أن عزائي أن زوجي بخير وهذا دائمًا الأهم بالنسبة لي".

وتضيف: "بعد احتراق المنزل غادرنا الزرقاء للسكن في عمان وكنت قد تأخرت سنة عن نيل الشهادة الجامعية بالقانون، حيث حصلت على بكالوريس القانون سنة 1973، نتيجة تلك الأحداث المؤسفة بين الأهل والعائلة الواحدة، فكل من مر بعمان أو سكن بها ولو بعض الوقت يشعر أنه فرد من تلك العائلة الكبيرة المحبة المحتضنة لكل من لاذ بها".

وتقول: "إن الجمع بين الدراسة وعبء الاعتناء بالعائلة والأطفال والواجبات التقليدية الملقاة على المرأة بصفتها "أنثى" لم يكن بالأمر الهين، رغم التعاون غير المسبوق والمساندة وبلا حدود من عائلتي الصغيرة وزوجي، فلا زلت أتذكر وربما أحن إلى تلك الأيام رغم صعوبتها في حينه، لحالة الترحال المستمر بين الشام وعمان لتقديم الامتحانات وكنت أسحب راتب شهرين من عملي كمعلمة بوزارة التربية والتعليم " 36 دينارًا" لغايات تغطية نفقات الإقامة لمدة شهر كامل في دمشق بمعية طفلتي التي لم تتجاوز السنة والخادمة وكافة النفقات من سكن وطعام وشراب وهدايا، تلك الأيام كانت مليئة بالخير والطيبة وراحة البال رغم ندرة أو قلة النقود".

العمل بمهنة المحاماة

جاءت الفرصة الحقيقية لتغريد حكمت في عام 1970 لدراسة الحقوق في جامعة دمشق، حيث كانت تعتبر من أعرق الجامعات العربية في دراسة القانون، فدرست القانون على يد مجموعة من جهابذة هذا العلم منهم مصطفى الزرقا، رزق الانطاكي، أحمد السمان ووحيد الزين سوار.

وتقول تغريد حكمت: "بعد أن حصلت على شهادة القانون بقيت أعمل في سلك التعليم لفترة من الزمن لعدة أسباب منها؛ أن مهنة التعليم مقدسة لدي، وثانيًا لغايات الاعتناء بأطفالي وعائلتي أطول فترة ممكنة لأن مهنة المحاماة ستأخذ معظم وقتي في وقت أطفالي هم بامس الحاجة لي، لذللك بقيت أعمل في قطاع التعليم لغاية سنة 1982 وكبر الأبناء ومن ثم تقاعدت".

وتستذكر تغريد بدايات الحياة العملية في المحاماه: "التحقت بنقابة المحامين سنة 1982 كمحامية متدرّبة في مكتب شقيقي طاهر، ثم احترفت مهنة المحاماة في وقت كانت أعداد المحاميات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، ولكون مهنة المحاماة هي مهنة حكر على الذكور في ذلك الوقت، فقد واجهت العديد من الصعاب والتحديات، من حيث ثقة الناس التي كانت شبه معدومة بالمرأة المحامية، وكان من النادر أن تجد رجلا يثق بقدرات المرأة المحامية ويسلمها مصيره المادي أو المعنوي في قضية ما، وفي حقيقة الأمر كان يمكن أن يسلمها شيك بمبلغ 50 دينارًا ليس أكثر، ومما أذكر لم يكن هناك أرواب للمحامين والمحاميات، وكان إذا صادفني أحد في المحكمة من معارفي يبادر قائلًا خير إنشاء الله في شي بدك مساعدة وكانت هذه الأسئلة تعني لماذا أنت هنا هذا ليس مكانك".

تحقق حلمها

تقول تغريد حكمت :"رغم ذلك استمر عملي في مهنة المحاماة في مكتب أخي طاهر وتخصصت في قضايا المرأة والطفل الجزائية، وتحضرني مقابلة كنت قد أجريتها مع إحدى الصحف حين سألني عن رأيي بالمرأة في سلك القضاء وكانت إجابتي الفورية ودون تردد وعن قناعة مطلقة بقدرات النساء في تبوؤ أعلى المراتب وفي كافة المجالات وليس مجال القضاء استثناء على ذلك وإنشاء الله سأكون أول قاضية بالأردن وبالفعل سعيت واجتهدت كثيرًا لتحقيق هذا الحلم وبالفعل بعد 14 عامًا أصبحت أول قاضية في الأردن محام عام".

أبرز محطاتها العملية

العمل التطوعي كان وما زال يعني لها الكثير، وتدرك تمامًا أهمية العمل التطوعي والمشاركات المختلفة في صقل الشخصية وفتح الآفاق وبناء العلاقات والكثير من المعاني السامية بالإضافة لخدمة المجتمع والوطن بشكل عام.

ومن أبرز محطاتها؛ عضوية مجلس الأعيان، عضو في المحكمة الجنائية الدولية في راوندا/ تنزانيا، رئاسة اللجنة القانونية المنبثقة عن اللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة لتعديل التشريعات المتعلقة بالمرأة لإزالة كل أشكال التمييز ضدها، المشاركة بمؤتمر بكين 1995 المؤتمر العالمي الرابع للمرأة، المشاركة في برنامج الزائر الدولي في الولايات المتحدة الامريكية، وحصلت على جائزة المرأة العربية في حقل القانون والقضاء على مستوى العالم العربي، وتقلدت وسام مملكة البحرين لعام 2006، وحصلت على جائزة المرأة المتميزة في القانون الدولي/ الجمعية الأمريكية للقانون الدولي ورئيسة لفريق إدارة مشروع حماية الأسرة، عضو مجلس أمناء المركز الوطني لحقوق الإنسان، وحصلت على وسام الحسين للعطاء المتميز في حقل القضاء والعمل العام.

شهادات في الذاكرة خلال عملها في المحكمة الجنائية الدولية في راوندا

تقول حكمت من أغرب ما سمعت خلال فترة عملي في المحكمة الجنائية الدولية وفي شهادة أحد الشهود في محاكمة القادة العسكريين حيث قال: "أن أحد الضباط أصدر أوامره للجنود بقتل جميع الطلاب في المدرسة في العاصمة (كيغالي) فقالوا له إن ابنتك في هذه المدرسة فقال لهم: ابدأوا بابنتي،لأن أمها من قبيلة التوتسي وهو من الهوتو وهما القبيلتان المتصارعتان في راوندا.

وتقول حكمت: "إن الإنسان يفقد إنسانيته وعقله في الحروب الأهلية، والحيوانات تستميت بالدفاع عن صغارها عندما تشعر بالخطر، وهذا القائد العسكري عجز أن يكون بمستوى الحيوانات".

من أجمل ما قيل في تغريد حكمت

القاضي تغريد حكمت صارعت السرطان وانتصرت عليه كالنمر في قصة أرنست همنغواي في ثلوج كالمنجارو، رغم أن الصياد وجده ميتًا، لكن وجده في أعالي قمم كالمنجارو لأنه آثر صعود القمم، والقاضي حكمت تسلقت كالمنجارو لترسي دعائم العدالة التي لا تستقيم الحياة إلا معها.

كلمة أخيرة للنساء

أنا سيدة لا تؤمن بالتمرد وأقدس الحياة الأسرية، وإذا خيرت بين العمل أو بيتي أختار البيت دون تردد، لذلك على النساء أن يتسلحن بالطموح للوصول لأهدافهن دون اللجوء إلى التمرد والتفريط بالأسرة والحياة العائلية، وأؤمن بأن بلوغ الهدف تدريجيًا خطوة خطوة هو أفضل من القفز إليه لأن التدرج ثبات والقفز خطر، أنا أدرك ثقل موروثنا الاجتماعي ولكن تغييره لا يتم إلا بالهدوء والحكمة.

امرأة من ذهب
الدكتورة/ جميلة شتيوي

الدكتورة جميلة شتيوي تستحق أن يطلق عليها "امرأة من ذهب"، فهي علم في محيط منطقتها من حيث قدرتها على التحدي والصبر والإنجاز، عملت بمثابرة وصبر قل نظيرهما في بيئة غير صديقة للنساء عادة بسبب الثقافة المجتمعية السائدة والأعراف المعمول بها.

كسرت كل المعيقات وشغلت مديرة متحف أخفض بقعة في العالمفي الأغوار الجنوبية ، رئيسة جمعية سيدات عين عباطة المرأة الريفية الخيرية.

امتلكت جميلة الحلم وسعت وراء تحقيقه بكل السبل، لم تكسرها الصعاب ولا التحديات، ولا المشقات التي واجهتها في مشوارها نحو القمة، صبورة، قوية، شجاعة، مثابرة ومعطاءة ومحبة، وتمتلك حالة متميزة من الوعي بذاتها وقدراتها وأحلامها، والمستمع لحكايتها يشعر لوهلة أن القلم لن يطاوعه لوصف رحلتها وتلك التفاصيل الصغيرة في روايتها المبهرة والموجعة معًا حول رحلة كفاحها كإنسانة وكامرأة في محيط جاف وحارعلى مختلف الأصعدة، فهي أشبه بنبتة الصبار التي تجاهد للاحتفاظ بلونها وخضرتها الدائمة وسط العطش والأشواك، تلك المرأة تستحق أن يطلق عليها مجاهدة في مسيرة تعليمية مميزة حقًا.

والدكتورة جميلة امرأة ريفية متميزة بحق، نبتت وترعرعت في بيئة شعبية بسيطة، فهي ابنة الأغوار الجنوبية/ غور الصافي، تماهت مع محيطها فاستعارت منه جمال خضرته وبساطته وتواضعه وبذات الوقت صلابته وقوته وصبره على الجغرافيا الصعبة والمناخ الجاف والحار معظم أيام السنة، ولها حكاية مختلفة ومميزة، ورسمت حلمًا لما تريد وكيف تكون وسارت خلف الحلم بكل عزيمة واقتدار، فهي نموذج جدير بالاحترام والتقدير وجديرة لأن تكون أنموذجًا يحتذي به للأخريات.

والدكتورة جميلة من مواليد غور الصافي لعام 1971، متزوجة ولها ستة أبناء متزوجين لذا فهي جدة، رغم أن ملامحها لا توحي بذلك، لها ملامح وابتسامة أقرب للطفولة، ولدت لأب فلسطيني الأصل من منطقة قلقيلية ووالدتها من الأغوار الجنوبية منطقة غور الصافي، لذلك عاشت فترة من طفولتها في مخيم البقعة ومن ثم عادت إلى مسقط رأسها في الأغوار الجنوبية حيث تابعت دراستها للمرحلة الابتدائية.

مسيرة التحديات

وتقول الدكتورة جميلة: "الصحيح لا أعرف من أين أبدأ الحديث، في حياتي محطات كثيرة ومتنوعة بل قد تبدو للبعض متباينة أحيانًا ومثيرة للتساؤلات، صحيح أنهم الآن ينادوني الدكتورة جميلة والكل يحترمني ويقدرني وأعتبر من القياديات الرياديات في منطقة الأغوار الجنوبية لأنني استطعت أن أنقش اسمي على الصخر والذي هو أحد معالم منطقتي الجغرافية التي تتسم بالأجواء الحارة والجبال الصخرية شاهقة الارتفاع مع السهول الخضراء التي تسكن في حضن تلك المرتفعات الجبلية، وأنا جزء من هذه الطبيعة بكل تجلياتها".

وصمتت لبعض الوقت وكأنها تحاول أن تسترجع شريط حياتها وتجاربها ثم أردفت قائلة: "أنا أمرأة قروية، بسيطة، محبة، منتمية للناس والطبيعة، صادقة وعفوية للغاية، لدي ميل جارف نحو التعلم الدائم، وأتعلم من تجاربي ومن تجارب أبنائي والناس، أتعلم من الطبيعة التي أعيش بينها طوال الوقت، أتأمل طويلًا وعميقًا في مقتنيات المتحف حيث أعمل منذ سنوات، وأراقب تحول النبات في المرزعة حيث أقضي معظم وقتي بالعمل وسط تلك الحقول من مرحلة البذار وصولًا لمرحلة الحصاد، ولدي أحلام ملونة كقوس قزح البعض تحقق والبعض قيد الانتظار، وأعمل وعملت دومًا بمثابرة وصبر كبير كان أحيانًا يفوق مواردي وقدراتي على الصبر والإحتمال، فعقلي دائمًا يفكر في كافة القضايا والتفاصيل التي تحيط بي".

وتؤكد أنها ستتحدث عن مسيرتها بدقة وصراحة وتقول: "بطبعي امرأة حقيقية لا أميل إلى القص واللصق أو الإخفاء أو التزوير الذي يسمى تجميلًا".

وهنا تروي جميلة بداياتها: "ولدت لعائلة بسيطة للغاية متواضعة الموارد، تقليدية تمامًا كما معظم الأسر في محيطي، وعملت وعمري 6 أعوام كراعية أغنام في منطقتي غور الصافي، والدي مزارع وكنا عائلة مكونة من 3 أشقاء و5 شقيقات، وكان الاعتماد الكلي في أسرتي قائم على الاعتماد على البنات والأم، فوالدتي رحمها الله كانت بمثابة عشرة رجال، كل من في البيت يعتمد عليها وعلى حسن تدبيرها، وأنا اكتسبت الكثير من الخصال من والدتي" .

وتتابع جميلة حكايتها: "كان الاعتقاد السائد لدى أسرتنا الصغيرة بأننا أكثر قدرة على التدبير والتفكير وحسن التصرف من الذكور بالإضافة إلى إحساسنا بالمسؤولية منذ الصغر، ومن ذكريات طفولتي التي لا تنسى انني ذات يوم ذهبت لرعي الأغنام في السهول المجاورة، وخلال رعيي للأغنام عند حافة قناة المياه، حيث قمت بري الماشية ويبدو أنني تعبت، فما كان مني إلا أن قمت باللعب بمياه تلك القناة قليلًا ثم غلبني النعاس فنمت على حافتها، وتركت الأغنام تبتعد عن ناظري، ولم أصحو إلا على صراخ والدي وتوبيخه لي حيث جاء لتفقدي والأغنام في تلك السهول ولأنني ببساطة أضعت الأغنام مما استوجب جهدًا كبيرًا من

الوالد لرد الماشية رحمة الله، وذلك المشهد أرعبني في حينه وذاك الغضب والتوبيخ آلمني في صغري، والآن أصبح محل تندر وضحك بالنسبة لي، هكذا هي الحياة مجرد محطات ونحن العابرون" .

وفي وصف والدتها تقول: "والدتي امرأة قوية الشخصية كانت موكلة بإدارة كافة شؤون العائلة وأفرادها، ولازلت أذكر أنها كانت تقوم بري المزرعة بشكل دائم حيث كانت تصطحبنا معها ليلًا ونبقى حتى الصباح معها في المزرعة، وفي ذلك الوقت كنا نتحرك على ضوء القمر وفي ليالي الشتاء على بطارية صغيرة نضيئ بها الطرق أمامنا تدعى اللوكس، وهي امرأة بألف رجل بالنسبة لنا".

ما بعد الزواج ومسؤوليات متعددة

أما عن زواجها تقول الدكتورة جميلة: "تزوجت وعمري 18 عامًا من قريب لوالدتي بغور الصافي واستقر بي الحال حتى يومنا هذا، وفي عام 1997 تم تعييني كطابعة في دائرة الآثار العامة وأنا لا أحمل حتى شهادة الدراسة الثانوية العامة، وكنت آنذاك امرأة بدوية بسيطة لا أملك أي مؤهل بأجر قيمته دينارين ونصف الدينار عن كل يوم عمل ولمدة 7 سنوات، وكنت آنذاك أعيش مع العائلة المكونة من 24 شخصًا".

وتتابع وصفها للأعباء الثقيلة التي تحملها كل يوم: "كنت مكلفة بمعظم الأعمال والمهام المنزلية وخدمة كل هؤلاء الأفراد الـ 24 من أسرتي، إضافة إلى العمل في الحقل من زراعة وتعشيب وري المزروعات ورشها بالأدوية والمبيدات والقيام بكل ما يلزم، لحين موعد القطاف للمزروعات ورصها في عبوات البيع ومن ثم نقلها للسيارات لتذهب للحسبة لبيعها وهي سوق الخضار المركزي".

وتضيف: "طبعًا لم يكن العمل في المزرعة يعفيني من المهام البيتية ورعاية الزوج والأطفال وإعداد الطعام اليومي لكل هذه العائلة فقد كنت أقوم بخبز 90 ـ 100 رغيف شراك يوميًا فلم يكن هناك أي هامش ولو صغير من الخصوصية لأي فرد بالعائلة بما فيهم أنا، لأن الجميع كبيرًا وصغيرًا في خدمة الأسرة الكبيرة وهو نمط الحياة في منطقتي في زمن ليس ببعيد، بالإضافة لفهم مجتمعي متعارف عليه أن زوجة الإبن الكبير هي الأم للجميع وعليها تحمل الجميع دون تذمر، لأن تلك المهام والأدوار هي من صلب مهامها الطبيعية، فكانت تكفيني ابتسامة من أحدهم أو كلمة الله يعطيك العافية اتعبتي اليوم، مشكورة أم صخر ما قصرتي".

وكان هذا روتين الحياة اليومية بجانب عملها كطابعة في دائرة الآثار العامة، تلك المهام والأعمال قد تعجز عنها الكثيرات والكثيرين من الرجال لكنها كانت تقوم بها برضا وصمت، ولم تتذمر ولم تشكو ولم تغضب أو تعترض أبدًا لأنه لا فائدة من ذلك، واستعانت على كل تلك الأعباء بقناعتها أن محبة عائلتها ورضا زوجها وتقديرهم لها هو رأس مالها.

وكما تقاسمت التعب والشقاء مع العائلة تقاسمت دخلها البسيط من عملها في دائرة الآثار، فكانت تسلم راتبها بيد عمها والد زوجها "كبير العائلة "وهو من يقوم بتأمين ما تحتاجه الأسرة الكبيرة، بالإضافة لدخل المزرعة المتفاوت حسب موسم الشتاء وقوة الموسم وحاجة السوق، ومع ذلك مرت أيام بل سنوات في غاية الصعوبة من ضيق الحال عليهم.

متابعة الدراسة والتغيير

وهنا تقول الدكتورة جميلة: "بصراحة أحيانًا الضغط قد يولد الإنفجار كما يقولون، أو قد يدفعك لتحدي ظروفك والتغلب عليها، وقد تبتكر حلولًا لم تكن لتخطر على بالك وسط حالة الرخاء، أظن أنني من الشخصيات العصية على التراجع أو الانكسار والعودة للوراء، لدي إيمان راسخ بنفسي وقدرتي على التحمل أمام هدف آمنت به ووضعته أمام عيني، خصوصًا إذا ما كان هذا الهدف هو طوق النجاة بالنسبة لي أو لعائلتي".

ووسط تلك الظروف وصعوبتها وتعقيدها فكرت جميلة ذات يوم بالذهاب إلى الإدارة حيث تعمل وقابلت المسؤول آنذاك عن المتحف، وقامت بشرح ظروفها وحاجتها الماسة لتحسين دخلها وتثبيتها وظيفيًا، وخلال تلك المقابلة التي أضحت لاحقًا مفصلًا حياتيًا فارقًا في حياتها وحياة أسرتها قال لها مديرها في العمل: "يا ست جميلة انتي ما معك شهادات وعشان هيك ما رح نقدر لا نثبتك بالوظيفة ولا يمكن زيادة راتبك وأنت موظفة مياومة في كل الحالات".

وتصف حالتها النفسية بعد رد مديرها: "عدت لمنزلي أجر أذيال الخيبة والإحباط، لم تكن كلمات ذلك المسؤول مجرد كلمات عادية بل كانت كالرصاص بل أشد فتكًا، لأن إطلاق النارعليك قد يقتلك وتنتهي دورة الحياة ومعاناتها، لكن ذلك الرد المحبط حد الموت كان قاسيًا للغاية، وطبعًا فكرت لأيام واجهدت تفكيري، متسائلة في قرارة نفسي ما العمل؟ كيف الخلاص؟ أليس هناك حل ما يسعفني ويغير مجرى حياتي وأيامي؟ وأيضًا نظرت حولي لبعض العاملين معي وقلت بشو أنا بنقص عنهم؟ عندهم عقل وعندي عقل، لم لا أكون مثلهم أحمل شهادة تحميني من العوز والفقر وترفع من شأني وظيفيًا واجتماعيًا؟".

وكانت هذه الأسئلة التي دارت في خلدها في بداية رحلة التغيير، هي بداية لطريق مختلف كليًا عن واقعها المعاش، فبدأت بالبحث عن كتب "التوجيهي" من أبناء الجيران لاستعارتها وبدأت بتخصيص وقت للدراسة في وسط معارضة شديدة من زوجها والمحيطين بها ووسط كم من التعليقات المحبطة لها: "فات الأوان"، "الكبر عبر" وبعض النساء اطلقن تعليقاتهن الساخرة "بعد ما شاب ودوه عالكتاب" في تلميح إلى أنها كبرت بالسن وأن التعليم لا فائدة منه لمن هم في عمرها رغم أنها لم تكن قد تجاوزت سن الخامسة والثلاثين حينها.

وتقول حول هذا الموقف أيضًا: "كان من المهم لي في حينه كسب تأييد زوجي وعائلتي الصغيرة وعملت على إقناعهم ووعدهم بأنني لن أقصر في أي واجب لهم، ولن يتغير عليهم شئ، وسأبقى أعمل في المنزل والمزرعة وكل ما يطلب مني برضا، وبالفعل تم ذلك، وطبعًا لم تكن لتثنيني كل هذه الموانع والتحديات والإحباطات، وواصلت مسيرتي بل أزددت قناعة بصوابية ما عزمت عليه مهما كان الثمن، لأن حصولي على شهادة عليا هو طوق نجاة بالنسبة لي".

وبالفعل مضت جميلة بقرارها بتطوير تحصيلها العلمي ابتداء من الحصول على شهادة الدراسة الثانوية العامة "التوجيهي"، وتقدمت للتوجيهي 3 مرات، وبالرغم من أن النجاح لم يحالفها في المرتين الأولى والثانية وازدياد حدة الضغط النفسي عليها من الزوج والمحيطين بها وحتى الجيران إلا أنها أصرت على التقدم للتوجيهي للمرة الثالثة.

وتقول في هذا السياق: "أذكر أنه في محاولتي الثالثة ويوم الإعلان عن النتائج جاء زوجي ساخرًا وقائلًا لا تسألي عن النجاح روحي غطي راسك ونامي، لكن شاءت الأقدار وحصلت على المرتبة الأولى على محافظة الكرك، وهنا تغير كل شئ لأنني حصلت على المفتاح السحري وتجاوزت مرحلة التوجيهي وأصبح هناك تحول ملحوظ من زوجي والعائلة والأبناء والجيران والجميع، فأنا الأولى على محافظة الكرك، وبعدها أصبح زوجي من أكبر المساندين والداعمين لي كي لا أتوقف عن إكمال مسيرتي التعليمية حتى أحصل على درجة الدكتوراة بما فيها سعيه معي للسفر إلى سوريا للحصول على الدكتوراة وطبعا لم تفلح المحاولة، وكذا الحال للالتحاق بالجامعات المصرية والسودانية حيث أصبح جل تركيزه كيف أحصل على أعلى الدرجات العلمية، لأنني لست أقل من حامليها وأستطيع ذلك، وبالفعل حصلت على درجة الماجستير بامتياز دون تعديل من جامعة مؤتة في الكرك، ومن ثم تابعت دراستي حتى حصلت على درجة الدكتوراه بامتياز".

ذكريات رحلة الدراسة لا تنسى

لم تكن أبدًا رحلتها سهلة لبلوغ هدفها التعليمي، فكانت مرحلة بقدر ما فيها من التعب والتحدي كانت رحلة تعليمية مميزة بكل المقاييس، وعاشت مواقف تذكرها ولا تنساها خلال مسيرتها التعليمية من مرحلة التوجيهي وحتى الحصول على شهادة الدكتوراه تمثلت بالعديد من الصور والمواقف المحفورة بذاكرتها كالوشم على الجسد.

وتقول الدكتورة جميلة: "خلال التحاقي للدراسة بجامعة مؤتة بالكرك وهي الجامعة الأقرب لمنطقة سكني، واجهت العديد من المصاعب والتحديات سواء من حيث الدراسة، المواصلات، الالتزامات العائلية، العمل وإدارة شؤون الأسرة، وكل تلك الصعاب كانت كفيلة لوحدها بتوقف مسيرتي التعليمية، لكنني دوما كنت شديدة الثقة بذاتي، مصرة على إحداث تغيير جذري في مجمل حياتي وحياة أسرتي، ومستحضرة في داخلي

قول مديري لي "ست جميلة أنت لا تحملين أية شهادات لذلك لن نستطيع تثبيتك وظيفيًا ولا زيادة راتبك والحال سيبقى على ماهو عليه".

وتستذكر من صعوبات مسيرتها التعليمية: "ما كان يتعلق بحركة تنقلي من غور الصافي للجامعة في الكرك يوميًا والمرور بتلك الجبال الصماء شاهقة الارتفاع والطريق الوعرة غير المؤهلة لحركة السيارات الانسيابية كما في العاصمة والمدن، طبعًا كانت وسيلة النقل الوحيدة المتاحة في حينه باص ينقل الركاب من غور الصافي للكرك مرة واحدة باليوم، وكنت كي لا يفوتني موعد انطلاق الباص صباحًا أصلي الفجر وانطلق للجامعة، وإذا تأخرت في أي يوم يعني أنه لا جامعة في ذلك اليوم، وهذا ما لم يحصل أبدًا، فأنا تعودت الذهاب والإياب للجامعة في عتمة الليل قبل انبلاج الشمس، وبعض المحاضرات كانت تنتهي بعد العشاء ويكون أمامي رحلة شاقة عبر تلك الطرق الوعرة المعتمة المعلقة على رؤوس الجبال ما بين غور الصافي والكرك".

وتتابع حديثها عن هذه المسيرة العظيمة: "من التحديات الحقيقية أنني في بداية دخولي للجامعة منذ مرحلة البكالوريس كان ذاك الخوف والقلق الداخلي من هذا العالم المختلف والغريب عما اعتدت عليه في قريتي البسيطة الصغيرة المتواضعة، فكنت بالبدايات قليلة الكلام وأميل للاستماع فقط، أدرس وأجتهد وأحصل على علامات كاملة لكن بمشاركة بسيطة، فقد كنت خجلة، مترددة، أخشى من عدم دقة الإجابة، أخجل من العيون والنظرات التي تطوقني، لكنني رويدًا رويدًا كسرت هذا الحاجز وخرجت من شرنقتي، وأصبحت شخصيتي تتغير بكل تغيير يطرأ على حياتي، وأصبحت أنموذجًا للطالبة المجدة المجتهدة المشاركة وذلك بتشجيع من الأساتذة الذين لفتتهم العلامات العالية وقصتي بشكل عام ، بل كانوا يعيرون الطلبة بأنني أم وعاملة وطالبة ومتفوقة بذات الوقت".

حكايتها مع الكبيوتر وانقطاع الكهرباء

ولجميلة أيضًا حكاية مع الكمبيوتر فتقول: "أما حكايتي مع الكمبيوتر فتلك حكاية مختلفة، كنت بالبدايات خلال عملي كطابعة أنظر إليه متوجسة خائفة من لمس هذا الصندوق العجيب وكأنه قنبلة ستنفجر إذا ما لمسته، لأنني عينت كطابعة على آلة طباعة يدوية وهذا فقط ما كنت أتقنه في حينه، ومع دخولي للجامعة صار استخدام الحاسوب لزامًا علي ولا مفر من فهم هذا الجهاز السحري والتعامل معه بل الاستفادة منه أيضا في دراستي، لذلك أمضيت معظم وقتي في غرفة الحاسوب إلى أن امتلكت مهارة استخدامه بشكل كبير بل إنني استطيع عمل صيانة له بشكل جيد".

ومن المشاهد المحفورة بالذاكرة ولا تنساها تقول: "ذات يوم من أيام الامتحانات النهائية بالجامعة قطعت الكهرباء عن كل القرية واحترت في أمري، وخفت من الرسوب وكان على مراجعة المادة وأذكر أن الموضوع

كان مادة البرونز، وعندما أعيتني الحيلة عمدت إلى قطعة قماش من طرف بنطال قطن عملتها كفتيلة واضأت فانوس الكاز ودرست لغاية الفجر، ومن المفارقات العجيبة أنني حصلت على علامة كاملة في ذلك الامتحان وتلك الليلة المظلمة".

عضويات ومشاركات

في كل مرحلة تغيير في حياتها كان يتغير تبعًا لها بناءها الفكري وطبيعة شخصيتها، خصوصًا أنها أصبحت أنموذجًا يحتذي به الكثيرون ذكورًا وإناثًا من أبناء منطقتها وعائلتها، والبعض منهم أعاد التحاقه بالدراسة حتى أصبحوا محاميين ومحاميات.

أما عن العضويات فقد أسست جمعية "سيدات عين عباطة"، وهي عضوة بالعديد من اللجان والشبكات والهيئات الإدارية على مستوى المحافظة والمملكة في المجالين؛ الرسمي والمجتمع المدني، بالإضافة إلى الاحتفاظ بعملها كمديرة للمتحف منذ سنة 2012.

كما قامت بعملية استصلاح لقطعة أرض للمرة الثانية بمساحة 30 دونمًا وتقوم بزراعتها والاعتناء بها، فهي تقوم بالعمل بها بنفسها وتزرعها بالخضار بشكل دائم، مع الإحساس بالخوف من فقدان هذه الأرض التي استصلحتها والتي حولتها لجنة خضراء كما حدث معها سابقًا، لأنها مصدر دخل العائلة ويقلقها القادم من الأيام ولا تعرف ماذا تخبئ لها الأقدار.

أمنيات ومؤلفات

قامت الدكتورة جميلة بتأليف كتابين من واقع اهتمامها وتخصصها فالأول بعنوان "إعادة الاستيطان البشري في العصور القديمة في لواء الأغوار الجنوبية " وأيضًا دراسة مقارنة للعصر البرونزي المبكر والوسيط".

كلمة أخيرة للنساء

على غرار قول الشاعر أبو القاسم الشابي "اذا الشعب يومًا أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر" وأنا أقول إذا أرادت النساء أن يغيرن الحياة فهن قادرات على ذلك بالتأكيد، وليس هناك مستحيل، حلم ورؤية وإرادة وعمل دؤوب بنفس طويل تصنع المعجزات، والفشل هو الخطوة الأولى في طريق النجاح والتعلم لمن أرادت.

السهل الصعب
السيدة/ سامية الجبور

سـامية الجبور من مواليد 1962 قرية النقيرة من لواء الموقر أنهت الثانوية ثم عملت مباشرة كموظفة في بلدية الموقر، وكانت أول فتاة تعمل في قطاع البلديات في ذلك الوقت الذي كان حكرًا على الذكور.

ويعتبر مجتمع البادية من المناطق المحافظة جدًا، لذلك سـجلت سـامية سابقة في اقتحامها ساحة ذكورية بامتياز ، وتقول "هذا مجتمع مغلق تسودة منظومة ثقافية واجتماعية محكمة ملزمة للجميع".

وسـامية الجبور ناشـطة محلية من البادية الوسـطى ورئيسـة لجمعية النقيرة النسـائية و عضـو جمعية البادية الوسـطى لذوي الاحتياجات الخاصـة، بالإضـافة إلى عضـوية عدد من الهيئات والشـبكات المحلية والإقليمية، وتبنت العديد من المبادرات المحلية لخدمة المجتمع المحلي، وهي عضـو في مجلس التطوير التربوي المحلي، وعضـو في الصـندوق الهاشـمي لتنمية البادية الأردنية، بالإضافة إلى عضويتها في المنظمة العربية للتنمية الإدارية وناشطة سياسية.

وترشحت سامية الجبور للانتخابات البرلمانية وحازت على عدد كبير من الأصوات وإن لم يحالفها الحظ للوصـول إلى قبة البرلمان، وكان عدد الأصـوات التي حصـلت عليها يعكس نشـاطها المجتمعي وحجم مؤيديها من أبناء دائرتها الانتخابية، علمًا بأن تلك الدائرة من الدوائر الصـعبة لكنها امتلكت الجرأة وخاضت تلك التجربة التي أضافت الكثير لخبراتها وعلاقاتها.

وسامية امرأة بسيطة للغاية لكنها شديدة الذكاء والعفوية، تستقبل من تتعامل معهم بوجه بشوش ومُرحب، وتأسـر المتحدث إليها بدماثتها وطيب أخلاقها التي أسـتمدتها من تنشـئة أسـرية عفوية، صـادقة ومحبة ومتسـامحة، ولم تكن لتميز أبدًا بين الذكر والأنثى في التعامل، فتلك هي الناشـطة والقائدة المجتمعية سـامية الجبور، تلك المرأة التي لوحت الشـمس بشـرتها فازدادت وهجًا وضـياءً كما وهج الشـمس في الصحراء وكما خيوط القمر في ليالي السمر في البادية.

سامية تتحدث عن واقعها ونفسها بسطور الواقع

وتقول ســـامية: "ربما يراني البعض في غاية البســـاطة لكنني الســـهلة الصـــعبة، وقد يظن البعض أن للمحسوبية والواسطة ودعم العشيرة دور في نجاح مشروعي المجتمعي، وأنا أقول لهم أنا فتاة من البادية امتلكت حلمًا ورؤية وخططت لتحقيقها بالكثير من العمل والصـــبر والمثابرة والمعاناة، حيث لم تكن لتستوقفني التحديات كثيرًا، بل شكلت لي دافعًا للتحدي للاستمرار والتمسك بحلمي وأهدافي ودائمًا أفعل ذلك".

وتضيف: "ليس للحظ من دور في حياتي، لأنني أحلم وأخطط وأحدد سلم أولوياتي ثم أضع تصورًا لما قد يواجهني من صـعوبات وأضـع الخطط البديلة لضـمان تحقيق الأهداف المرجوة من كل خطوة أخطوها، تلك هي أنا، وأجيد العمل تحت الضـغط بل قد أبدع في أحيان كثيرة، لم أكن لأتصـور أن ذلك سـهل في مجتمعي لكنني أثق بنفسي ودعم عائلتي والله الحاضر في ضميري وأدائي بشكل دائم".

وتستعرض سامية الجبور جانبًا من شريط حياتها الشخصية: "عملت مع شقيقتي بعد الثانوية العامة وكنا الأكبر في العائلة فقمنا بمعية الوالدة التي كانت أنموذجًا في العطاء إلى حد التفاني بتعليم جميع أشـقائنا الأصـغرسـنًا منا حتى غدوا جميعهم يحملون شـهادات عليا، فكان نجاحهم نجاح لنا لدرجة أننا نشـعر أننا نحن من اسـتطاع الحصـول على تلك المؤهلات، هكذا نحن كل واحد منا يسـند الآخر، ولا وجود للأنانية بيننا وهكذا نتعامل مع الآخرين، هذه تربية الحجة".

وعاشـــت ســـامية في منظومة مجتمعية تعمل على تنميط أدوارٍ محددة للرجال وأدوار محددة للإناث ولا يجوز الخروج عليها أبدًا، ومنها ما يتعلق بنوعية المهام والأعمال التي تسند للرجال أو للنساء حيث يعتبر أي خروج عن المألوف والمتعارف عليه في تلك المنطقة في إطار العيب وتحدي ثقافة المجتمع، بل قد يقع في إطار المساءلة الإجتماعية حتى لو كانت تلك الأعمال يجيزها القانون والدين.

وللعادات والتقاليد والأعراف في مجتمع عشائري بالمطلق سطوة شديدة لا يجوز الاقتراب منها أبدًا، بل قد تفوق في أحيان كثيرة سلطة القانون والدين، لذلك لم يكن من السـهل على فتاة أنهت لتوها الثانوية العامة أن تقتحم ســـاحة الرجال، لكن فيما يتعلق بســـامية وتحديدًا بعائلتها فقد كان لهم الدور الأهم والأبرز في دعمها حيثما توجهت لثقتهم العالية بها وحسن أدائها واختياراتها التي نادرًا ما جانبت الصواب.

وســـامية عملت في مجال التطوع مدفوعة برؤية نســـوية عفوية صـــادقة نابعة من انتمائها لمجتمعها الصـــغير بأن تحدث به تغيير لمصـــلحة النســـاء والرجال دون المســـاس بثوابت محيطها، وكانت ذكية وعملية فأجادت ذلك الدور وتركت بصـــمة يحترمها الجميع، وأصـــبح الجميع يشـــيرون عليها كأحد رموز

المنطقة، ولم تعد تاء التأنيث تشكل عائقًا لمسيرتها بل أصبحت ميزة لها فأصبحت أنموذجًا ناجحًا يحتذى به من الرجال والنساء.

جمعية النقيرة النسائية وليدة واقع مهمش

وتقول سامية الجبور: "أسست جمعية النقيرة النسائية عام 1994، وهي فكرة وليدة واقع مهمش إلى حد ما، وفرص النساء شبة معدومة لأي أنشطة أو تواصل اجتماعي ثقافي أو إنتاجية خارج إطار العائلة والحي في أحسن الحالات، فنحن منطقة بعيدة عن الخدمات ومجتمع بادية بسيط محافظ جدًا والمساحات محصورة بأنشطة محددة وفق أطر عشائرية خاصة".

وتضيف سامية: "فكرت بنفسي وناسي وبنات منطقتي ومجتمعي بشكل عام بما فيه قطاع الطفولة وكبار السن ووجدت المخرج في تأسيس جمعية تعتني بالشأن الاجتماعي والثقافي وبقضايا حقوق الإنسان والمرأة لكن من زواية ونظرة نسوية، خصوصًا بغياب الفضاءات الخاصة بالنساء في منطقتي".

وقامت بتأسيس الجمعية عبر الأطر القانونية والتعليمات ذات العلاقة، علمًا بأنهم واجهوا العديد من التحديات والصعوبات وقلة الدعم في البداية، لدرجة أنهم نفذوا العديد من الأنشطة والفعاليات للنساء والأطفال في غرفة مستأجرة على سطح أحد المنازل، وبالرغم من البدايات الصعبة لكن لم يصابوا بالإحباط واليأس وواصلوا المسير ببوصلة لم ولن تخطئ الهدف وهذا ما تم بالفعل.

وجمعية النقيرة النسائية أول جمعية نسوية في المنطقة تعنى بقضايا النساء والمجتمع بشكل عام، وتقوم الجمعية على عدد من المشاريع التي تعزز عمل المرأة وإنتاجيتها ومشاركتها في الحيز الخاص والحيز العام، بشكل يراعي كل الاشتراطات المجتمعية الواجبة المراعاة حسب الأعراف والتقاليد.

وتقول سامية: "الجمعية ونساء المنطقة لمسوا أهمية مشاركة المرأة الاقتصادية من مشاريع صغيرة للغاية مثل مشروع "عمل بكرامة"، والذي أحدث تغييرًا في حياة المرأة وعائلتها وهذا بدوره أحدث تغييرًا في طبيعة النظرة للمرأة وإمكانياتها وربط ذلك بالتأثير على مجتمعها، وهناك مشاريع أخرى كانت في غاية الأهمية والتأثير تتعلق بقطاع الشباب والطفولة كمشروع "أمان لمستقبل الأيتام" والذي أتاح فرصًا تعليمية مهمة في مجالات؛ كالهندسة والعلوم والصيدلة لمن يعانون من أوضاع اقتصادية ضعيفة، وقد خدمت هذه الفرصة عددًا من شباب وشابات المنطقة، لذلك لاقت استحسانًا كبيرًا من مجتمع القرية لأنها لبت حاجة ملحة تتعلق بمستقبل أبنائهم".

وتستعرض سامية عددًا من أنشطة الجمعية المميزة كمشروع تم تنفيذه وما زال بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم وهو متخصص بعمل بيوت زراعة بلاستيكية يقوم الطلاب بالاعتناء بها بعد تدريبهم وهو مشروع إنتاجي يلبي الحاجة المحلية، ويتم تسويق ما يزيد عن الاحتياج للقائمين على المشروع، وهذا المشروع له

فوائد كثيرة تتعلق بتعزيز الانتماء للمحيط والتضـــامن مع رقيقي الحال ويطور ويعزز المهارات للطلاب لاسيما البعد الاقتصادي.

وتقول ســـامية: "من أهم نجاحات جمعية النقيرة النســـائية قدرتها على اســـتقطاب الرجال بالمنطقة رغم صـــعوبة ذلك، واعتقد لولا النجاحات التي لمســـوها والتي طالت العديد من الأســـر والأفراد بالمنطقة لما استجابوا لدعوتنا لمشاركتنا والعمل معنا في خدمة المنطقة وأهلها".

وتؤكد أن هناك العديد من الهيئات والمنظمات والنوادي الثقافية وكافة تشـــكيلات المجتمع المدني تجد صـــعوبة في اســـتقطاب العنصـــر الذكوري للعمل معها فكيف الحال والجمعية متواضـــعة الموارد في بيئة ليست سهلة نجحت في تجنيد الرجال والشباب بل والأطفال لدعم مسيرة الجمعية وأهدافها، بالإضـافة إلى تعاون العديد من الجهات الرسمية وعلى رأسهم دعم جلالة الملكة رانيا للجمعية منذ بواكير عملها، مثمنة دعم جلالتها ورعايتها الذي كان له أكبر الأثر في نجاحاتهم اللاحقة، علما بأن منطقة خدمات الجمعية لا تنحصر في محيط منطقة النقيرة بل تتعداه للمناطق المجاورة أيضًا ومنها على سبيل المثال: أم بطمة، الذهيبة الشرقية، الذهيبة الغربية، رجم الشامي الغربي والشرقي، منشية القضاة، مغاير المهنا، الفيصلية، الموقر ،الحاتمية والماجدية.

مبادرات نفذتها

من أبرز المبادرات المحلية والتي تعتز بها سامية الجبور، مبادرة تتعلق بالنساء البدويات وهن بالمناسبة من أضعف الفئات وأكثرها هشاشة نظرًا للظروف المحيطة بها.

وتذكر ســـامية مبادرة تتعلق بتدريب المرأة في البادية والأرياف على امتلاك مهارات تختص برعايتها لماشـيتها وأغنامها، حيث تتلقى تدريبًا متخصـصًـا برعاية الماشـية الصـحية مثل؛ التطعيم، العلاجات، اكتشاف الأعراض المرضية ومعالجتها قبل أن تتفاقم وكيفية التدخل العلاجي، وبعد التدريب المتخصص لمدة 6 أشـهر يتم منحهن عددًا من رؤوس الماشـية وبعض الأجهزة المسـاعدة و"هاتفًا نقالًا" للمتابعة وتيسير سبل التواصل مع المختصين، واستفادت من هذا المشروع 25 سيدة تمكنّ من إعالة أسرهن وتعليم أبنائهن.

تكريم ومشاركات

كرمت العديد من الجهات الرسمية والأهلية ومنظمات المجتمع المدني سامية الجبور وتذكرمنها على وجه الخصوص"تكريم جمعية المتقاعدات العسكريات، جمعية معهد تضامن النساء الأردني، منظمة الأغذية العالمية ومنظمة الفاو.

وتقول: "سعدت بالتكريم الذي حصلت عليه من كل الجهات، فالإنسان بطبعه يشعر بالسعادة إن تم تقييم جهوده واحترامها، لأن ذلك يعني أنني نجحت في الوصول للناس وخدمتهم والتي هي شرف لي، وهذا كله بفضل الله ولأن من يحبه الناس يحبه الله".

أما بخصوص المشاركات والتي تحرص عليها كثيرًا فهي متنوعة، لكن تبقى بعض المشاركات لها أثر كبير في حياتها وتثري تجربها الإنسانية بشكل عام ومنها المشاركة برحلة سفاري بالصحراء الأردنية مع الشريفة زين الشرف بنت ناصر رئيسة مجلس أمناء الصندوق الأردني الهاشمي لتنمية البادية الأردنية ولمدة 14 يومًا.

وتستذكر سامية تلك الرحلة بقولها: "تنقلنا بين عدد من المناطق الصحراوية، ومكثنا في خيم متنقلة طوال هذه الفترة حيث كانت الغاية من هذه الرحلة هو الاطلاع أولًا ومن ثم تحديد الاحتياجات لتلك المناطق في البوادي الثلاثة "البادية الشمالية والوسطى والجنوبية" بما فيها مجتمعات اللجوء، للعمل لاحقًا على وضع الخطط وإشباع تلك الاحتياجات، ومن ضمن مشاهداتنا كان الاطلاع على وضع السدود المائية وتوطين الأهالي واقتراح مشاريع لتلبية احتاجات الأهالي في تلك المناطق الفقيرة وكانت الحصيلة دعم 57 مشروعًا من الصندوق الأردني الهاشمي لتنمية البادية، وكانت تجربة مميزة وفريدة بالنسبة لي لن أنساها أبدًا، لقد تعلمت الكثير منها وتركت أثرًا على شخصيتي وبنائي الفكري".

كلمة أخيرة للنساء

عزيزتي المرأة لا تستهيني أبدًا بما تملكين من قدرات حباك الله بها، ما عليك سوى الإيمان بذاتك وتحديد هدفك ومن ثم بدء العمل بما تملكين من موارد، صدقيني تلك كافية لوضعك على أول درجة من سلم النجاح وأنت جديرة بذلك وابدأي البحث بداخلك عما تريدين وما تجيدين قبل البحث في محيطك، أنت نقطة البداية.

لم أكن أمتلك حتى الاسم
السيدة/ سلمى الشرفات

سلمى الشرفات رئيسة جمعية عائشة أم المؤمنين لرعاية الأيتام، ولدت لعائلة سورية وتزوجت في سن 14 عامًا من عمرها من قريب لها في شمال المملكة فأنجبت 8 أبناء من الذكور والإناث.

وزواج سلمى الشرفات "أم غازي" جاء بهذه الطريقة لأن الكثير من العائلات في تلك المناطق الحدودية ترتبط بصلات قربى مع اختلاف الجنسيات وأماكن الإقامة، وهذه حالة شائعة في السابق بين العديد من العشائر والقبائل العربية، فقديمًا قبل أن يقوم الاستعمار بتقسيم المنطقة العربية كانت لا توجد حواجز ولا تأشيرات ولا حدود وهمية صنعها المحتل الغازي، فكان النسب والمصاهرة يتم بين أبناء القبائل المختلفة.

و"أم غازي" سيدة البادية امرأة من نوع مختلف من النساء، استطاعت أن تخط بكفاحها ومثابرتها وعزيمتها التي لا تعرف الكلل قصة نجاح مميزة، لا يمكن المتابع لها إلا الانحناء أمامها احترامًا لقصة كفاحها.

وقال نابليون بونابرت: "الإرادة القوية تتخطى الصعاب وتقصر المسافات"، فأم غازي امرأة امتلكت ذاك الحلم والإرادة والتحدي والصبر الذي لا ينكسر أمام الصعاب، وهي بذلك مهدت الطريق أمام أبنائها وبناتها وقصرت المسافات ليصل كل إلى حلمه بامتلاك شهادة ومؤهلات قيمية وأخلاقية تساعدهم في حياتهم المستقبلية، رغم معارضة والدهم الذي كان لا يرى في التعليم ضمانًا لمستقبلهم وخاصة البنات.

وسلمى أصرت على مجابهة التحديات والصعاب في الحيز الخاص والحيز العام، فهي أيضا قهرت الأمية الأبجدية التي فرضت عليها بسبب زواجها المبكر حيث كانت القراءة والكتابة مفتاح نجاحاتها اللاحقة في مجالات عدة.

اسمي مستعار

وتقول سلمى الشرفات "أم غازي": "بداية سلمى ليس اسمي الحقيقي وهذا اسم مستعار لإمرأة أخرى، وهو أسم وهمي كان زوجي قبل الارتباط بي قد أحضر عقد زواج لكتيبته العسكرية في ستينيات القرن الماضي حيث يعمل لغايات الاستفادة من زيادة الراتب، وأكتشفت ذلك بالصدفة في العيادة، حيث استمرت الممرضة تنادي على اسم سلمى بشكل متكرر وأنا لا استجيب لحين لم يبق بالعيادة أحد غيري، وعندها أدركت أن

بطاقة التأمين الصحي العسكري التي احملها هي باسم امرأة أخرى، ومع الزمن تكرس اسم سلمى ونسيت اسمي الحقيقي، وقبلت به رغمًا عني فلا مجال للتغيير لأن ذلك يعتبر تزويرًا يعاقب عليه القانون حسبما أفهموني في حينه".

وتضيف: "عندما تزوجت انتقلت للعيش في البادية الشمالية من الأردن، حيث عشت حياة بسيطة للغاية وأقرب للكفاف حيث الدخل المتدني الذي يعتمد على راتب شهري بسيط لزوجي العسكري والذي كان في حينه لا يتجاوز راتبه 25 دينارًا".

أولى خطوات التغيير في حياتها

بدأت أولى خطوات التغيير في حياة سلمى الشرفات بالتحاقها بتجمع لجان المرأة الوطني الأردني، وبدأ التغيير في شخصيتها وأفكارها ونظرتها للحياة.

وتقول: "كنت أسمع حينها من البعض عن تكتل نسائي يدعى تجمع لجان المرأة الوطني الأردني يساعد النساء ولديه برامج ومشاريع تدعم قطاع المرأة، لذلك توجهت لمقر التجمع في منطقتي حيث التقيت المحامية ريم أبو دلبوح في تلك الفترة وعبرت لها عن رغبتي بالانضمام للتجمع والالتزام بالمهام المتطلبة مني، وبناء على ذلك اخبرتني ريم أبو دلبوح بأن الالتزام بداية يحتاج لتنظيم 150 امرأة للتجمع بعد أن أقوم بإعلامهن عن التجمع وأهدافه والغايات المتوخاة من هذه العضوية، بالإضافة إلى دور التجمع في تعزيز القطاع النسائي وخدمة المجتمع المحلي، وبالفعل استطعت اقناع 150 امرأة من نساء منطقتي بالانضمام للتجمع، ولاحقا لذلك تم انتخابي كمنسقة في منطقتي حيث نفذت العديد من البرامج التوعوية في مختلف المجالات في منطقة سكني والمناطق المجاورة لها في مجالات؛ الصحة، التوعية الزراعية، المهارات الحياتية، التوعية الوالدية، والتوعية القانونية".

وتابعت سلمى سرد حكايتها: "منذ البدايات وأنا أعيش أحلك لحظات حياتي على مختلف الصعد، وكانت لدي أحلام كثيرة تتعلق بي وبأطفالي وحتى بالنساء في منطقتي، رغم محدودية الموارد وضيق الحال وقلة الداعمين في ذاك الوقت، لذا بعد أن انتسبت لتجمع لجان المرأة الوطني الأردني والذي كان له عظيم الأثر على حياتي وحياة أبنائي لاحقًا لانه لولا القوة والمعرفة والمهارات والدعم الذي تلقيته لبقيت "مكانك سر" ولكانت حياتي في غاية السوء والتعقيد، لكن والحمدلله قدموا لي الدعم اللازم وكنت على قدر التحدي".

وعملت سلمى الشرفات بجد واجتهدت وتحملت الصعاب في سبيل تحقيق هدفها بتغيير حياتها وحياة أطفالها وعدم الاستسلام للعقبات وللمحبطين من حولها، وبدأت مشوار رحلتها العملية وخرجت من شرنقة الحياة العائلية الضيقة والمحدودة لحياة نطاقها أوسع وأكثر رحابة، وهذا كان متوافقًا تمامًا لطبيعتها البدوية التي

لا تعرف الخوف ولا التردد، لذلك امتلكت الجرأة لاقتحام مجالات عدة وكانت تتخذ قراراتها بمفردها وعلى الأغلب كان صائبة.

ولادة لحياة جديدة

وتروي سلمى قصتها حول أول ثمار قوة الإرادة التي امتلكتها: "تم الإعلان عن مسابقة لإعداد وتقديم مشاريع في محافظة المفرق، ففكرت كثيرًا وأنا المرأة البدوية الغريبة التي بالكاد تفك الحرف وتساءلت أليس لدي عقل أفكر به، ألا أمتلك الإرادة والمهارة؟ إن فزت بتنفيذ فكرة المشروع أليس من حقي أن أحاول وأجرب كالأخريات؟ لعل الحظ يحالفني".

وتتابع وتقول: "بالفعل عقدت العزم على أن أحاول وكلي أمل بالفوز رغم الهواجس الكثيرة التي أحاطتني والخوف من الفشل، وكان حلم الفوز بالمشروع يبدو لي بعيدًا، فهناك العشرات من المتقدمات يملكن الشهادات والمال والدعم الأسري والمعارف بل والسلطة، وأنا لا أملك شيئًا من ذلك غير الإرادة والحلم بالفوز بالمشروع" .

ولإيمانها بقدراتها باشرت بكتابة مشروعها والذي كان يتمحور حول المياه الرمادية وكيفية الاستفادة منها، وهي مياه "الغسيل والجلي وتنظيف البيت" وكيفية تحويلها لمياة صالحة لري المزروعات والأشجار المحيطة بالمنازل، بالإضافة إلى كيفية استثمار مياه الشتاء التي تذهب جلها هدرًا في حين يواجه الجميع في الصيف شحًا وانقطاعًا شبه دائم للمياه، خصوصًا في منطقتها التي تعرف بشح المياه والتي هي أقرب للتصحر.

وتستذكر كيف كتبت مشروعها فتقول: "كنت أشرح لابنتي الفكرة وهي تقوم بدورها بكتابتها على الورق، بل أذكر في حينها انني تقدمت بمشروعين واحد باسمي والأخر باسم الجمعية، حيث كان المشروع باسم الجمعية يتعلق بانشاء بركة مياه لجمع أمطار الشتاء لأن منزلي على حافة وادي يفيض بالمياه في فصل الشتاء، وبالفعل فزت بالمشروعين وحصلت على 3 آلاف دينار ونفذت المشروعين بنجاح، وكان هذا الفوز بالنسبة لي ولادة جديدة وازدادت ثقتي بنفسي كثيرًا مما ساعدني لاحقًا على اقتحام مجالات عمل أخرى".

وبعد نجاح بداية مسيرتها العملية التي تولدت من بنات أفكارها قطفت بعض الثمار فقامت بشراء عدد من الدونمات من الأراضي لتبني عليها منزلين بعد أن كانت لا تملك خيمة لتأويها مع أسرتها، ولأنها على قناعة أن امتلاك مأوى آمن هو أحد ضمانات الحياة الفضلى للمرأة.

ولاتباعها نهج "اصعد السلم درجة درجة " قامت أيضًا بشراء رأس من الغنم اعتنت بها ورويدًا رويدًا أصبح لديها "شلية غنم"، وهذه كانت تؤمن لها ولعائلتها الغذاء والفائض من إنتاجها تقوم ببيعه، وهكذا أصبحت تمتلك المنزل والسيارة والماشية والأرض.

مسارات جديدة على طريق العمل ومسؤوليات كبيرة

وتقول سلمى الشرفات: "كانت نظريتي تقوم على أن أهم شئ في حياة المرأة سعيها للتعلم الدائم"، فاستمرت بالالتحاق بأي دورة في أي مجال يتاح لها، واستمرت بتتبع خطوات النجاح حيثما تكون، فقد كانت تمتلك شغف المعرفة التي أدركت أهميتها في تقويتها وتمكينها وصقل شخصيتها، وقد التحقت ببعض الدورات التدريبية في مجالات تبدو بعيدة تمامًا عن عالم النساء واهتماماتهن بل وقد تثير الاستهجان إلى حد السخرية.

والتحقت سلمى بدورة تمريض بيطري من خلال إعلان صادر عن وزارة الزراعة، وهي دورة مشتركة للإناث والذكور، ومتخصصة في مجال تلقيح الأغنام وتقديم العلاجات البيطرية، ومدتها شهر واحد والتي تم اختصارها لاحقًا لتصبح أربعة أيام فقط بواقع يومين نظري ويومين عملي، ورغم موضوع الدورة ومدتها وعامل الاختلاط المرفوض في بيئة محافظة أصرت على الاستفادة منها، لأنه كان جل تركيزها وتفكيرها مرتبط بالبحث عن فرص جديدة للتعلم والتدريب المفيد لتعزز وضعها الاقتصادي كونها المسؤولة عن كل ما يتعلق بمتطلبات بيتها بدأً من التعليم وانتهاء بأصغر الاحتياجات.

وتقول: "طوال الوقت أعمل خياطة منزلية ليلًا وأتابع باقي شؤون حياة أسرتي طوال ساعات النهار، حتى خيل لي أنني أحتاج أن تكون ساعات النهار 48 ساعة بدلًا من 24 ساعة، لطبيعة الأدوار المركبة التي كنت أقوم بها بدءً من دور الأم الطبيعي مرورًا بالاعتناء بالأغنام وحلبهن وتطعيمهن وتصنيع الأجبان والألبان وغزل الصوف وانتهاء بدور الأم العاملة خارج المنزل، تلك كانت حياتي وما زالت حيث أعمل طوال ساعات النهار وجزءً من الليل رغم أن الأولاد كبروا وتخرجوا وبعضهم تزوج وانتقل لحياته الخاصة، ووفاة زوجي، إلا أنني أعشق العمل وأحرص على أن أكون مفيدة ومنتجة لآخر لحظة في عمري".

ومن المواقف التي لا تنساها سلمى عندما تقدمت بطلب للعمل كشرطية في مديرية الأمن العام، نظرًا لحاجتها للعمل، وبعد نجاحها بالفحص الطبي اعتذروا لها بسبب العمر، لأنها مسجلة بالأوراق الرسمية بأنها من مواليد عام 1941 بحسب عمر المرأة التي حملت اسمها، علما بأنها فعليا من مواليد 1956، وتكررت مشكلة السن معها حين كان لديها فرصة للعمل أيضًا كمراسلة في مدرسة للإناث، لكنها استفادت من كبر السن بقبولها للالتحاق ببعثة الحج.

مواجهة التحديات في عملها كممرضة بيطرية وتغلبها على "الأمية"

وتقول سلمى: "على ما أذكر تلك الدورة كانت بمنحة من الفاو حيث تختص الدورة بتعليم مهارات تتعلق بالاعتناء بالماشية وتطعيمها بطرق صحية وسليمة، وكيفية إعطاء الأدوية للماشية المريضة والرش وكل ما يتعلق بمهنة "ممرض بيطري"، وكان عدد المشاركين بتلك الدورة 14 مشاركًا وكنت المرأة الوحيدة التي

التحقت بتلك الدورة ومعظمهم من حملة شهادة التوجيهي وأنا المرأة الوحيدة والأمية بذات الوقت إلا أنني أجيد التهجئة لأنني كنت قد التحقت سابقًا ببرنامج تعيم الكبار ومحو الأمية، ومما أتذكره خلال الفحص المسبق على الالتحاق بالدورة أن من محاسن الصدف أن الامتحان كان شفهيًا وليس كتابة فأنا بالكاد أجيد التهجئة، لكن كان لدي إصرار عجيب على اجتياز تلك الدورة واكتساب مهارة تطعيم الأغنام رغم أن مجتمع الذكور والبادية لا يثق بالنساء في هذا المجال لأنها مهنة يختص بها عالم الذكور وكنت أحد أبرز المتفوقين بتلك الدورة ".

وتضيف: "لم أحقق نجاحًا أو مكسبًا ما إلا ودفعت ثمن ذلك قلقًا وخوفًا وهواجس، فأنا امرأة بدوية في بيئة محافظة جدًا، حكمتني وتحكمهم منظومة من العادات والقيم والأعراف الاجتماعية الآسرة والتي لا فكاك منها بشقيها الإيجابي والسلبي معًا، لذلك أعتقد أن التحديات والصعوبات كان لها دور إيجابي في حياتي فتعلمت المواجهة والإصرار والعمل تحت الضغط وتعلمت مهارة التفاوض ومتى وكيف انسحب إذا ما اضطررت لذلك، ومن التحديات التي واجهتني وآلمتني بذات الوقت حالة الاستغلال من البعض خلال عملي بتطعيم الأغنام فكانت تسعيرة وزارة الزراعة لكل ألف رأس من الماعز 50 دينارًا في حين كانوا يدفعون لي 10 دنانير في أحسن الأحوال، بعض الناس استغلاليين وما عندها شفقة، كانوا يعرفون ظروفي وحاجتي للمال، وبنفس الوقت في بداية العمل كانوا لا يثقون بي، علمًا بأنني أستطيع تطعيم الماشية بمهارة وكفاءة أفضل من بعض الرجال، ولكن مع مرور الوقت أصبحت المفضلة لمعظم المزارعين وأصحاب الماشية رغم استمرار حالة الاستغلال المادي، فالنساء عليهن إثبات جدارتهن كل يوم وكل لحظة في مجتمعنا وبلادنا، ولعل من المواقف المسيئة ذاك الموقف في أول مرة ذهبت لتطعيم ألف و200 رأس من الغنم لأن صاحب الحلال مضطر للجوء لي ليس قناعة بي حيث كان هناك ضغط على الممرضين البيطريين الرجال، وخلال تأديتي لذلك سمعت جار المزارع يقول له: "يا رجل ما لقيت غير حرمة تطعم غنمك ؟؟ إنت راجل محترم وغنمك مباركة وهاي المرأة ما رح تقدر، لكن خلال ساعات قليلة أنهيت تطعيم ألف و200 رأس من الغنم وبحرفية عالية، فبعض الممرضين كانوا يتسببون بمشاكل للأغنام "بتصير تعرج" ومن ثم أصبح ذلك المزارع لا يستعين إلا بي".

كلمة أخيرة للنساء

على كل امرأة أن تتحلى بالصدق والرجولة لأن الرجولة ليست للذكور فقط، للرجولة مواصفات ومعايير تنطبق على بعض الرجال وبعض النساء، وأنا واجهت العديد من التحديات بسبب الجنس وكامرأة غريبة لكن استطعت كسر كل تلك الحواجز بصبري وصمودي وثقتي بنفسي، وأيضا أقول للنساء اليد العاطلة عن العمل يد بطالة غير مفيدة لذلك كما تتحلين بالأقراط في آذانكن تحلين بالتعليم والعمل، والعمل ليس بالضرورة أن يكون تقليديًا بالمطلق.

الخيارات الصعبة

السيدة/ عايدة دعيسات

عايدة دعيســـات من مواليد 1968 من منطقة الرامة في الأغوار، ولها قصـــة مختلفة تمامًا مع مهنة التمريض، هذه المهنة التي كانت لوقت طويل شـــبه محظورة على الإناث لدى العديد من الأســـر الأردنية، في حين كسـرت عايدة هذا المألوف وامتهنتها بكل شـغف وإنسانية، بالتأكيد كان هناك بعض الدوافع الخاصة لديها لهذا التوجه الإنســـاني بالمطلق، فهن ملائكة الرحمة بامتياز عندما ينتمين ويخلصن العمل في هذا القطاع .

وعند الحديث مع عايدة "أم حياة" في غور الصـافي حيث اسـتقرت منذ سـنوات طويلة وكانت متأثرة كثيرة بادرت بالقول: "نحن النسـاء المنسـيات، العاملات بصـمت وبلا ضـجيج في بيئة تكاد تفتقر لكل شـئ، مناخ حار وجاف، والموارد الأسـاسـية بسـيطة للغاية وتكاد تكون معدومة للأغلب، لذلك نقدر كثيرًا أن هناك من العاصـمة من اهتم لسـماعنا وسـرد حكاياتنا بكل ما تتضـمنه من معاناة وسـرد نجاحاتنا التي حفرت على الصـخر بإرادة لا تنكسر".

وبدت عايدة إنسانة عاطفية للغاية متأثرة بأن هناك من يهتم وهناك من يود نقل قصـتها كأنموذج لإنسانة مكافحة، نبيلة في عطائها وانتمائها لبلدها وناسها، لذلك فمسيرة عايدة وسط كم من الصعاب هي أنموذج للتعلم بالصـبر والكفاح بحيث أصـبحت من النساء القلائل في الأغوار الجنوبية التي حصـدت ما يقرب من 5 آلاف صـوت في انتخابات المجالس البلدية، وخاضـت هذه المعركة الانتخابية بكل اقتدار وبموارد مالية تصـل حد الصـفر، في حين كانت عشـرات الآلاف من الدنانير والعلاقات والدعم اللامحدود تنفق في العاصمة ومدن أخرى على انتخابات مشابهة وتكون النتيجة لا شئ ، ولعل الفارق الوحيد أنها عملت بثبات مع الناس وللناس، لم يكن في نيتها يومًا ولم تخطط لاقتحام مثل هذه المجالات الخدمية التنموية، لكن هي الأقدار دومًا، وكان أن رد لها الجميل لعطائها ومثابرتها بالاستناد إلى الثقة التي بنتها لسنوات مع محيطها ومجتمعها المحلي الذي رأى فيها أنها خير من يمثله ويحمل همومه ويقوم على خدمته بكل إخلاص.

عايدة تروي حكايتها

وتقول عايدة دعيسات التي تصر على مناداتها بـ"أم حياة" تيمنًا باسم ابنتها الكبرى رغم أنها أنجبت لاحقًا البنين، وترفض أن تكنى بغير هذه الكنية: "بداية أنا واحدة من الناس رتبت أمور حياتي الشخصية بدقة ومن ثم تعديت ذلك لخدمة منطقتي ومجتمعي الصغير، وأمي هي الزوجة الثانية لوالدي الذي لم ينجب من زواجه الأول الذي استمر 15 عامًا، ووالدتي تزوجت صغيرة السن، لهذا تعتبر من ضحايا الزواج المبكر جدًا، علما بأن خالتي التي تكبرها سنًا وحجمًا هي من تقمصت دور والدتي أمام المأذون الشرعي بسبب صغر عمر وحجم والدتي الأمر الذي لم يكن ليقنع المأذون بصلاحيتها للزواج، علمًا بأن فارق العمر كبير جدًا بين والدتي ووالدي رحمهما الله".

وتضيف: "في مسيرة حياتي العديد من الأحداث والمشاهد التي تركت آثارها على شخصيتي لاحقًا، منها ما هو مغرق في الحزن والسواد ومنها ما يحمل البهجة والفرح كإنجابي لابنتي حياة التي أرفض أن انادى بغير اسمها، لأن حياة هي من محطات الفرح الغامر بالنسبة لي، وكانت وما زالت مع بقية أشقائها شعاع الأمل الذي يحثني على العمل والتقدم بشكل مستمر".

شاهد عيان على وفاة أفراد عائلتها

توفيت والدتها وهي بسن صغيرة جدًا خلال الولادة حيث لم تفارقها صورة والدتها وهي مسجاة غارقة في الدم نتيجة نزف لم يتم السيطرة عليه، ولم يكن أحد ليلتفت لتلك الصغيرة التي لم يتجاوز عمرها 6 سنوات والمتسمرة في زاوية الغرفة تنتظر أن تصحو والدتها، فكانت شاهدة عيان على ذلك المشهد المأساوي.

ولم يكن حضورها وفاة والدتها المشهد الوحيد الذي فقدت خلاله وأمام أعينها أشخاصًا من أعز الناس على قلبها، فقد سبق وفاة والدتها حضورها وفاة شقيقتها الطفلة في حادثة مؤسفة، وذلك أثناء وقوفهم في محطة الحافلات، حيث سحبت إحدى الحافلات شقيقتها لمسافة طويلة قبل أن ينتبه السائق إلى أن هناك صغيرة علقت بذيل الحافلة من شعرها، لذلك تولد لديها ميل فطري بالرغبة بتقديم المساعدة وإسعاف المصابين فذهبت باتجاه العمل في قطاع التمريض.

وبعد وفاة والدتها انتقلت للعيش مع جدتها في الأغوار منطقة الرامة مع شقيقتها التي جاءت للحياة لحظة وفاة والدتها، ونظرًا لأن الجدة كبيرة في السن، والظروف الحياتية والمعيشية في غاية الصعوبة، والشح في المال، قرر والدها البحث عن مؤسسة أيتام للاعتناء بها، ولكن خلال بحثه الذي لم يدم طويلا كتب القدر لعايدة أن تكون شاهدة عيان للمرة الثالثة على وفاة أحد أفراد أسرتها فلحقت أختها الطفلة بوالدتها لاختناقها أمام أعينها خلال قيام جدتها بعملية استحمام للطفلة وجراء الماء المتدفق على وجه الصغيرة توفيت على الفور، ثم حضر والدها وبيده قماش أبيض ومجرفة وحملها على كتفه المتعب ودفنها في فناء البيت، فأصبح

ذلك القماش الأبيض الذي يلف به الموتى في رحلتهم الأخيرة والموت والفراق والحزن شواهد ليل في مسيرة حياتها.

الدراسة على ضوء "البابور" والخيارات الصعبة

بعد وفاة شقيقتها الصغيرة عاشت عايدة مع جدتها في منطقتهم التي تتصف بشدة الحرارة بالصيف وبالبرودة في الشتاء، حيث موارد الناس الشحيحة للغاية والحياة أكثر صعوبة وقسوة في تعاطيها مع سكان تلك المناطق وخاصة الفقراء والغلابة، التي تضيق بهم الحياة ودروبها وتسيرهم على هواها.

وتقول عايدة: "بذلت جهدًا متميزًا في تلك الظروف لمتابعة دراستي وحرصت على أن أكون متفوقة، نعم أردت دومًا التفوق على قسوة الحياة وعدم عدالتها مع البشر، وبالنتيجة وصلت لمرحلة ما كان يسمى بالمترك "الثالث الإعدادي"، ومما أتذكره عن معاناتي للدراسة والتحصيل أنني اضطررت مرارًا وتكرارًا للدراسة على ضوء الموقد والذي كان عبارة عن "بابور الكاز" فكانت جدتي تحدثني قائلة لي "البابور منو دفا ومنو ضو" هذه هي الحياة والظروف التي خرجت من رحمها منتصرة متسلحة بحب الناس واحترامهم وتقديرهم لي".

وتتابع سرد حكايتها: "طبعًا بعد نجاحي في مرحلة المترك، ولضيق الحال ومحدودية الدخل الذي كان يعتمد على عمل والدي المتقطع، وأيضًا لانعدام الخيارات الأخرى ذهب والدي وقام بتسجيلي كمساعدة تمريض في السلط عام 1985، وبالفعل تم قبولي كمساعدة تمريض علمًا بأن القبول كان مخصصًا لمن يحملن شهادة الدراسة الثانوية العامة "التوجيهي"، لكنها تساهيل من الله الذي من علي بالمساعدة".

وهنا صمتت قليلًا ثم تابعت وكأنها تذكرت شيئًا ما: "الحقيقة أنني سعيت للحصول على التوجيهي في تلك المرحلة لكن الظروف المادية وبعد المسافة بين المدرسة الثانوية والسكن شكلت حائط صد في وجه أحلامي بمتابعة الدراسة لمرحلة التوجيهي، علمًا بأن أجرة النقل يوميًا من البيت للمدرسة ومن المدرسة للبيت تستوجب دفع 15 قرشًا ذهابًا وإيابًا، وطبعًا لم تكن لتتوفر تلك القروش في ذلك الوقت حيث قال لي والدي رحمة الله عليه "يا بوي ما بي قروش" لذا كان خيار الدراسة كمساعدة تمريض بمستشفى السلط الحكومي أو العمل في الشرطة النسائية حيث حلم والدي مرارًا بأن أصبح شرطية".

والتحقت عايدة بكلية التمريض وتخرجت من العشرة الأوائل وكانت جلالة الملكة هي من قامت بتخريجهم حينها وسط استهجان تفوق هذه الشابة القروية البسيطة، ومن محاسن اختيارها لمهنة التمريض في ذلك الوقت الصعب أنه كان يتم صرف مكافأة شهرية قيمتها 30 دينارًا لكل منتسبة، فكانت هذه المكافأة تغطي نفقاتها وتنقلاتها بل وتقوم بتأمين بعض احتياجات البيت، إضافة إلى أنها كانت تدخر بعض المال من

هذه المكافأة، فقامت بشراء "إساورتين من الذهب" واحتفظت بهما عند معلمتها لحين زواجها، فكانت تعتبر تلك المعلمة التي تسكن في مخيم الوحدات بمثابة والدتها.

ولعل من أصعب المحطات في حياتها وخلال مسيرتها التعليمية هي وفاة والدها حيث حضرت المعلمة وانتظرت انتهاء تقديمها لامتحان مادة اللغة الإنجليزية حيث قالت لها أن هناك من ينتظرنها للمغادرة بسبب وفاة والدها، فكانت تلك ضربة أخرى قاسية لها.

وبعد وفاة والدها فقدت جدتها بصرها من شدة الحزن والبكاء الدائم على والدها، وهكذا أصبحت تقوم بعد وفاة والده بأدوار وتحمل أعباء تفوق عمرها وقدراتها، فقد أمست مسؤولة عن نفسها وشقيقها وجدتها الكفيفة ودراستها وكل ما يتعلق بهم من مسؤوليات ونفقات، وكان كل الاعتماد على مكافأة الدراسة وهي 30 دينارًا شهريًا.

الزواج وما بعده

بعد أن أنهت دراستها تزوجت من ابن عمتها في عام 1987 بناء على وعد من الجدة بتزويجها من ابن ابنتها في منطقة غور الصافي، وهكذا انتقلت للعيش في غورالصافي، رغم أن والدها في حياته كان يقول لجدتها "لن أقوم بتزويج ابنتي الوحيدة لتلك الجبال السوداء في غور الصافي".

وهنا تقول عايدة: "انتقلت للعيش في غور الصافي إلى هذا الوقت، ولم أندم أبدًا وكان وما زال زوجي زوجًا محبًا ودودًا عطوفًا، لذا فقد عوضتني حياتي الزوجية خيرًا، وطبعًا انتقلت للعمل من مستشفى السلط الحكومي حيث عملت سابقًا إلى مستشفى غور الصافي الحكومي للعمل كممرضة، ومن ثم أنجبت ابنتي حياة وبقية أبنائي، وعلى ما أتذكر كنت أرغب بداية بتسميتها مجدولين لكن الجميع رفض التسمية فقد كان الجميع يتدخلون في كل شئ وفي كافة التفاصيل حتى الجيران والأقارب لذا اسميتها حياة بموافقة ومباركة الجميع، وفي منطقتنا هناك نوع من السلطات تمارس على النساء وخاصة القادمات من خارج المنطقة، وطبعًا أحسنت التعامل مع كل تلك المتغيرات بحياتي بمعاونة زوجي وأبنائي ولذلك أنا أدين لهم بالفضل في كل ما حققته من نجاحات، بالإضافة طبعًا لمؤازرة الأهل والأقارب والجيران، وكل من ساندني أدين له بالفضل، فشعاري دائمًا أن أحب الناس لله أنفعهم للناس وإنشاء الله أكون منهم".

وهنا تقول ضاحكة وكأنها تذكرت أمرًا ما حول زواجها: "كان لي شروط في عقد زواجي وهي العمل وعدم التدخل بطريقة لباسي، وطبعًا وافق زوجي دون تردد وبقيت أعمل طوال هذه السنوات في غور الصافي".

وخلال عملها بالتمريض كانت تقوم بكل الأعمال الأخرى بدءًا من الاهتمام بالأسرة وإدارة شؤون البيت بكافة تفاصيله والعمل بالمزرعة، وعندما يكون الدوام بالفترة الصباحية تعود للعمل مباشرة من المستشفى للمزرعة، وهكذا عندما يكون الدوام مسائيًا وحتى خلال الشفتات الليلية كان يبدأ الدوام من الساعة 11 ليلًا

حتى الساعة 7 صباحًا ومن ثم تذهب للمزرعة مباشرة لغاية الساعة 4 أو 5 مساء ومن ثم تعود محملة بصناديق الخضار والفاكهة، وكان كل هذا التعب يذهب مقابل ابتسامة طفلها ورضا زوجها وراحة عائلتها، وهذا هو نمط حياتها لسنوات طوال.

ولاحقًا قامت بتزويج أخيها وأبنائها وبناتها وقامت لهم بكل الواجب، وكان "نقوط" ابنها 10 الآف دينار وكذلك ابنتها، والجميع كان معها وأكرموها كما أكرمتهم طوال حياتها.

وبعد تزويجها الأبناء اشترت عايدة شقة في عمان ولكنها لم تستطع الابتعاد عن الأهل والجيران والناس والأرض التي عشقتها وتعشق العمل بها رغم مشقاتها، لأنها تشعر بالسعادة بالأراضي الخضراء ويسعدها منظر الحقول وتتأملها مرارًا خلال مراحل نموها وصولًا لمرحلة عطائها بالخير.

انحيازها للنساء الفقيرات الحوامل

وعن عملها في المسشفى الحكومي في غور الصافي تروي كيف كانت تنحاز للنساء الفقيرات الحوامل اللواتي لا يملكن أجرة الولادة وتقول: "كنت حريصة على خدمة الناس فأنا شديدة الحساسية حيال رقيقي الحال، فمثلًا عندما كنت أعمل قابلة في المستشفى كانت بعض الحوامل يأتين للولادة وليس بمقدرتهن دفع رسوم الولادة التي لم تتجاوز 9 دنانير ونصف الدينار حينها، فكنت أطلب منهن أن يحضرن مبكرًا قبل تواجد الإدارة والموظفين وأقوم بسرعة بتوليدهن وإخراجهن لمنزل قريب من المستشفى كالجيران أو احد أقاربهن وأطلب منهن البقاء لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات، ثم أتسلل إليهن بفترة الاستراحة لمتابعتهن والاطمئنان على حالتهن وعلى الوليد، ومن ثم أقول لهن الآن أنتن بأمان والأمان بالله روحن عبيوتكن، وذلك تلافيًا لدفع الرسوم، وقد استفتيت شيخًا بهذا السلوك وقال لي بأن ذلك ليس حرامًا وهو نوع من الشفقة والرحمة التي تؤجري عليها لأنهن سيلدن أطفالهن بالبيوت دون مساعدة وهذا خطر عليهن وعلى أولادهن، وكنت أقوم بالتنظيف وغسل السرير حتى لا يكون هناك أثر تكتشفه الإدارة لاحقًا".

ولا زالت عايدة تتذكر تلك المرافقة لإحدى السيدات اللواتي ساعدتهن بالولادة عند مشاهدتها تنظف المكان الذي كان مخصصًا للولادة وكانت تكنسه وتنظفه وتقوم بغسل السرير بعد الولادة مباشرة حيث سألتها المرافقة: "أنت خادمة ولا ممرضة؟"، فأجابتها عايدة: "أنا أخدم الجميع ما يضيرك أنت إن كنت خادمة أو ممرضة، المهم خدمتكم والله معكم، بالحقيقة كنت أرى ملامح أمي في كل النساء اللواتي يحضرن للولادة وكنت أتألم معهن، وكان شبح الموت يرعبني لذا كنت أسارع لمساعدتهن وخدمتهن بكل الطرق المتاحة لي ولسان حالي يلهج لهن بالدعاء قائلة "اللهم يا مخلص النفس من النفس ومخلص الروح من الروح خلص هذه الروح وهذا الجسد بسلام"، فكنت الممرضة والأخت والبنت لكل واحدة منهن، وكان يسعدني أن أراهن يلدن بسلام ويحملن أطفالهن ويغادرن الى بيوتهن آمنات".

أبرز المشاركات

انتخبت عايدة كممثلة عن مجلس الأمهات وحصلت حينها على 196 من أصل 200 صوت، كما عملت سنة كاملة بالتزام شديد ودون انقطاع كممرضة متطوعة في مدرسة فاطمة الزهراء، حيث كانت تقدم بشكل منتظم جلسات التوعية والتثقيف المحلي للمجتمع المحالات والمعلمات والطالبات في المجالات الصحية والوقائية والاجتماعية.

وتقدمت لانتخابات مجلس التطوير التربوي فحصلت على أعلى الأصوات حتى تفوقت على أصوات الرئيس الذي احتل منصب الرئاسة كونه ذكر وهي أنثى وأصواتها أعلى من الأصوات التي حصل عليها، وفي نفس المدرسة التي تطوعت بها كانت هناك لجنة الاعتماد الصحي وقد تطوعت للعمل فيها مع عدد من الأطباء وساهمت مساهمة فعالة ومميزة بحكم علاقاتها السابقة ومحيط عملها كممرضة، وقد فازوا بجائزة جلالة الملكة رانيا للاعتماد الصحي على كل مدارس الجنوب.

وعملت عايدة كرئيسة للجنة الصحية بالتعاون والشراكة مع"usaid" ووزارة الصحة بلواء الأغوار وقد ترأست هذه اللجنة لدورتين متتاليتين بالإجماع، وعايدة عضوة في شبكة العضوات المنتخبات في لواء الأغوارالجنوبية، وقد رتبت العديد من الأنشطة والفعاليات من خلال اتصالها وتنسيقها مع المعهد الجمهوري.

وتم تكريمها من بعض منظمات المجتمع المدني ومنها جائزة لوريس حلاس وجائزة ليلى شرف من خلال جمعية معهد تضامن النساء الأردني، كما تم تكرمها من اللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة وحصلت على غيرها من التكريمات.

مبادرة "حارتنا أنظف"

صممت عايدة مبادرة "حارتنا أنظف" والتي ما زالت مستمرة، وهي مبادرة قائمة على تنفيذ برامج توعية مستمرة وغير موسمية كما العديد من المبادرات في مناطق مختلفة، فعلمت النساء والرجال على مفهوم المواطنة الصالحة ومعنى الانتماء لمكانك وأهلك بالفعل والممارسة والسلوك وليس بالأقوال والتنظير، كما شرحت لهم قانون البلديات بلغة سهلة وبسيطة ليفهمها الجميع ويدرك معاني القانون.

ومن ثم تم اختيار رائدة لكل حارة تكرم حسب إنجازها لحارتها بأشياء بسيطة من جيوبهم الخاصة ومن تبرعات بسيطة للغاية من بعض الأهالي ممن أدركوا أهمية المحافظة على عامود الكهرباء وعدم إشعال الحرائق ونظافة الحارة وعدم إتلاف "البراميل" وهي بديل الحاويات في قريتهم.

خدمت الناس وصدقت معهم فصدقوها الوعد

تقدمت عايدة لانتخابات المجلس البلدي المحلي وحصلت على ما يقارب من 5 آلاف صوت فكانت أعلى الأصوات على الرجال والنساء، ومن ثم أصبحت رئيسة لمجلس محلي غور الصافي دون أن تكلفها حملتها الانتخابية أي أموال سوى الوعد الصادق بالالتزام بتقديم كل ما تتيحه لها الموارد البشرية والمالية ضمن التعليمات والأنظمة ذات العلاقة.

وتقول عايدة بهذه المناسبة: "كل ما أنفقته كانت الرسوم البسيطة وبعض الصور والأوراق فقط لاغير، ولقد بكيت عندما أعلنت النتائج من شدة التأثر بمحبة الناس والتفافهم حولي ومؤازرتي حتى حصدت أعلى الأصوات، وكان بياني الانتخابي موجزًا ومباشرًا وصادقًا وجملة كررتها خلال تجوالي على بيوت الأهالي وهي "أنا لا أعدكم بالوظائف ولا المساعدات المالية لأنني منكم لا أملك سوى الإرادة والنية الصادقة لخدمتكم إن قدر لي النجاح، واستحلفكم بالله إن لم تقتنعوا بي أو أنتم قمتم بالوعد والالتزام مع آخرين، لا تصوتوا لي خجلًا أو إحراجًا وهذه أمانة برقبتكم"، وقد أستطيع إضاءة شارع أو تزوديكم ببعض الحاويات أو وضع سواتر رملية لأقيكم اندفاع السيول، لكنني لا أعد بما لا استطيع أو ما يخالف القانون، وأعدكم ان أكون عادلة وغير فاسدة ولا أسمح بالفساد أبدًا، هذا وعد أم حياة كما خبرتوها وعرفتوها طوال السنوات السابقة".

تحديات المسيرة

من الطبيعي أن لكل مجال عمل تحدياته وعقباته، فكيف الحال عند تعدد الأدوار الفطرية والمهام العائلية والعمل العام والتزامات المهنة والعمل التطوعي والتي جمعتها عايدة دعيسات في آن واحد، ولكن بقوة الإرادة والعزيمة الصلبة تجاوزتها بكل اقتدار.

ومن أبرز التحديات التي واجهتها في مسيرتها في البدايات طبيعة البعد الجغرافي والمسافات وصعوبة المواصلات وحتى بعض أشكال التواصل في ظل ثقافة مجتمعية متحكمة محافظة لدرجة الانغلاق في بعض الأحيان، ومحدودية المعرفة والمهارات في بداية انطلاقها والتي واجهتها "التحدي مقابل التحدي" بالصبر والعزيمة والرغبة بالتعلم والاطلاع المستمرعلى ما يثري مسيرتها ويساعدها على التقدم للأمام.

وعندما قررت عايدة الدخول للمشاركة بالحياة العامة كانت لديها صعوبات بفهم هذا القطاع ومهماته وتحدياته لأنها بالأصل قادمة من القطاع الصحي، علمًا بأن القطاع الصحي جزء من القطاع التنموي لكن بالتأكيد كانت هناك مجالات كثيرة تعرفها، لذا لجأت للمشورة والاسترشاد من ذوي الخبرات والتخصص في هذا القطاع وهذا ساعدها كثيرًا، ولم تتردد أبدًا من إظهار نقاط ضعفها وعدم معرفتها في بعض القضايا لأنها ترغب بالتعلم واكتساب المعرفة حيثما تكون، ولسد هذه الثغرات المعرفية التحقت

بالعديد من الدورات وورش العمل والمناظرات، بالإضافة للقراءة ومتابعة كافة وسائل المعرفة، لأنها أدركت مبكرًا بأن المعرفة قوة وسلطة معًا.

ولعل من المواقف التي مرت بها بعد انتخابها كرئيسة للمجلس المحلي هو عدم وجود مكتب أو مكان محدد للانطلاق من خلاله وعقد الاجتماعات والمتابعات واستقبال ذوي الاحتياجات وأصحاب المشورة من المجتمع المحلي. وبالصدفة وخلال البحث عثرت عايدة على مكان قديم للغاية بل مهترئ ومهجور، فساعدها شباب المنطقة والأهالي الذين دعتهم لمشاركتها بتنظيف المكان وإصلاحه وصيانته، لأنه تحول بفعل الزمن لمكب للنفايات.

وهنا تقول عايدة: "قلت لهم شباب إيدي بإيدكم أنتم انتخبتوني ووضعتوا ثقتكم بي فساعدوني حتى نحول الخرابة المهجورة لمكان يليق بنا وليكون أنموذجًا على أننا نمتلك إرادة ورؤية مستقبلية لمنطقتنا واحتياجاتها ولنعمل معًا على تحقيق ذلك، ولأنه لا يوجد مورد غير هذا، وبالفعل قمنا بتنظيف المكان وإزالة المخلفات والأتربة، وأحضرنا بعض الدهان والرمل والطوب والمزروعات وحولناه من مكب للنفايات لمكتب ومقر للجنة بشكل جميل ولائق حسدنا عليه الجميع، وكل ذلك دون تكلفة تذكر أو انتظار غير مفيد، وكان حماس الشباب يتزايد ويتضاعف وهم يرونني أعمل بينهم بنقل الأنقاض والدهان وزراعة بعض الأشتال التي زينت المكان، وأصبح هذا المكان أيضًا مقرًا لحركة السيارات والضاغطات والقلاب الذي يساعدنا بتنفيذ مهامنا، بالإضافة لمكان لاجتماعات المهندسين والمساحين ممن يعملون معنا أو يساعدوننا أو حتى زوار ومتابعي المكتب".

وتضيف عايدة: "يتقدم بعض الأهالي ببعض المطالبات التي تفوق صلاحياتي وقدراتي والإمكانيات المتوفرة لدينا، ويتعذر بالفعل تنفيذ بعض هذه الطلبات، وطبعا أقوم بالشرح مرارًا وتكرارًا بأن ذلك مخالف للقانون أو يتعذر بسبب انعدام الإمكانيات وأقول لهم ما تطلبون خارج صلاحياتي ومخالف للقانون، فهل ترغبون بأن أحول لمكافحة الفساد؟، وهنا يتراجعون بكل احترام عن تلك المطالب خصوصًا المخالفة للقانون، لأنهم يعلمون تمامًا أنني صادقة ولا أكذب ومباشرة جدًا ولم أطلق وعودًا غير قادرة على تنفيذها وهم مجتمع طيب وبسيط للغاية، وبالإقناع وصدق المعلومة يفهمونك تمامًا ويلتزمون، فهذا هو مجتمعي الصغير المسالم مجتمع غور الصافي".

واستفادت عايدة دعيسات كثيرًا من الدورات وورش العمل مثل: إدارة الوقت، صلاحيات ودور المجالس المحلية، مهام رئاسة المجلس المحلي، إعداد الموازنات، وتحديد الاحتياجات، وهذه الأنشطة أضافت لها المعرفة والأدوات مما مكنها من العمل وفقًا للقانون والصلاحيات التي تحددها الأنظمة والتشريعات عمومًا مع الالتزام بفهم وتطبيق روح النص القانوني.

وتقول عايدة :"أتحمل مسؤولية 30 الف نسمة في منطقتي وهذا ليس بالأمر السهل خصوصًا مع الأزمات والتحديات التي تتولد في فصل الشتاء والمنخفضات الجوية وتقلبات المناخ المعادي أحيانًا وكذلك في فصل الصيف، حيث يعتبر ذلك تحديًا حقيقيًا في منطقة منخفضة وشديد الحرارة والجفاف".

وهنا علقت عايدة دعيسات ضاحكة على النقلة النوعية في مهامها وأدوارها سابقًا ولاحقًا قائلة بظرافة شديدة "هيك اتغيرت حياتي كنت سابقًا بدق أبر وأقطع الصرر، والآن أترأس مؤسسة وتجمعًا تنمويًا، وانتقلت للعمل في وزارة البلديات وأصبحت اتصالاتي على مستوى وزير البلديات وأصحاب القرار للمطالبة والسعي لتجنيد الموارد والمواقف ودعم منطقتي ومجتمعها المحلي، منحوني ثقتهم وعلي أن أكون على قدر ثقتهم بي".

كلمة أخيرة للنساء

نصيحة لكل النساء باختلاف الجغرافيا المكانية والموارد والظروف والتحديات بكل أنواعها أقول "بالصبر وطول البال وهدف نصب الأعين وبالذكاء الفطري للأنثى يمكنها تحقيق أهدافها، واعتماد سياسة التدرج في تحقيق الأهداف يمكنهن الوصول لما يردن، فالنساء يمتلكن موارد فطرية؛ كالقدرة على التحمل والقدرة على التشبيك والنفس الطويل والحساسية الخاصة بهن، وإن كانت هذه الموارد متباينة من امرأة لأخرى لكنها بالتأكيد موجودة، وأدعوهن للاستثمار في ذواتهن أولًا لأن ذلك سينعكس لاحقًا ويجب أن ينعكس على كل محيطها الأسري والمجتمعي، المرأة وطن والوطن للجميع.

وللنساء الريفيات تحديدًا واللواتي يصنفهن البعض من ذوات الاحتياجات الخاصة من حيث الإمكانيات والموارد وطبيعة وأولوية الاحتياجات، أنتن أكثر قدرة من الآخرين على تحديد أهدافكن واحتياجاتكن، ليكن لكل منكن هدف تسعى لتحقيقه سواء بالحيز الخاص أو الحيز العام، فمجموع النجاحات في الحيز الخاص هي جزء من نجاحات الحيز العام بالتأكيد، رغم الصعوبات والتحديات التي تواجه المرأة في البادية والأرياف عمومًا كون معظم مناطقنا تصنف من المناطق الاكثر فقرًا واحتياجًا والأقل حظًا بذات الوقت.

فبعض التحديات والصعوبات هي مفتاح النجاح والتفرد والتميز، كما حدث مع الزميلات رندة الشعار وصباح الشعار اللواتي نافسن الرجال بمواردهن البسيطة والمختلفة وفزن بمقعدين تحت قبة البرلمان الأردني بحيث حصلن على أعلى الأصوات بفارق كبير مع الآخرين، هذه هي المرأة التي نريد بقدراتها وإمكانياتها على العطاء والتميز بذات الوقت.

من الحزبية إلى البرلمان
الأستاذة/ عبلة أبو علبة

عبلة أبوعلبة الأمين العام لحزب "حشد" من الأسماء القليلة التي حفرت لنفسها اسمًا مميزًا في الساحة السياسية الأردنية والفلسطينية.

امرأة بإرادة حديدية

منذ نعومة أظفارها كانت مختلفة عن فتيات جيلها فحملت اهتمامات لا تتشابه مع اهتمامات أي شابة في سنها من أحلام ملونة تشبه قوس قزح وتتماهى مع الصبا واستحقاقاته واهتماماته في ذلك الوقت، فعبلة اختارت الطريق الأصعب، بل الأكثر صعوبة طريق لم تمر به إلا القليلات من المناضلات النسويات في عالمنا العربي بل وبالعالم، لأن عالم السياسة هو عالم محتكر على الرجال على الأغلب لأسباب متعددة على رأسها؛ المنظومة الثقافية والاجتماعية والأعراف والثقافة السائدة وعوامل التنشئة الأسرية والصور النمطية عن قدرات النساء وإمكانياتهن والتي لا تراهن أبدا في المجال السياسي خصوصًا في المنطقة العربية.

عبلة ابو علبة عملت وانخرطت في عالم السياسة عالم الرجال دفاعًا عن أسمى القضايا الوطنية والعربية والإسلامية على الإطلاق "القضية الفلسطينية"، فهي امرأة بإرادة حديدية وتمتلك رؤية وحلمًا وهدفًا ما حادت عنه يومًا ولها خطابها السياسي الذي لم تحد عنه أيضًا طوال 50 عامًا وهو ما يعجز عنه الكثيرون من الرجال والنساء، بالإضافة إلى كونها رائدة نسوية زاوجت باقتدار بين العمل السياسي والاجتماعي مما جعلها أنموذجًا مختلفًا ومميزًا في الوسط النسائي العربي والمحلي.

وتقول أبو علبة: "كنت والرفاق وما نزال من أبناء جيلي نحلم بالديمقراطية والتغيير والحياة الأفضل، إلى أن سكن الحلم وجداننا وضمائرنا، وحملناه أينما حللنا في منافينا، ثم بدأت بفك رموزه في تجربة نضالية طويلة ومعقدة كان العمل الميداني فيها هو الأساس".

طفولة بحنان الأم وغياب الأب

تقول عبلة أبو علبة: "أنا ابنة عائلة مكافحة قامت على تربيتي امرأة مكافحة بسبب الغياب المبكر للأب، فقدت والدي وأنا لم اتجاوز السنتين من العمر، ولم تتح لي الأقدار معرفة والدي كما كل الأطفال، وهذه

المرأة المكافحة والمجاهدة التي قامت بكل الأدوارالرعائية والحمائية وغرســت فينا أنموذجًا لا ينســى من الاســتقلالية والاعتماد على الذات وتقدير القيم الكفاحية والإنســانية النبيلة، تلك هي أمي تلك المرأة الفلسطينية التي سكنت تفاصيلي حتى اللحظة".

وتضــيف: "ســيرة الوالدة شــكلت مثالًا قويًا لي ولأفراد العائلة جميعًا، فقد كانت كما ذكرت امرأة مكافحة، تعيل عائلتنا الصــغيرة من عملها داخل المنزل، فصــورة تلك الأم المنحنية على ماكينة الخياطة في بيتنا الفسيح تحت شجرة الليمون تدنن بأهازيج شعبية تدخل لأعماق القلب وتسكنه، فكانت متنورة وذكية وتملك موهبة فطرية في قدرتها على تنظيم أولويات وشــؤون العائلة، لا تتهاون في تطبيق العدالة والمســاواة بين الإخوة بغض النظر عن كون أخي هو الوحيد بين ثلاث بنــات، لا تخوض معــارك جــانبيــة مع أحــد، وتحرص بحذر شديد على توطيد علاقتها مع الجميع، لقد أورثتنا قيمًا وأخلاقًا وعادات لا تقدر بثمن ولعل بعضها ساعدني كثيرًا فيما أصبحت عليه" .

حدث غير التاريخ

وتقول عبلة أبوعلبة: "أقول للجميع ولمن سيقرأ هذه السطور من حياتي أنه قبل 52 عامًا وفي الصباح الباكر بتاريخ الرابع من حزيران من عام 1967 كنت وزميلاتي نجلس على مقاعد الدراســة في مدرســة بنات قلقيلية الثانوية، كنا نحمل أقلامًا وأوراقًا صــغيرة مليئة بالألوان والفرح عابقة بروائح بيارات البرتقال والليمون التي ظللت حياتنا ونشأتنا في تلك البلدة الخضراء الجميلة والمتحفزة والمشاكسة وذات الحكايات الغامضة والملهمة كما كل المدن الفلسطينية، وفجأة ساد الهرج والمرج وحدث ما لم يكن بالحسبان وعمت الفوضــى في قاعة الإمتحان، وأنا لا زلت أذكر بوضــوح تعابير الفزع الشــديد على وجوه معلماتنا وهن يأمرننا بترك كل ما بأيدينا والمغادرة على عجل والعودة لمنازلنا لأن اسرائيل احتلت البلد".

وتواصل عبلة سردها للحدث الصعب الذي غير التاريخ: "على وقع تلك الأخبار الصاعقة عدنا لبيوتنا، ولا أذكر في طريق العودة للبيت سوى سماع أوامر عسكرية بلغة عربية ركيكة تنبعث من مكبرات الصوت في الجوامع، تدعو السكان إلى مغادرة البلدة فورًا ومن لا يطع الأوامر سيقتل، فكل ما شاهدته بعد ذلك كان مأساويًا على نحو استثنائي، الرجال يحملون أمهاتهم المسنات العاجزات على ظهورهم ويمشون على غير هدى، والأطفال يركضــون خلف أمهاتهم والبعض يتمســك بذيل ثوب أمه باكيًا مفزوعًا، والبعض الآخر يحمل بقايا حاجيات أو ما تيســر له على عجل ويصــرخون أين نذهب، أين الملجأ، فالجميع لا يعرف أين ومتى وكيف سيكون المستقر".

وتتابع: "تلك الصــور ما زالت تحتل ذاكرتي وكياني، وتلك الصــور تســكن في تفاصــيل حياتي وتأبى المغادرة، ورغم ذلك فهناك صــور جميلة ومحطات وذكريات لا تنســى، فهناك ســنوات جميلة وإن كانت

قصـيرة بعمر الزمن عشـناها في تلك البلدة الخضـراء ذات المروج الممتدة المشـبعة بروائح الحمضـيات وطيبة الأهل، مزدحمة بالحكايا والقصـص، لكنها أيضًـا تقوم بتوثيق الوقائع من ناحية أخرى في أذهاننا لكي لا ننسـى التي سـمعناها من الأمهات والجدات والمعلمات، ومعظمها يدور حول العدو الذي سـرق أراضـي أهل البلد عام 1948، والمذابح التي اقترفتها العصـابات الصـهيونية بحق السكان العزل في أكثر من قرية ومدينة فلسـطينية، وحول دور الإنجليز في تسـهيل الهجرة اليهودية إلى فلسـطين وتهيئة الظروف السـياسـية لإقامة دولة الاحتلال على الأراضـي المغتصـبة من شـعبنا الفلسـطيني، تلك الوقائع والحقائق شكلت لدي ولدى أبناء وبنات جيلي وجدانًا قلقًا متحفزًا واستقصائيًا".

التعليم من فلسطين لعجلون

وتسـتذكر عبلة ما جرى معها بعد الاحتلال وتقول: "حرمنا الاحتلال إمكانية الاسـتمرار في حياة طبيعية، وحالت الظروف المسـتجدة من اسـتكمال تعليمي الجامعي، وهكذا التحقت بمعهد معلمات عجلون لمدة سـنتين، وتعرفت خلالها على صـديقات رائعات معظمهن من شـمال الأردن، ولا زالت محفورة في الذاكرة وأتذكر رعايتهن لنا نحن القادمات من الضـفة الغربية وتضـامنهن الشـديد مع ظروفنا وأوضـاعنا، منهن رحاب العلاونة مدرسـة اللغة العربية في المعهد التي صـنعت فرقًا في حياتي وخزامى الرشـيد، ومن هناك بدأت مسـيرتي مع العمل السـياسـي بانضـمامي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسـطين ولعل ما أتذكره على لسان خزامى الرشيد قولها لي وسط حالة الإحباط والبكاء على الوطن والبيت المفقود قولها "أن الأوطان لا تعود بالبكاء والعويل بل بالنضـال من أجل اسـترداد الحقوق حتى وإن طال الزمن"، ومنذ ذاك الوقت كبرت أحلامي وغادرتني الآمال الصـغيرة وبدأت مرحلة أعيد بها صـياغة حياتي من جديد، وبعد تخرجي من معهد عجلون للمعلمات عملت في مهنة التدريس لمدة سنتين في عمان".

الخيار السياسي

وتقول عبلة ابو علبة: "لطالما كانت والدتي قلقة على مصـيري ومسـتقبلي الشـخصـي خصـوصًـا بعد أن فصـلت من عملي كمدرسـة في التعليم الخاص في نهاية التسـعينيات فكانت أول واقعة فصـل في التعليم الخاص لأسباب سياسية وهناك أحداث أخرى كثيرة في هذا السياق، ولكن المدهش أن والدتي التي كنت أعيش معها لم تزجرني في يوم من الأيام بسـبب مداهمة بيتنا أكثر من مرة وتعرضـها للمضـايقة الشـديدة جراء ذلك، كذلك كان موقف أخي الوحيد وشقيقاتي، حتى الجيران الذين أزعجتهم المداهمات أكثر من مرة أبدوا تعاطفًا شديدًا وثقة عالية بي، ووالدتي كانت تضمر احترامًا كبيرًا لجهودي النضـالية إلى جانب قلقها المستمر على مستقبلي".

وفيما يتعلق بأسـرتها وكيف كانت تتعاطى مع اتجاهاتها وميولها وعملها السـياسـي تقول عبلة "ما زلت أذكر وبكثير من الاعتزاز موقف شقيقي في زمن كان المجتمع فيه أكثر انغلاقًا إضافة إلى كونه مجتمع محافظ جدًا وفي أحيان كثيرة متزمت إلى حد ما، وأذكر في أحدى الأمسـيات الثقافية في نادي مخيم الوحدات عندما قام شـقيقي بإيصـالي إلى هناك في سـيارة أجرة وقال لي "خلي الشـباب يرجعوك عالبيت" نعم لقد تراجعت القيم المتخلفة وحلت محلها قيم متقدمة جديدة، غذتها الثقة العالية بقدسـية المقاومة واليقين بالنصـر القادم وإن تعثر أو تأخر، تلك الحادثة وأمثالها تعكس حالة الثقة الكبيرة بي وبقدسـية ما آمنت به حيال قضية شعبي".

من الحزبية إلى قبة البرلمان

وهنا تقول عبلة ابو علبة: "منذ عودة الحياة البرلمانية في عام 1989 شـاركت من موقعي في الحزب في كل الدورات الانتخابية البرلمانية عندما تقرر ترشيح رفيق أو أكثر في كل دورة انتخابية، ولكن فيما يتعلق بتجربتي كمرشحة للحزب فهي تجربة ثرية للغاية ومؤثرة، وبالطبع هناك الكثير مما أود الحديث عنه لكن باختصار شديد أود الإشارة إلى بعض المحطات في هذا السياق.

وتسـتذكر التحديات والصـعوبات التي واجهتها في الحملة الانتخابية وتقول: "كنت مرشـحة حزب يساري يحمل برنامجًا وطنيًا شـاملًا، والوضـع الطبيعي أن تكون حملات الانتخابات البرلمانية ميدانًا للصـراع السلمي بين البرامج والاتجاهات السياسية المختلفة وما تحمله من رؤية للتغيير، ولكن واقع الحال لم يعد كذلك منذ عام 1993 عندما أجريت أول انتخابات نيابية على أسـاس قانون الصـوت الواحد الذي كرس الجهوية والعشـائرية والانحيازات الفئوية بديلًا للدفاع عن مصـالح الشـعب والوطن، وكان لهذا القانون أبطاله من المرشـحين الأثرياء "فوق المألوف" وأصـحاب النفوذ العشـائري، وهكذا وعلى مدى 17 عامًا وأربع دورات انتخابية برلمانية فقد تغيرت علاقة معظم المرشحين بجمهور الناخبين في كثير من الدوائر، خصوصًا تلك التي يعيش فيها أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة، عندما اعتمدت الرشاوي الانتخابية واستخدم المال السياسي ولم تعد الخيارات الانتخابية قائمة على أساس البرنامج السياسي واتجاهاته".

وتضيف: "المال السياسي شكل تحديًا سياسيًا وثقافيًا أثناء الحملة، ولذلك أضفت الكثير للحوار الذي تم بيني وبين الجمهور واستخدمت كل طرق الإقناع الممكنة ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، من أجل تصويب خيارات الناخبين والدفاع عن القيم الأخلاقية البعيدة عن الانتهازية والاسـتخدام السـياسـي والاسـتهانة بصـوت الفقراء، ولعل من المواقف التي أذكرها خلال حملتي الانتخابية وفي معرض مقاومة المال السياسي وشراء الأصوات وتسعير صوت المواطن بعشرين أو ثلاثين أو خمسين دينارًا، والذي هو امتهان لكرامة المواطن وبذات الوقت إفساح المجال لوصول الفاسدين لمواقع صناعة القرار "السلطة التشريعية".

ولا تنسى خلال حملتها الانتخابية عندما كانت تصطدم بواقع مرير مثل تلك المرأة التي تحمل طفلًا بين يديها والتي قالت لها: "كل ما تقولينه صحيح ولكن كيف لي أن أرفض 20 دينارًا في حين طفلي يحتاج الدواء والحليب ولا يجده؟ وأخرى قالت لها: نثق بك تمامًا .. ولكن ماذا يمكنك أن تفعلي في برلمان غالبيته ضد الفقراء والغلابة؟".

وتؤشر أيضًا إلى تحديات أخرى في الحملة الانتخابية وتقول: "كنت امرأة مرشحة في مجتمع محافظ، تفاقمت فيه أشكال التمييز ضد النساء وتدهورت الكثير من القيم التاريخية المتقدمة، وفي الوقت نفسه أحمل برنامجًا سياسيًا لحزب يساري وتاريخًا كفاحيًا طويلًا يعرفه الكثيرون من أبناء وبنات دائرتي الانتخابية، وهذه عناصر غير مألوفة تمامًا في الحملة الجماهيرية، لذلك لا بد أن أعد جيدًا لخوض معركة سياسية ديمقراطية وثقافية أيضًا لاختراق ما هو سائد، وأذكر في هذا السياق أن النساء كن شديدات الحماس لترشيح امرأة سياسية وكثيرًا ما سمعت المرأة تدافع عن مصالحنا بصورة أفضل وأيضًا كان فضول الرجال في حضور ندواتي السياسية يلفت نظري الى أبعد الحدود، وغالبًا ما حدث أنه في بداية اللقاء كانت تعابير الوجوه أما متسائلة أو ساخرة أو متحدية، ولكن ما أن نبدأ الحوار حتى تتغير كل التعابير، وتضج الرؤوس بالأسئلة الجادة، وتشتد الحوارات والنقاشات ويبدأ الجميع بطرح الأسئلة الجادة على النائب المنتظر ومن ثم تعلو الوجوه تعابير الارتياح والتقدير والاحترام".

في ديوان قلقيلية وقت الحملة الانتخابية

وتقول عبلة: "أذكر أنني صادفت مجموعة كبيرة من أقاربي ممن يسكنون مناطق الدائرة الانتخابية الأولى في منطقة الهاشمي والنزهة، وهناك التقيت بالمسؤولين عن الديوان وحاورتهم مطولًا وأبدوا مساندتهم بتحفظ كوني مرشحة حزب سياسي ولكن هذه العقبة لم تدم حيث تم تجاوزها لان جلهم مسيسون ومثقفون ومتعلمون، فطلبت أن ألتقي بمجموعة رجالات قلقيلية في الديوان فأعتذروا لي قائلين إن لديهم قرار بعدم استقبال النساء في الديوان، وطبعًا لم أرغب بخوض معركة جانبية إلى جانب المعركة الرئيسية وهي التحضير للانتخابات والسير قدمًا، خصوصًا وأنهم استعدوا لتنظيم لقاءات في بيوتهم وشارك الكثيرون منهم في دعم حملتي الانتخابية بأشكال مختلفة.

وتضيف: "بعد فوزي بالانتخابات دعيت للتحدث إليهم في الديوان....نعم الديوان، فذهبت مع عدد من الرفاق بالحزب وأذكر اني قلت لهم لو يعفوني من الحديث لأني مجهدة من التعب، وكانت المفاجأة حين وصلنا أنه كان هناك أكثر من 250 رجلًا بانتظاري وفي المقدمة منصة خشبية وسماعات، وتقدم أحدهم مهنئًا لي باسم الجميع وطلب أن اتقدم بكلمة للحضور وهكذا فعلت وشكرتهم على جهودهم وانحيازهم الصعب إلى جانبي، وطلبت منهم أن اجتمع بنسائهم في اليوم التالي بالديوان فأستجابوا فورًا، وأنا لا زلت أذكر ذلك الاجتماع مع عدد كبير من النساء الرائعات، لكن أيضًا أذكر أن أحداهن قالت لي لم ندخل

الديوان في حياتنا إلا اليوم، ونتمنى عليك أن تطلبي من الهيئة الإدارية أن تســـمح لنا بالاجتماع مرة بالشهر بالديوان لأنه المكان الأنسب لنا".

كلمة أخيرة للنساء

التوازن في حياتنا الســياســية الصــعبة والقاســية له قيمة إنســانية رائعة، فالتوازن المســتند إلى المعرفة والتصميم على تحقيق الهدف كان سلاحًا سلميًا رائعًا في ظروف القهر والضغط متعدد المصادر.

وأختتم أنه خلال تجربتي النيابية التي أعتز بها كثيرًا بأنني أحتفظت بتماسكي ومبادئي وقدرتي على تمثيل سياسة الحزب في البرلمان دون مشقة، وهو الأمر الذي لقي صدى رائعًا في الأوساط السياسية والرسمية والشعبية واحترامًا عاليًا حتى من الخصوم.

"أكون أو لا أكون / تحدي الذات"

القاضي/ فداء الحمود

فداء الحمود بعد مسيرة حافلة في المناصب القانونية والقضائية والسياسية اختارت ان تنقل كل تلك الخبرات المتراكمة وتوظفها في مجال مجال الدرسات والابحاث، وربما من أهم إنجازاتها المهنية على الإطلاق أنها كانت أول اردنية تشغل منصب رئيسة ديوان التشريع والرأي التابع لرئاسة الوزراء عام 2019.

الحمود من مواليد 1971 تحمل درجة الماجستير في القانون المدني ودبلوم المعهد القضائي وهي أم لثلاثة أبناء، نشأت في أسرة أردنية من الطبقة الوسطى حيث توفي والدها وهي في سن مبكرة، ولكونها الإبنة الكبرى تحملت مع والدتها أعباءً تفوق مرحلتها العمرية وأصبحت الساعد الأيمن لوالدتها التي تولت رعاية شؤون الأسرة والإنفاق عليهم من عملها في مجال التعليم.

رحلة التحدي "أكون أو لا أكون"

تخرجت الحمود بدرجة امتياز في تخصص القانون واحتلت المرتبة الأولى على الجامعات الحكومية الثلاثة "الأردنية واليرموك ومؤتة"، ولم يُشكل صغر سنها عائقًا أمام تقدمها وتسلمها لعدد من المواقع، إذ نافست بجدارة واختيرت لتلك المواقع لكفاءتها الأكاديمية ومهاراتها المتفردة، فلم يكن تقدمها حصيلة صدف متتالية أو ضربًا من ضروب الحظ بل حصيلة جهد ومثابرة وعمل دؤوب.

في مسيرتها الشخصية والعملية يظهر بوضوح قدرتها على تحديد أهدافها بدقة محددة بناء على تخطيط دقيق لبلوغ أهدافها وتحويل أحلامها لواقع ملموس، تمتلك بوصلة لا تُخطئ الهدف الصحيح وشديدة الحساسية والوضوح حيال ما تريد وتصبو اليه، هذه هي فداء الحمود تلك المرأة التي تمتلك إرادة حديدية لا تنكسر ولا تحيد عن الهدف المقصود.

الحمود امرأة تجيد الإصغاء لا الاستماع فقط، لذا هي حاضرة الذهن بشكل ملفت ودائم، قد تصمت طويلًا ولكنها تتحدث طويلًا ايضا في قضاياها المختارة بدقة تحت القبة في تحربتها 2016 كعضو سابق في مجلس الأعيان، وتقول: "لا يضيرني الصمت الطويل فأنا بالصمت أيضًا أتعلم وأزداد خبرة".

وتروي الحمود جانبًا من مسيرتها العلمية والعملية: "فقدت والدي في سن مبكرة جدًا، وكان ذلك مؤلما للغاية أن تفقد السند والظهر الحامي لك، وبذات الوقت تقمصت دور الوالدة في رعاية أشقائي بشكل شبه كامل في مرحلة مبكرة جدًا ، نظرًا لإنشغال الوالدة في عملها في سلك التعليم كمديرة مدرسة، حتى أصبحت علاقتي بأشقائي وشقيقاتي أقرب لعلاقة الأم بأبنائها وليست علاقة أشقاء، وبقيت أقوم بهذا الدور الأمومي حتى سنتي الجامعية الأولى، كان ذلك متعبًا للغاية لكنه علمني الاعتماد على الذات، فأسهم ذلك في قوة شخصيتي وأكسبني معارف حياتية ومهارات متنوعة وبتُ أكثر ثقة بنفسي وقدراتي".

وتضيف: "كان يوكل الي التعامل مع كل تفاصيل الحياة الأسرية ومتطلباتها بالكامل بما فيه التعامل مع عمال الحدادة، النجارة، وإصلاح المواسير، وإعداد الطعام والتدريس".

ومع مرور الأيام أصبحت الحمود تعيش تحت هاجس التفوق وكسر الحواجز، وكونت قناعة راسخة : إن نجحت وتفوقت فذلك سيكون جيد لها ولعائلتها وإن ضعفت وأخفقت فقد أضعفتهم بضعفها، وأن النجاح والتفوق هو قرار يتخذ بحالة وعي وإدراك لما نريد ونود الوصول إليه، وهذا يحتاج إرادة وعزيمة لا تضعف ولا تتقهقر تحت الضغط أو في مواجهة التحديات والصعوبات التي لا تخلو منها الحياة.

وتواصل فداء سرد مراحل حياتها فتقول: "بقيت حتى مرحلة ما يسمى المترك في ذاك الوقت متوسطة التحصيل العلمي، حيث لم يتجاوز معدلي 61%، وفجأة استوقفني هذا الحال وتساءلت إلى أين أمضي في مسيرتي إن بقيت متواضعة التحصيل؟ هل سأحقق شيئًا ما في حياتي؟ أم ستمر السنوات والأيام رتيبة مملة لأصل إلى لاشئ يستحق الذكر؟؟".

وأصبحت كل تلك التساؤلات مفاتيح للسعي للمعرفة بلا حدود بالنسبة لفداء الحمود، وتحسّن مستواها التعليمي بشكل مضطرد حيث ارتفع المعدل في ذات السنة للتسعينيات نتيجة جهد وتصميم وعزيمة على الوصول لأعلى الدرجات العلمية بحيث كانت تدرس بشكل متواصل الى ما يقرب من 20 ساعة يوميًا، ولم يكن يغمض لها جفن لتصحو لمواصلة الدراسة الحثيثة، وكانت النتيجة أكثر من رائعة في ذلك العام الدراسي فقد حصلت على معدل 91% بدرجة ممتاز في نهاية السنة وأيقنت حينها أنها تمتلك القدرة على تغيير مسار حياتها بل توسعت الأحلام حتى غدت أشبة بقوس قزح في جمالياته، وتملكتها السعادة بقدرتها على إحداث تغيير في حصيلتها المعرفية.

ولا تخفي فداء سرًا عند الحديث عن واقعها لتحسين تحصيلها العلمي وتقول: "من أبرز دوافعي لتحسين تحصيلي العلمي السعي للحصول على منحة دراسية لأتمكن من مساعدة الوالدة وأخفف الحمل الواقع على كتفيها، وكان مجرد التفكير في مصاريف الدراسة يؤرقني وبالمقابل يشحذ همتي لمواصلة السعي نحو

النجاح والتفوق، وبتُ انتقل من مرحلة لأخرى، وكان لكل مرحلة من حياتي خطة وهدف أسعى لتحقيقة وما أن تنتهي المرحلة ويتحقق الهدف أنتقل للهدف التالي".

وتضيف:" دخلت الجامعة وكلي أصرار على التفوق الدراسي وكان شعاري "أكون أو لا أكون" وبالفعل حصلت على بعثة دراسية بعد انهائي السنة الأولى نتيجة تفوقي في السنة الجامعية الأولى مع مرتبة الشرف من الجامعة الأردنية التي أعتز وأفتخر أنني أحدى طالباتها، وكلما اتيح لي فرصة زيارة الجامعة الأردنية تستوقفني لوحة الشرف المدون عليها اسمي بين طلبة آخرين، انها قصة تحدي مع الذات".

الطريق إلى القانون والقضاء

وتتابع فداء: "انهيت مرحلة تعليمي الجامعي من كلية القانون بتفوق ودرجة الامتياز، بل كنت الأولى بالتخصص على مستوى الجامعات الحكومية "الأردنية واليرموك ومؤتة "، وكان في ذلك الوقت لا يوجد غير الجامعات الرسمية ولم تكن هناك جامعات خاصة كما هو الحال الآن، ونتيجة لتفوقي الدراسي حصلت على بعثة دراسية إلى فرنسا لمتابعة الدراسات العليا، وفرحت جدا بالمنحة فهي بمثابة مكافأة لي، لكنني أعتذرت بسبب ظروفي العائلية وإحساسي بالمسؤولية حيال أسرتي وضرورة مساندة الوالدة ولذلك لم أقبل الابتعاث لفرنسا، رغم أن حلمي كان العمل في المجال الأكاديمي كمدرسة قانون، بل أستطيع الجزم أن حلمي في تلك المرحلة كان بين العمل كمدرسة جامعية أو العمل في سلك المحاماة، ومع ذلك تابعت دراستي في الجامعة وحصلت على درجة الماجستير بدرجة امتياز أيضًا، ولم أكن أقبل بما دون النجوم أبدًا".

والتحقت فداء بمكتب للمحاماة للمحامي عبد الفتاح لافي وأكملت التدريب بجدارة حيث اجتازت امتحان نقابة المحامين أيضا بتفوق، وحصلت على درجة 48 من 50 بالإضافة إلى تصوير البحث ونشره للاستفادة منه.

ولالتحاقها بدبلوم المعهد القضائي قصة حيث تقول: "بعد إعلان بالصحف عن الحاجة لأوائل الخريجين/ات في كليات القانون للتعيين للابتعاث لاحقًا للمعهد القضائي للدراسة والحصول على "دبلوم المعهد القضائي"، فقمت على الفور بالتقدم وملئ الطلب الخاص بذلك، ومن المفارقات العجيبة في ذلك الوقت وبعد إجراء المقابلة أخبروني أن الاعلان يتعلق بالخريجين الذكور من كليات القانون وليس الإناث، وطبعًا لم استسلم وقمت بالاحتجاج".

رفض طلبها للالتحاق بالمعهد القضائي لأنها امرأة، وعندما راجعت المعهد قائلة: في الإعلان المذكور لم تحددوا أن المطلوب ذكور وليس إناث، فكان الجواب: خطأ مطبعي، وطبعا دار جدال كبير لإقناعها بالعدول والانسحاب لكن الحمود ثبتت على موقفها قائلة: "أنا متمسكة بالخطأ المطبعي" فالتقديم كان ليوم

واحد فقط ، بما يعني لا مجال للانسحاب والعودة مرة أخرى، لذا صممت على موقفي وحقي بالتقدم للابتعاث".

ونظرًا لكونها الأعلى بين المتقدمين تم تعيينها كاتبة محكمة وخلال تلك الفترة طلبت من رئيسة الديوان أن تكتب لدى أحد القضاة إلا أن رئيسة الديوان جاء جوابها بالرفض: "ما في ستات يكتبوا عند قضاة" وكانت غايتها في ذلك الوقت أن تتدرب عند قاضي لكنها للأسف رفضت بشكل قطعي لأنه لم تكن هناك سوابق لإناث يكتبن لدى القضاة، ومع ذلك بقيت تجتهد وتحاول إلى أن سنحت الفرصة لها للكتابة لدى القاضي فايز الحمارنة بسبب غياب الكاتب الذي يكتب لديه، وبالفعل التحقت بمكتبه وأصبحت تكتب لديه. وتقول فداء الحمود: "هذا الرجل كان له فضل كبير علي حيث دعمني بقوة وآمن بقدراتي وأحقيتي، وبالفعل كنت أول كاتبة امرأة لدى القضاة".

وبعد ذلك أعلن المعهد القضائي عن حاجته لدفعة للابتعاث لديه للحصول على دبلوم المعهد القضائي وكان قد مضى على تعيينها 7 أشهر في حين المطلوب مدة خدمة لاتقل عن سنتين، إلا أنها سارعت بتقديم طلبها للابتعاث وشاءت الصدف أن حصولها على درجة الماجستير أعفاها من شرط مدة سنتي العمل، وكان رئيس المجلس القضائي حينها هشام التل الذي وافق على الاستثناء بسبب الماجستير وهكذا التحقت بالمعهد القضائي لمدة سنتين، وتخرجت وكنت الأولى على دفعة المعهد.

وتقول فداء الحمود: "كان دافعي للجد والاجتهاد أن يتم تعييني لاحقًا كقاضٍ حكم وليس محاميًا عامًا مدنيًا، وبالفعل تم تعييني كقاضٍ حكم من قبل رئيس المجلس القضائي الذي قال لي: أنت تستحقين ذلك، وهذا يعني أنني أول امرأة تم تعيينها كقاضٍ حكم في المملكة" .

وبعد ذلك تنقلت بين عدة محاكم منها محكمة الصلح، محكمة الأحداث، وبعد ذلك عادت كقاضي بداية وبعدها نقلت لمحكمة الاستئناف ثم عادت كرئيسة لمحكمة بداية غرب عمان رغم أن خبرتها بالقضاء كانت لم تتجاوز 11 عامًا وهي خبرة قليلة نسبيًا.

وبالجد والعمل والإصرار والعزيمة وحسن المعاملة خلال سنوات خدمتها تمكنت من إثبات نفسها وتؤكد الحمود ذلك وتقول :"تلك الإنجازات كانت بتميز تقديراتي وعلاقاتتي الجيدة مع الجميع رؤساء ومرؤوسين ومما أتذكره أنني بعد أن تم تعييني كرئيسة لمحكمة غرب عمان حالة الرفض الكبير من الزملاء القضاة بل والقاضيات الذين أزعجهم جدًا أن ترأسهم امرأة قاضية، وكان يعمل في المحكمة 35 قاضيًا و200 موظف ولم تكن إدارة هذا المرفق بالأمر السهل، ألا أنه بالعمل بجد وعدالة أثبتت جدارتي وكسرت كل الحواجز وبالنهاية تقبلني الجميع بمحبة واحترام وبقيت رئيسة لتلك المحكمة لمدة 5 سنوات". وتضيف فداء: "كانت هناك دومًا تحديات وصعوبات وهذه سنة الحياة لكنني كنت دومًا أتجاوزها بالبحث عن المزيد

من المعرفة وخاصة عندما عينت كقاضي أحداث حيث اجتهدت على ان أفهم عدالة الأحداث، هذه الفئة الأكثر حساسية في المجتمع، كنت أشعر دومًا أنهم أبنائي وأن علي مساعدتهم للوصول للعدالة حتى غدوت مدرّبة في عدالة الاحداث وحاليًا أدرّس مادة عدالة الأحداث لطلبة المعهد القضائي وفي برنامج التدريب المستمر للقضاة، لذلك أصبحت قضية الأحداث قضيتي".

العضوية في الأعيان

وبعد كل تلك الجهود بالعمل في سلك القضاء صدرت الإرادة الملكية بتعيينها عضوًا في مجلس الأعيان السابع والعشرين 2016، وتقول: "في البداية أجبت المهنئين بأنه ربما تشابه أسماء، إذ لم يكن لي علم أبدًا بهذا التعيين الذي بدا لي سابقًا نوع من الأحلام، وطبعًا كان هذا التعيين يعني أنني انتقلت من مسار تنفيذ القانون إلى مسار صناعة القانون، وهذا مختلف تمامًا لأن صناعة القانون تأخذ بعين الاعتبار جملة من المسائل؛ الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة الأردنية، والنص هنا يكون انعكاسًا لكل هذا، النص القانوني له تكلفة مالية وهل تتحمل الدولة تلك الاعباء أم لا، وهل تنسجم تلك القوانين مع الالتزامات الأردن الدولية أم لا ؟؟ وإن عملي في مجلس الأعيان يُمثل خبرة مختلفة وقيمة تعلمية عالية جدًا ولا يمكن أن تتوفر لي في أي مكان آخر".

تحديات لا تنسى

وعن أبرز التحديات والصعوبات التي واجهتها تستعرض الحمود ابرزها:"لعل ابرزها صعوبة الجمع بين العمل والدراسة والمسؤوليات الأسرية ، وفاة الوالد شكلت أزمة كبيرة في حياتي تجاوزتها بكثير من الصبر والألم وما زلت افتقده حتى الساعة ، كنت أحلم ان يعيش معي نجاحاتي ، ايضا من التحديات التي واجهتني بشكل متكرر جنسي كأمرأة حيث كان لزاما علي بذل جهود خارقة لإثبات جدارتي وأحقيتي في كثير من المجالات فالمرأة عليها بذل عشرة أضعاف ما يبذله الرجل في نفس المجال والسياق حتى تحصل على حقها فقط ، نحن نطلب حقوقنا وليست اي معاملة "اكسترا" تفضيلي، و ايضا التعمد باظهار أخطاء الانثى بشكل لافت في حين يغض الطرف عن خطايا بعض الرجال وليس الاخطاء".

كلمة أخيرة للنساء

تاء التأنيث ليست نقطة ضعف بل امتياز لك لذا احرصي عليها بإظهار جديتك وعملك وكفاءتك ولا تحاولي التنصل من أنوثتك، ولكن احذري من استخدام أنوثتك للوصول لمآربك أو للتقدم، تلك نقيصة لا تقتربي منها وكوني فخورة دوما بذاتك وإنجازاتك مهما صغرت واعملي على تعظيمها ولا تتركي لأي كان فرصة لكسرك فأنت تستحقين الأفضل دومًا، وللنساء في المواقع العليا ومواقع صناعة القرار ؛ احرصن دومًا على أن يكون خطابكن للعامة وليس للنخب سهلًا بسيطًا مباشرًا وصادقًا لأن كلام القلب يصل للقلب وكلام لا يخرج من القلب لن يتجاوز الآذان وسيسقط حتمًا.

ثقافة ليست صديقة ولكن ،،،،،
السيدة/ فريال الجهران

فريال الجهران رئيسة جمعية نشميات بلدنا من مواليد عام 1974 أم لثلاثة من الأبناء تزوجت وهي لم تتجاوز سن 18 عامًا، ولدت وترعرت في الشونة الجنوبية منذ نعومة أظفارها، التحقت بالمدارس الحكومية في منطقتها كما الكثيرات من قريناتها، قضت جل طفولتها وشبابها في محيط ريفي بسيط محافظ تغلب عليه الأجواء الحارة معظم أيام السنة.

وتقول فريال الجهران: "نحن انعكاس للطبيعة والمناخ الحار رغم الخضرة الدائمة على مدار العام وخاصة في فصل الربيع، حيث يعبق المكان برائحة زهر الليمون والبرتقال والريحان والذي يجعل لأمسيات وليالي الغور مذاقًا وطعمًا خاصًا يسكن قاطنيه ويُشكل سحرًا للزائرين".

إثبات الذات وترميم طريق المستقبل

لعبت البيئة المجتمعية المغلقة دورها في تحديد انطلاقة حياة فريان الجهران أســـوة ببنات جيلها نتيجة المحددات التقليدية للأنثى في المجتمعات المغلقة والتي تعيش في ظروف متواضـعة ولديها صـورة نمطية لا تتغير عن سير حياة أي أنثى تولد على تلك الأرض، واليوم تتحضر لخوض انتخابات 2024.

في هذه الرحلة تتذكر أن عائلتها أخرجتها من المدرسة بعدما أنهت الصف العاشر نظرًا لبعد المواصلات التي شكلت عائقًا لها من استكمال مسيرتها التعليمية رغم تفوقها الدراسي، بالإضافة إلى البعد المتعلق بطبيعة الثقافة السائدة والعادات والتقاليد التي يسكنها الخوف والقلق من تحرشات ومعاكسات الشباب للفتيات، لذا ارتأت أسرتها كغيرها من أسر المنطقة تسبب هذا القلق والخوف بإبقائها حبيسة المنزل إلى أن يحين النصيب وتتزوج وتغادر من منزل العائلة إلى منزل الزوجية أو كما يقال "من بيت لبيت تسليم اليد".

وتتابع سرد حكايتها قائلة: "تزوجت وانتقلت لمنزل زوجي وعشت حياة طبيعية ككل الأخريات في منطقتي، حيث اكتفت عائلتي بحصتي المتواضعة من التعليم، ولكن لم أكتف لأن لدي الكثير من الأحلام والآمال

التي تبعثرت في طرقات الذهاب والإياب للمدرسة، حيث شكل هاجس الخوف من التعليقات أو المشاكسات سدًا منيعًا في وجه تطلعاتي المستقبلية".

وتضيف: "حاولت تعويض ما فاتني من تعليم أكاديمي عن طريق الالتحاق بالدورات التدريبية في مختلف المجالات في محاولة تعويضية، وأيضًا لإشباع رغبتي بالتعلم حتى لو خارج مقاعد الدرس التقليدية، وهذا ما حدث بالفعل إذ التحقت بعدد من الدورات المهنية وبناء القدرات في مجالات؛ مهارات الحياة الأساسية، التفاوض، الاتصال والتواصل، محو الأمية القانونية، بالإضافة لعدد من الدورات مجال الحرف اليدوية؛ كالزراعة البيتية، التريكو، صناعة الإكسسوارات، المعجنات والحلويات، صناعة العطور، وشاركت بالعديد من البازارات الخيرية لعرض المنتجات اليدوية التي أتقنت صناعتها، وكانت تلاقي الكثير من الرواج مما عزز ثقتي بنفسي وبإمكانياتي، ووسع من إطار علاقاتي الاجتماعية فبت معروفة للجميع بنشاطي وهمتي العالية".

كسرت احتكار الرجال لتصبح من رائدات التغيير

أما عن كيفية اقتحامها لإحدى المهن التي طالما كانت حكرًا على عالم الرجال في محيط محافظ جدًا، وعلى الأغلب يؤمن بالأدوار النمطية للمرأة والمتمثلة برعاية الأطفال والزوج والاهتمام بشؤون الأسرة فقط تجيب فريال: "نظرًا لعدم امتلاكي لمؤهل علمي يؤهلني للعمل خارج المهام البيتية المعتادة للنساء في محيطي، فقد توجهت للبحث عن فرص تتوفر في محيطي تتيح للنساء مجالًا لامتلاك مهنة أو حرفة ما تكون مصدرًا للدخل لي ولمن أعيل، وأيضًا تحقق لي نوعًا من التمكين الاقتصادي الذي يعزز استقلاليتي ويكسر حالة التبعية الاقتصادية، وكذلك تقيني من العوز والفقر والحاجة للآخرين، لذلك التحقت بمشروع "رائدات التغيير".

وتقول: "رائدات التغيير مشروع متخصص في مجال التدريب لأجل معالجة مشاكل المياه من خلال مركز الأميرة بسمة، وكان أحد محاور العمل والتدريب ومنها التدريب على مهن قد تبدو ذكورية بالمطلق وأيضًا غير تقليدية وهي تعليم السباكة للنساء/ التمديدات الصحية، ومن الطريف في هذا السياق أن أذكر أن من القضايا والظواهر في منطقتنا وهي شائعة المواسير المكسرة والتالفة وتسرب المياه وتدفق المياه هدرًا، علمًا بأننا نسمع ليل نهار أن الأردن من أكثر بلدان العالم فقرًا بالمياه ورغم ذلك هدر المياه على جوانب المزارع وفي الطرقات هو من المشاهد المعتادة."

وتضيف فريال: "حفزني للالتحاق بهذه الدورة "تعلم مهارات السباكة" أنني من منطقة محافظة وعلى الأغلب لا يرغب الرجال بدخول الرجال الغرباء إلى منازلهم، خصوصًا خلال غيابهم بالعمل، لإجراء أعمال الصيانة أو الإصلاحات المنزلية في حال كان هناك عطب ما، وأن السيدات أيضًا قد يرغبن بالاستعانة بامرأة/

حرفية تجيد هذا النوع من الأعمال إن توفرت الفتيات المحترفات، وأيضًا لغاية ودافع في نفسي يتعلق بكسر المألوف والنمطي حول عمل المرأة، لذلك امتلكت الحماسة والشجاعة والتحقت بهذه الدورة وكلي ثقة بنفسي وإمكانياتي وقدرتي على التعلم، وفعلًا التزمت بشكل كامل بهذه الدورة".

ونظرًا لعدم قبول المجتمعات المغلقة للتغيير بسهولة واجهت فريال الكثير من التحديات والصعوبات من العائلة والمحيط، كما واجهت الاستهجان والاستغراب وفي كثير من الأحيان السخرية حتى من أقرب الناس لها، وكان لسان حالهم يقول لها بطريقة الاستخفاف بها "ألم تجدي مهنة تليق بك كأنثى غير مهنة السباكة، هل تمتلكين عضلات كالرجال لحمل المواسير والعدد اللازمة لذلك، هل سيثق بك الناس لأداء هذه الاعمال، هل تعتقدين أنك قادرة على منافسة الرجال في حرفة هي خُلقت لهم، وهل تأمنين على نفسك في البيوت المغلقة" والكثير الكثير من الأسئلة الاستنكارية الاستخفافية، ومع كل هذا الاستخفاف المجتمعي من محيطها فلم يزدها إلا تصميمًا وعزيمة على متابعة ما بدأته بعد جولات وصولات من النقاش والحوار إلى أن نجحت في إقناع أسرتها الصغيرة بما تريده، فتخرجت وبتفوق وكانت من السيدات الأبرز والمميزات في أداء المهام التدريبية التي تم تدريبهم عليها خلال فترة التدريب المهني إلى أن حصلت لاحقًا على لقب "فني ماهر" وهو ما يؤهلها للعمل حتى في الورش الكبيرة وأيضًا للعمل كمدربة على هذه المهنة.

وانتزعت فريال الاعتراف والاحترام من كل منتقديها بأنها فعلا تستطيع منافسة الرجال في هذا المجال بحرفيتها العالية والتزامها وأخلاقياتها المهنية، لأن لكل مهنة أخلاقياتها التي يجب أن يلتزم بها "أبناء الكار/ المهنة"، بالإضافة إلى أنها وفرت المال على أسرتها بعد تعلمها مهنة السباكة وجلبت لها لتعيش الأسرة دون الحاجة لأحد.

وقامت مجموعة ممن التحقن بتلك الدورة على تأسيس جمعية تحمل اسم "السباكات الرائدات النسائية" وذلك لتدعم المجموعة نفسها من خلال العمل الجماعي، حتى أصبحت مكانًا معروفًا لجميع أبناء وبنات المنطقة للاستعانة بهن لأية تمديدات وإصلاحات.

مواقف لا تنسى بعد احترافها "السباكة"

نظرا لحداثة هذا التوجه الحرفي النســوي وغرابته بذات الوقت وعدم التفهم والتقبل من البعض، فقد وقعت الكثير من الحوادث الغريبة ولكن استطعن تجاوزها كمجموعة رائدة ومتحدية تثق بذاتها وقدراتها أيضًا.

وفي إطار تقديمهن خدمة اجتماعية للمجتمع تطوعن لصيانة إحدى دور المسنين مجانًا وصيانة بعض التمديدات الصحية في بعض دور العبادة "المساجد"، وأيضًا بهدف الترويج لأنفسهن وتعريف الناس بقدراتهن.

وتقول فريال: "في إحدى المرات ذهبنا لصيانة التمديدات الصحية في أحد المساجد القريبة إثر سماعنا عن تسرب مياه يزعج المصلين وخاصة كبار السن عند دخولهم للمتوضأ، وعندما شاهدنا خادم المسجد استغرب وجودنا في المسجد بل استنكر وجودنا من الأساس، والمفاجأة كانت له عندما علم أننا بصدد إجراء صيانة للمتوضأ، ومباشرة طلب منا المغادرة مستهجنًا حضورنا ونوعية العمل الذي نريد إنجازه، طبعا أصررنا على موقفنا وأخبرناه أننا لن نغادر دون إصلاح المتوضأ وأننا قادرات على ذلك وأيضًا لا نريد مالًا لقاء هذا العمل ، فما كان منه تحت الإلحاح إلى أن سمح لنا بالدخول، وفعلا قمنا بالعمل على أكمل وجه بل ونظفنا المكان ولم نترك خلفنا أي أثر للعمل ولا أتربة ولا تكسير ولا مواسير على الأرض بمعنى تركنا المكان نظيفا كما استلمناه وهو ما أدهش الشيخ فودعنا وشكرنا بسيل من الأدعية، واللافت للنظر أننا نعرف هذا الشيخ ونعلم أن له شقيقات جالسات بالبيت بلا عمل وكن يرغبن بالالتحاق بدورتنا التدريبية على أعمال السباكة ولكنه رفض ذلك قطعيًا، ولكن بعد تلك الحادثة علمنا أن شقيقاته الاثنتين التحقن بدورة لاحقة للتدريب على أعمال السباكة".

وفي حادثة أخرى مزعجة تقول فريال: "توجهنا ذات صباح لصيانة تمديدات صحية في البلدية ويبدو أنهم كانوا بانتظار سباك ذكر وليس سباكات وعند دخولنا والتعريف بأنفسنا وأننا نرغب بالتقدم لإنجاز هذا العمل وبأقل التكاليف، بادرونا بالقول "شو جايات تعملن هذا عمل للرجال أنتن لا تصلحن ولا تعرفن القيام بذلك، الله معاكم روحوا عبيوتكن أفضل، وأيضا وتحت الإصرار على موقفنا وأن هذا تمييز لا نقبله وأن الشاهد بالموضوع هو إتاحة الفرصة لنا وبأقل الأسعار والحكم علينا من خلال نوعية العمل، وفعلا حصلنا على فرصتنا وبعد ذلك أصبحنا معتمدات لأية إصلاحات تحتاجها البلدية في اطار التمديدات الصحية".

كلمة أخيرة للنساء

نصيحة لكل امرأة ثقي بنفسك واعملي على بناء قدراتك المعرفية في كل المجالات وركزي على ما تحبين لأن من أحب عملا أتقنه، وبالتالي سيقتنع بك الجميع ويحترمك حتى خصومك، وثقي بأنك قادرة على صناعة فرق بحياتك وبحياة أسرتك ومجتمعك وأنك قادرة على امتهان أي مهنة تريدين إذا امتلكت الإصرار والرغبة الصادقة، ولا تدعي أحدًا يحبطك لأنك جديرة بإحداث التغيير.

"رحلتي مابين التهجير القسري والتطوع "
السيدة/ ميسر السعدي

ميسر السعدي من مواليد حيفا/ فلسطين 22/ 2/ 1944، نشأت في كنف أسرة متفهمة قد تبدو مختلفة عن كثير من العائلات في ذلك الوقت، من حيث تفهمها وتحديدًا والدها الذي حرص منذ البدايات على أن تلم هذه الطفلة بكل المعارف المتاحة، من خلال الحرص الشديد على التعليم والعمل لاحقًا.

رعاية أبوية وتحديات مبكرة

كانت بداية تعليمها في مدرسة اليامون حيث كان يعمل والدها ضمن ملاك التربية والتعليم وهذا ما أزال الكثير من العقبات ومهد الطريق لها لتشق طريقًا مختلفًا عن الكثير من قريناتها في تلك المرحلة الصعبة والمخيفة والتي تزامنت مع مرحلة الاحتلال الإسرائيلي ورحلة التهجير الفلسطيني.

وتقول ميسر السعدي: "كنت الفتاة الوحيدة بين طلاب القرية وعددهم 780 طالبًا، وبقيت في مدرسة الذكور لغاية المرحلة الإعدادية لعدم توفر مدارس إناث في ذاك الوقت في منطقتي، وبعد ذلك وبسبب ظهور ملامح الأنوثة وأيضًا لقطع ألسنة المجتمع وتعليقاتهم على بقائي في مدرسة الذكور انتقلت لمدرسة جنين الثانوية". وتضيف ميسر ضاحكة: "رغم استهجان البعض في القرية، ما زلت أتذكر أن الطلاب كانوا يقفون جانبًا حتى أمر لداخل المدرسة أو خارجها، وكنت أسمعهم يهمسون "ابعد ابعد أجت البنت خليها "تمرق" بمعنى تمر، فقد كنت البنت الوحيدة بالمدرسة وذلك يعود لفضل وسعة عقل وقلب والدي رحمه الله".

التحصيل العلمي

تابعت ميسر تعليمها في مجال التمريض حيث حصلت على دبلوم تمريض في صحة المرأة والطفل من مستشفى "الأوغيستا فيكتوريا/ القدس"، بالإضافة للعديد من الدورات والمشاركات في مجال التنمية وحقوق المرأة والطفل ومنها على سبيل المثال؛ العديد من الدورات المتخصصة بصحة المرأة والطفل في مراكز الأمومة والطفولة/ الأنروا، وأيضًا في مجال الصحة الإنجابية، والإقراض بضمان المجموعة من برنامج الخليج العربي".

وشـــاركت ميســـر الســـعدي في العديد من المؤتمرات المحلية والعربية والدولية ومنها مؤتمر بكين لعام 1995، ومؤتمر التنمية/ دبي، ومؤتمر خاص بحقوق اللاجئين/ جينيف، ومؤتمر قمة المرأة العربية/ الجزائر والكثير من المشاركات الفاعلة والتي انعكست على أدائها ومحيط عملها بشكل إيجابي.

حياة عملية وتطوعية

أما على الصـــعيد العملي فأبرز ما يقال في هذا الجانب أنها عملت جل وقتها في قطاع الأمومة والطفولة/ وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين منذ عام 1966 – 1995 حيث استحوذ هذا القطاع على اهتمام خاص منها والذي دفعها لاحقًا للعمل بشـــكل تطوعي مع العديد من الهيئات والمنظمات المدنية ومنها؛ جمعية الأسر التنموية التي ما زالت تعمل في إطارها كمؤسسة ومتطوعة بذات الوقت.

وجمعية الأسر تدير عددًا من المشاريع والبرامج الريادية لخدمة المجتمع المحلي وعلى رأسهم قطاع المرأة والشـباب، ولعل الشـاهد في هذا المجال "مشـروع ازدهار" الذي تأسـس منذ العام 2003 برعاية ملكية سامية من جلالة الملكة رانيا، وهو مشروع ريادي عمل وما زال على تدريب العشرات من الفتيات والنساء الأردنيات على مســـارات متعددة منها؛ حقوق المرأة، والقوانين والتشـــريعات الدولية والأردنية، والمهارات الحياتية".

تحديات اجتماعية وثقافية تواجه النساء

تقول ميسـر في هذا النطاق: "خلال دراسـتي في معهد المعلمات/ الطيرة/ رام الله أتذكر خلال دراسـتنا لمادة الزراعة كان الأساتذة لا يرون أن النساء يصلحن لهذا المجال، فكانوا يطلبون من الطالبات مغادرة قاعة الدرس "يلا يلا روحوا" وكثيرًا ما دخلت بجدل مع مدرس الزراعة "ليش بتروحونا نحنا بنقدر نعمل زي الطلاب وأكثر"، ولكنهم لا يصـــغون ولا يرون أننا قادرات على تعلم كل شـــئ إذا ما أتيحت الســـبل والموارد اللازمة".

وتضـــيف: "وفيما يتعلق برغبتي بدراســـة التمريض لتكون مهنة لي فقد واجهت أيضًـــا تحديات ثقافية واجتماعية نظرًا للاختلاط التعليمي وأيضـــا لطبيعة عمل وأوقات التمريض فيما إذا عملت في أحد المشافي، طبعًا واجهت تلك التحديات بقوة وإصرار لأنني كنت على يقين أن اختيار المهنة التي تناسبني حق لي، ومن أبرز الذين عارضوا هذا التوجة كان عمي والد زوجي وشقيق والدي بذات الوقت فكان له موقف رافض لإكمال تعليمي أو العمل، وكان لا يرى أن النساء يصلحن إلا للعناية بالزوج والأطفال".

صور محفورة في الذاكرة

وتروي ميسر صورًا من ذاكرتها كان لها دور كبير في حياتها وتقول: "عملت لمدة 28 عامًا تقريبًا في جميع المخيمات الفلسطينية في الداخل الفلسطيني وفي الأردن، وكنت ملتزمة حد الالتصاق بهذا النوع من العمل الذي أصبح جزءً أساسيًا من كياني، تلك المخيمات الفقيرة بالموارد العصية في أغلب الأوقات على تلبية احتياجات سكانها في مختلف المجالات. ومن أبرز تلك الصور التي بقيت بالذاكرة كان عام 1967 وكنت على رأس عملي في مخيم جنين، ولأن جنين كانت منطقة خطوط أمامية مع العدو الصهيوني دخل اليهود منها، وأتذكر أنهم كانوا يلبسون الحطات الحمر "الكوفيات" فظننا أنهم الجيش العربي في حينه وفرحنا فرحنا كثيرًا وظننا أننا انتصرنا وبقيت بالعيادة للمساء حتى استطيع المغادرة والعودة لمنزلي وأطفالي، وكانت المفاجأة انني عدت للمنزل ولم أجد أحدًا لا الزوج ولا البنات ولا أحد من العائلة بل حتى أكثر الجيران بيوتهم مفتوحة ومشرعة ولا أحد فيها، إنه صمت أشبه بصمت القبور، فزعت بل ارتعبت... متسائلة أين بناتي وعائلتي ... أين ذهبوا ؟؟؟؟".

وجاءت الإجابة أن عائلتها ومعظم الجيران غادروا على عجل لأن اليهود دخلوا المنطقة والموت قادم معهم، وعلمت لاحقًا أنهم ذهبوا عند عمتها في قباطية، وما تتذكره وهو محفور بذاكرتها كالوشم أنها قطعت تلك المسافة مشيًا على الأقدام، ولا تدري كم من الوقت مشيت حتى وصلت لأسرتها في قباطية لأنها كانت حتى ذاك الوقت منطقة آمنة.

وأيضًا وفي ذات السياق من المعاناة والألم والصمود والتحدي ذلك الخليط العجيب تقول: "استذكر معركة الكرامة مع العدو الصهيوني سنة 1968 حيث كنت أعمل في مخيم الكرامة في مركز للأمومة والطفولة، وخلال المعركة سألني دكتور العيادة "هل يمكنك البقاء معنا للمساعدة ؟" فأجبت طبعًا سأبقى وبقيت بل أصررت على البقاء على رأس عملي لتقديم الدعم والمساعدة للأهالي والجرحى ومصابي المعركة من الجنود الأردنيين والفدائيين الفلسطينين، تلك ذكرى تختلط فيها المشاعر والحواس لن أنساها ما حييت، وكان يحدوني الأمل أنها معركة فاصلة مع العدو وحتمًا سأعود للديار بعد ساعات ربما أقرب من ساعات المساء، لكن للأسف جرت الرياح بما لا تشتهي سفني فالعودة لم تتحقق وما زلت أنتظر النصر الذي تأخر وطال انتظاره".

وتتابع : "خلال تلك المعركة رافقت أحد الجرحى لمستشفى السلط وانقطعت أخباري عن عائلتي وأطفالي فظنوا انني استشهدت فلم تكن الاتصالات في ذلك الوقت متاحة بيسر للناس، ومن هناك عدت إلى عمان، وبعد ذلك عملت في مخيم شنلر لفترة طويلة، وتتشابه الصور والآلام والمعاناة والدروب حتى الوجوه والملامح تتشابه كما الصمت المخيف وحالة الانتظار التي تسيطر على المشهد العام".

حياة حافلة بالتكريم

تلقت العديد من التكريمات ومن جهات متعددة ومنها على سبيل المثال؛ وسام التقدير من الأونروا، جائزة الأم المثالية، جائزة الأمم المتحدة لمجابهة الفقر في عام 1998، وهذه الجائزة مُنحت لخمس نســـاء من العـالم من الأمين العـام للأمم المتحـدة، تكريم وتقـدير من قنـاة تلفزيون العرب، تكريم من مركز المرأة للبحوث: كوثر/ تونس، شـهادة تقدير من وزارة التنمية الاجتماعية، شـهادة تقدير من مؤسسـة إنقاذ الطفل، شـهادة تكريم من أمانة عمان للتميز، شـهادة تقدير من جمعية معهد تضـامن النسـاء الأردني، الحصـول على جائزة التميز من جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسـين في عام 2018، وغيرها من التقديرات التي تنم عن الاحترام والتقدير لجهودها المتتالية في خدمة المجتمع والإنسان.

المشاريع والمبادرات التي شكلت منعطفًا للمستفيدين والمستفيدات

تؤكد ميسـر السـردي أن "مشـروع أزدهار" نجح في كسـر حاجز ثقافة العيب المتعلقة ببعض الأعمال للنساء، فهو مشروع ريادي ومختلف تمامًا عن السائد، وكان المشروع الأول الذي يتناول قضية التدريب والتعليم والتشـغيل معًا، وخاصـة أن الأعمال التي يتم تأمينها ضـمن هذا المشـروع أعمال خدمية تبتعد عنها النساء عادة ليس بسبب عدم المقدرة أو عدم الرغبة بل بسبب القيود المجتمعية والأسرية، وأيضًا تأتي أهمية وخصـوصـية هذا المشـروع أنه يترافق مع مجموعة من المعارف والمهارات والتدريبات على محاور متعددة منها؛ الجانب الحقوقي في الجانب الدولي والوطني ضـمن التشـريعات الأردنية وكمثال، قوانين العمل والمالكين والمستأجرين والعقوبات والأحوال الشخصية، بالإضافة إلى الإلمام بمهارات الحياة الاساسية والعناية بالطفل وإدارة المنزل وإعداد الطعام.

وتخرجت 1400 مسـتفيدة من المشـروع 75% منهن يعملن في القطاع الخاص و25% يعملن في مشاريع خاصة لهن، بالإضافة الى قروض ميسرة لهن بدون فوائد، علما بأن جزءً كبيرًا من المستفيدات عملن في المسـتشـفات والفنادق والحضـانات ورياض الأطفال أو مدبرات منازل، ويتقاضـين أجورًا جيدة ويعملن بعقود عمل تضمن حقوقهن ولا تعرضهن للاستغلال.

وميزة هذا المشروع أنه يقدم الدعم والمساندة للنساء قليلات الحظ بالتعليم على الأغلب من حملة الشهادات الدنيا وفرصـهن بالعمل تكاد تكون قليلة، بالإضـافة إلى أنهن من ضـعاف الحال ماديًا، وعملهن إنقاذ لهن ولأسـرهن ولأبنائهن ويصـب في دعم المجتمع وهن يعززن الناتج القومي، بالإضـافة إلى عدم رغبتهن بأن يصبحن عالة على أحد لا الدولة ولا العائلة ولا الأبناء ولا ينتظرن فاعلي الخير والمحسنين الموسميين.

كلمة أخيرة للنساء

رسالتي لكل النساء لا تعتمدوا على أحد، اعتمدن على أنفسكن فقط، أنتن قادرات على التأثير والتغيير في حياتكن وحياة أسركن ومجتمعكن، ونحن في مشروع ازدهار شعارنا "كرامة بدل إكرامية".

مكتبة على شكل أنثى جميلة
المهندسة/ نانسي أبو حيانة

المهندسة نانسي أبو حيانة تعمل في مجال الدراسات والأبحاث على القضايا التنموية والاجتماعية والحقوقية من مواليد 1972 في محافظة مأدبا، وهي الإبنة الكبرى للعائلة، حاصلة على درجة البكالوريس بالهندسة المدنية من الجامعة الأردنية ولدت لأبوين من محافظة معان في جنوب الأردن، التحقت بطفولتها بالمدارس الحكومية في مأدبا حتى المرحلة الثانوية.

عاشت نانسي أبو حيانة طفولة متميزة مع والدين متفهمين لكل متطلبات الطفولة والتي انعكست على شخصيتها وكيفية تعاطيها مع تفاصيل حياتها اليومية، لذلك اجتازت كل مراحل الدراسة بتفوق وتقديرات مرتفعة، بالإضافة لاكتسابها لبعض العادات التي ورثتها عن والدتها كعشق القراءة فهي من أوائل المطالعات في مدرستها على الدوام، كما ورثت الانضباط والدقة الشديدة والحرص على النظام ونبذ الفوضى وهي عادات اكتسبتها أيضًا من والدها الذي كان يعمل ضابطًا في سلاح الجو الملكي والذي كان قد تعرف خلال عمله بثقافات مختلفة انعكست على طريقة تربيته لأطفاله حيث كانت المساواة في الحقوق والواجبات هي أداة القياس في العائلة.

القراءة عشق بالوراثة

إن الحديث مع المهندسة نانسي أبو حيانة ممتع ومشوق وثري، لأنها تستحضر الكثير من الأقوال والحكم والمقتطفات الأدبية على لسان هذا الأديب أو ذاك، لذلك يشعر المتحدث معها كأنه أمام مكتبة غنية بالمعرفة لكن على شكل أنثى جميلة.

وتقول: "اكتسبت عشق القراءة من والدتي التي كانت تكافئنا على الدوام بشرائها القصص والروايات العالمية التي تتناسب وكل مرحلة من عمرنا، في حين كان راتب والدي لا يتجاوز في ذلك الوقت 9 دنانير شهريًا، لذلك انغرس في أعماقي هذا النوع من العشق الجميل والمفيد والثري والذي انعكس على لغتي ومفرداتي لذلك أنا من الاشخاص الذين يقدسون اللغة العربية ليس فقط كلغة أم بل لأنني أعتقد جازمة أنها الهوية".

ويسكن أبو حيانة هاجس البحث الدائم عن المعرفة والمعلومات لذلك اتجهت لعالم القراءة ، عالم ملئ بالسحر وتلتقي به بشخصيات لم تكن لتلتقيها دون الغوص عبر السطور وصفحات الكتب، حتى أصبحت مصدرًا لثروتها الفكرية التي تفوق عندها أهمية أي نوع آخر من الثروات إنه عالم الكتب الرويات والشعر.

ودائما تردد أمام الجميع وأمام بناتها "مالم أتعلمه من والدي علمتني أياه القراءة فالقراءة تجعل القارئ لا يعيش حياة واحدة بل يعيش أيضًا حياة الآخرين الذين تتبع سيرهم عبر الروايات، ومن عالم الكتب والشخوص المختلفة التي تزخر بها الروايات تعلمت فن التفهم وتقبل الآخرين على اختلاف أنماطهم، خصوصًا أن شخصيتها مركبة ولا تبحث عن التوافقات".

وتقول أبو حيانة عن نفسها: "جريئة بقراراتي وخيارتي وأتقبل الآخرين كما هم لا كما أريد، ووجهي مرآة تعكس ما بداخلي لذلك أشعر أنني واضحة جدًا للآخرين رغم أنها سمات قد لا يرغب بها البعض لكنني وبكل الأحوال لدي رضًا داخلي بما أنا عليه، وأحيانا نتيجة لجرأتي ووضوحي يطلب مني بعض الزملاء والزميلات أن أنقل وجهات نظرهم للمسؤول على لساني وغالبًا ما أفعل ذلك رغم أنه قد يسبب لي بعض المشاكل".

طفولة غنية بالمعرفة والحنين للماضي

وبالعودة لذكريات مرحلة الطفولة والمدرسة تقول المهندسة نانسي أبو حيانه: "أنا من المنتسبات الدائمات للكشافة التي لها عظيم الأثر على بناء شخصيتي وتعزيز حصيلتي المعرفية والقيمية في تلك المرحلة العمرية الهامة في حياة الفرد من حيث عدم الخوف، الاستقلالية، حب المعرفة والاستكشاف، الفضول المحبب، عدم التردد، الانضباط والتنظيم، خوض التجارب، اتخاذ القرار، التخطيط، لذلك أحرص تمامًا على نقل تجاربي وخبراتي وتوظيفها من الناحية العملية والنظرية في تربية بناتي".

وتتابع بقولها: "أمي رائعة تمتلك الكثير من المعارف والمهارات والحرف اليدوية رغم تواضع تحصيلها العلمي، ولعل من الذكريات الجميلة التي تأسر مشاعري دومًا كلما خطرت ببالي أو تراقص شريط ذكريات الطفولة أمام عيوني أيام العيد وتحضيراته وذاك الصخب الطفولي المحبب عندما تجتمع العائلة والأقارب وربما بعض الجيران لعمل "كعك العيد"، وأيضًا فستان العيد كان له حضور طاغٍ يسكنني، فأمي كانت تجيد الخياطة فهي "خياطة ماهرة" حيث كنت أنا وأخواتي ننتقي موديلات الفساتين من المجلات أو عبر تتبع الازياء في المجلات، وأذكر أنها كانت قبل العيد بأيام تبدأ العمل على إنجاز فساتين العيد لي ولأخواتي وفي بعض الأوقات كانت لا تنام وتبقى تعمل طوال الليل حتى لا يداهمنا العيد وهناك قطعة ملابس لم تنجز بعد، كنا نسهر معها ونحيط بها كالسوار كل واحدة منا تنتظر الانتهاء من فستان العيد لتقوم بقياسه وهي في غاية الفرح، تلك ايام سأبقى أحن لها ما حييت تلك المرأة العظيمة هي أمي".

العمل وتحدياته

التحقت المهندسة نانسي أبو حيانه مباشرة بعد التخرج من الجامعة بالوظيفة كمهندسة في أمانة عمان الكبرى، وخلال فترة قصيرة نسبيًا ونتيجة لمثابرتها وكفاحها الوظيفي والعديد من المهارات التي تمتلكها

أصبحت من الأسماء المعروفة بين زملائها ومسؤوليها كمهندسة مميزة تتقن عملها جيدًا ولديها فضول وظيفي لمعرفة كل ما يحيط بها، وبعد مرور 5 سنوات على تعيينها في أمانة عمان الكبرى تم ترفيعها إلى رئاسة القسم الهندسي في المناطق التابعة للأمانة، وهذه كانت أول سابقة في ذاك الوقت كونها أول امرأة ترأس دائرة هندسية في أمانة عمان الكبرى.

وتتابع سردها لحكايتها مع الوظيفة العامة وتقول نانسي: "بعد ترفيعي ورئاستي للقسم الهندسي ثارت حولي حالة من الجدل والتردد والكثير الكثير من الاستفسارات من قبل أعضاء مجلس أمانة عمان الكبرى حول مدى استحقاقي وجدارتي وجل النقاش كان يدور حول كوني أنثى تترأس قسمًا هندسيًا، حيث أن كل تلك المواقع الإدارية عادة يشغلها الرجال فقط، وأيضًا لأن هذه المواقع هي مكان دائم لحركة الرجال فكيف سيكون الحال وإدارته بيد أنثى، ونتيجة لحالة الجدل وعدم ثقة ورضا الأغلبية تم سحب كتاب ترفيعي ثم تم إعادة تسميتي كرئيسة للقسم الهندسي، وهكذا إلى أن تم تثبيتي رئيسة للقسم الهندسي بشكل دائم وذلك بعد معاناة ومخاض عسير لا جدوى منه، تلك كانت تجربة مؤلمة وسيئة للغاية".

وثابرت واجتهدت كثيرًا لإقناع الجميع بأنها جديرة بهذا الموقع وأنها حصلت على استحقاقها الوظيفي ولم

تسطو على حق أحد، وكانت دائمًا وما زلت صوت المواطن في أمانة عمان وتحاول دائمًا أن تجد فتوى لكل مشكلة يقابلها المواطن وهذا بالطبع أزعج البعض منها.

ولاحقا تم ترفيعها لموقع مديرة حدائق جلالة الملكة رانيا لتنمية المجتمع المحلي، ثم مديرة لدائرة البرامج الاجتماعية/ أمانة عمان، وحاليًا تعمل كمديرة للمرافق والبرامج الاجتماعية وتدير من خلال هذا القسم 21 مركزًا في العاصمة عمان وبكادر وظيفي لا يقل عن 500 موظف وموظفة.

وتستذكر نانسي بعضًا من المواقف التي حصلت معها خلال عملها وتقول: "في أحد المشاريع كان مدخل الكراج بأحدى العمارات أقل بـ 5 سم عن المطلوب، ووفق حرفية النص كان يجب أن لا يتم الترخيص، بل يكلف صاحب العمارة بدفع مبالغ مالية لقاء ذلك، فاجتهدت في حينه ووفق الأنظمة والتعليمات حيث تفهمت روح النص وليس حرفيته الجامدة فقمت بتقديم التنسيب التالي لإجازة الترخيص بخصوص الكراج بما أن المشرع قد وضع هذه التعليمات لتوفير أماكن اصطفاف السيارات داخل المباني مما يؤثر على تنظيم المدينة ولم يقصد الجباية، أرى أن نوافق على الترخيص لا أن نقوم بالشطب، لأنه في حال لم تتم الموافقة فإن على المواطن مالك العمارة أن يقوم بدفع غرامات لعشرة كراجات وبالفعل تم الأخذ بتنسيبي وتمت الموافقة".

مبادرات قدمتها ونفذتها

أولى مبادراتها التي قدمتها خلال عملها كمديرة لحدائق جلالة الملكة رانيا قامت بتصـــميم وتنفيذ مشـــروع "لقاء الفنانين الشـباب بأطفال عمان" وكان الجميل في هذا المشـروع الريادي والمختلف وغير التقليدي أنه أتاح الفرصة للفنانين الشباب حديثي التخرج فرصة اللقاء بهؤلاء الأطفال وتدريبهم ذكورًا وإناثًا في المناطق الأقل حظًا على مختلف أنواع الفنون، وأيضًـا إتاحة الفرصـة للتواصـل ومد الجسـور مع المجتمع المحلي بكل أطيافه، بحيث عزز هذا المشـــروع روح الإبداع وحفز الابتكار للأطفال بمســـاعدة هؤلاء الفنانين الشباب، وهذا ساعد لاحقًا في اسقاط الأحكام المسبقة على هذا النوع من الفنون ومنتجاتها وأشخاصها.

أما المبادرة الثانية حملت عنوان "مســـتقبلي" والتي تمحورت حول بناء الذات وتعزيز القدرات وكان هذا المشروع يستهدف الفتيات حبيسات المنازل من عمر (14 ـ 24) سنة. وتم العمل في هذا المشروع على ثلاثة محاور أســـاســـية المحور الأول "الحق بالمعرفة"، حيث تم التركيز فيه على الصـــحة الإنجابية، خصـــوصًـــا أن حبيســـات المنازل يتم اخراجن من المدارس وبذلك تكون مصـــادر معرفتهن ومهاراتهن متواضـــعة للغاية إن لم تكن معدومة، وترتكز فقط على ثقافة الحارة "الحي" والهدف كان تزويدهن بكل المعلومات والمعارف التي تتعلق بالجسد والصحة بما فيها الصحة النفسية.

والمحور الثاني "ادارة الذات" وبدأ من الاهتمام بالهوايات وتنمية الذات، التواصـــل، العلاقات الاجتماعية داخل وخارج الأســـرة وذلك لكســـر الثقافة المغلوطة في عدة مجالات مثل؛ العداوة التقليدية بين الحماة والكنة، التوقعات المسبقة فيما يتعلق بزوج الأم او زوجة الأب، الأمثال الشعبية التي تحط من قدر الأنثى وتعظم من قيمة الذكر، وأن الزوج يملك عصًا سحرية لكل المتطلبات.

أما المحور الثالث "تربية الطفل"، وكان العدد المستهدف ضمن هذا المحور 300 فتاة مقبلة على الزواج، وتتمحور الفكرة حول كيفية تربية الأطفال بشـــكل نموذجي، وذلك من خلال عدد من البرامج المنفذة من قبل مجموعة مدربين/ات أكفاء من حملة الشـهادات العليا في عدد من التخصـصـات التي يحتاجها قطاع الطفولة، وقد تم تنفيذ هذا المحور من خلال الاســتعانة بمدارس الإناث وذلك لمراعاة خصــوصــية النوع الاجتماعي.

وحاليا تقوم المهندســـة نانســـي أبو حيانه بتنفيذ مبادرة "مســـاندة التعليم" من خلال عدد من المدرســـين والمدرسـات المتطوعين في 10 مراكز، حيث تخدم هذه المبادرة القطاع الطلابي وتسـاعد أيضًـا الأهالي من خلال إتاحة هذه الخدمة مجانًا.

كلمة أخيرة للنساء

ابتعدن عن الأحكام المســـبقة على الآخرين والأخريات لأنها تحمل كمًا من الظلم على الأغلب، وعليكن بالتوازن في كل شـــئ في حياتكن، وامتلكن الثقة ايضًـــا بقدرتكن على إحداث التغيير لأن أغلب الحواجز التي تواجه المرأة هي نفسية أولًا، لذلك إن استطعن كسر هذا الحاجز ستتداعى بقية الحواجز حتمًا.

طفولة مقدسية
الأستاذة/ نهى المعايطة

نهى المعايطة رائدة نسوية من رائدات المجتمع المدني الأردني من مواليد 1951 في مدينة اربد، كانت ثاني سيدة عضو في مجلس النواب بعد عودة الحياة الديموقراطية، متزوجة ولديها 3 أبناء، وتعود أصولها إلى محافظة الكرك، من عائلة مكونة من 3 أبناء وبنت وحيدة وهي نهى وكانت علاقتها بوالدها علاقة مميزة للغاية وهي أقرب للصداقة منها للعلاقة الوالدية.

وعاشت جزءً من طفولتها في مدينة الزرقاء حيث كانت بمثابة مدينة للعسكر وعوائلهم، وتنقلت مع عائلتها بين عدد من البلدان بسبب عمل والدها ومنها على سبيل المثال؛ سوريا، لبنان، الكويت، ولندن، كما عمل والدها كمدير لشركة عالية "الطيران المدني" في القدس بالضفة الغربية، حين كانت الوحدة بين ضفتي نهر الأردن آنذاك.

وهنا تقول نهى: "والدي لم يكن يومًا ما يمارس السلطة علينا، كان صديقًا وفيًا ومحبًا لكل فرد في أسرتنا الصغيرة، ديمقراطي بطبعه ورؤاه، وهو شخصية منفتحة للغاية، وقارئ نهم ويعشق التاريخ، لا يميز أبدًا بيننا بل كنت الابنة المدللة للعائلة، بالمقابل كنت في غاية الحساسية حيال والدي وظروفه المختلفة عن الكثيرين في ذلك الوقت، وكنت شديدة التعاطف مع والدتي وسعيت دومًا لأكون السند لها ولوالدي فأنا الابنة الكبرى في تلك العائلة".

ووالدها من رجالات الأردن المعروفين حيث انضم لحركة الضباط الأحرار في الأردن منذ البدايات مع عدد من الوطنيين منهم أبو شاحوط، نذير رشيد وكانوا من أبرز الداعين والمؤيدين لتعريب الجيش الأردني وطرد كلوب باشا، وهو ما حصل لاحقًا وكانوا يعرفون بأبطال باب الواد في القدس.

ذكرياتها من القدس إلى عمان برفقة والدها السياسي

تلقت نهى المعايطة تعليمها في المدارس الحكومية الأردنية المختلفة باختلاف أماكن إقامة العائلة مع والدها وكان جزء من تلك المرحلة التعليمية التحاقها بمدرسة خولة في القدس.

وتقول نهى عن تلك المحطة من حياتها وحياة عائلتها: "فترة أقامتنا في مدينة القدس ودراستي فيها الكثير من الذكريات والصـــور التي لا تنســـى، تلك المدينة العربية العريقة العزيزة على قلبي، ولا زلت أذكر تفاصيل تلك البدايات من عمري وذكرياتها الجميلة رغم بعض الأوجاع في تلك المرحلة الهامة من تاريخ فلسطين وبدايات الاحتلال للأرض العربية، ومن أبرز الصـور العالقة في الذاكرة وعصـية على النسـيان الصداقات التي بنيتها مع طالبات الصف المدرسي وتلك المعلمة الجميلة الهادئة الوادعة ست فكرية وهي من أصول تركية".

وهنا صمتت نهى لفترة من الزمن وكأنها تستحضر شريطًا لذكرى بعيدة عالقة في قلبها وعقلها ومشاعرها عن والدها، وأشـاحت بوجهها تمسـح دموعًا عزيزة حاولت حبسـها ولم تفلح وأردفت قائلة: "ذاك يوم من عمري لا ينسى فخلال إقامتنا في مدينة القدس، في الساحة الخارجية للمدرسة حيث كان الوطن العربي بأكمله يسـتمع لأشـهر الإعلاميين في ذلك الوقت وهو " أحمد سـعيد" من صـوت القاهرة وهو يعلن نبأ اعتقال عدد من الضباط الأحرار ومنهم والدي محمود المعايطة".

وتتذكر نهى تلك اللحظات بكل تفاصيلها خصوصا عندما وجهت ست فكرية حديثها لها قائلة: "نهى أنت من عشيرة المعايطة هل تعرفين محمود المعايطة؟ فقالت لها فورًا وهي تبكي وتريد مغادرة المدرسة للعودة للبيت "نعم إنه والدي" .

وتضـيف نهى قائلة: "هذا معناه أنني لن أرى والدي لخمس سـنوات أخرى كما حدث سـابقًا سـنة 1965، حيث تم اعتقاله وحكم عليه بالسجن لمدة 15 عامًا أمضى منهم 5 سنوات ومن ثم تم الإفراج عنه بعفو عام صدر في حينه، حيث سجن والدي 5 سنوات بسبب نشاطه السياسي وانتسابه لحزب البعث فوالدي من القوميين المتعصـبين لقوميته وكان يرى أن العالم العربي هو وطن واحد لا حدود تفصـل بين أبنائه لكل العرب دون أي تقسيمات جهوية أو جغرافية أو دينية أوطائفية أوعرقية".

ومن الذكريات التي لن تنساها نهى حجم التعاطف الهائل الذي لمسته من المعلمات والصديقات والجيران فكانت مشاعرهم فياضة وفي منتهى الحميمية معها ومع عائلتها بسبب اعتقال والدها على خلفية نشاطه السياسي المقاوم للاحتلال والداعي لتعريب الجيش وطرد كلوب باشا بسبب تلك الأسلحة الفاسدة التي زود بها الجيش العربي خلال مقاومته للاحتلال الصهيوني لفلسطين مع مجموعة من رفاقه الحزبيين وحركة الضباط الأحرار في حينه.

تقول نهى : "من تلك الصور الجميلة اصرار معلمتي وصديقاتي من الطالبات بمرافقتي يوميا لمنزلنا على مدار العام الدراسي كنوع من التضامن والمواساة والحرص علي في غياب الوالد، تلك الصور ما زالت تحتل الذاكرة والوجدان وتجعلني دائمة الحنين للعودة لتلك الديار العريقة العميقة بكل تفاصيلها، إنها القدس".

وبعد عودة والدها إلى عمان بعد سنوات من العمل خارج الوطن خفت حدة المطاردة الأمنية لوالدها بسبب انتمائه السياسي حيث جاءت حكومة الراحل "الشهيد وصفي التل" وكان رحمه الله قد حل الكثير من المشاكل الأمنية وبدأ صفحة جديدة قامت على المصالحة الوطنية وجمع كل الأطياف السياسية في خندق واحد لخدمة الوطن والمواطنين تحت راية موحدة للجميع، حيث شملت تلك المصالحة الجميع بما فيهم خصوم الحكومة، وهنا حلت مشكلة والدها والمطاردات الأمنية والترحال الدائم وتم تعيينه في شركة الفوسفات الأردنية.

محطات من مسيرة العمر

عادت أسرتها لعمان ثم انتقل والدها إلى لبنان ثم سوريا ثم الكويت للعمل هناك ومن ثم التحقت العائلة به للعيش في دولة الكويت، والتحقت نهى آنذلك بمدرسة المرقاب في الكويت وكان عمرها في ذلك الوقت 15 عامًا، وكانت من المتفوقات دراسيًا في تلك المرحلة من العمر، رغم كثرة الترحال والتنقل مع العائلة.

لاحقا لتلك الفترة أصبحت الأسرة تتركها في عمان برعاية عمها شقيق والدها وزوج خالتها، وذلك لوضع حد للترحال المستمر مع الأسرة ولكي تستقر مكانيًا ودراسيًا فمكثت مع أسرة عمها في مدينة الزرقاء فترة من الزمن، لذلك تركت عائلة عمها بصمة إضافية مميزة في حياتها لما أولوها من اهتمام ورعاية لها خلال إقامتها معهم، وتمكنت خلالها من اجتياز المرحلة الثانوية كخريجة من مدرسة زين الشرف/ جبل عمان.

وبعد ذلك غادرت نهى المعايطة الأردن وتوجهت للشام لدراسة الطب في جامعة دمشق حيث أمضت عامًا واحدًا في الدراسة، وبسبب عدم رغبتها بدراسة الطب من الأساس لم تستطع إكمال دراستها فقررت العودة إلى الأردن، حيث تركت الجامعة وعادت إلى عمان وكان آنذاك والدها قد أنهى أيضًا تعاقده في دولة الكويت وعاد إلى عمان.

وهنا تقول نهى: "بعد عودتي للأردن عملت في قطاع التعليم في مدرسة في منطقتي القويسمة وحي نزال، وقمت بتدريس مادتي العلوم والرياضيات، فبالأساس أميل للتدريس لذلك كانت ممارسة التعليم ممتعة جدًا لي وأحب أجواء الطلبة والتعليم، وخلال تلك المرحلة بنيت علاقات مميزة مع الطالبات ولم اتقمص يومًا دورالمعلمة الواعظة كما يحدث مع الكثيرات بل كانت علاقة تعلم ممتع لكلانا".

من التعليم إلى البنك المركزي والزواج

بعد تلك المرحلة تركت نهى سلك التعليم والتحقت بالبنك المركزي وعملت فيه لمدة 7 سنوات، ورغم اختلاف العمل المصرفي عن التعليم إلا أنها أيضا أحبت هذا العمل ربما بسبب ميولها العلمية بالأساس، وخلال تلك الفترة خطبت وتزوجت وسافرت مع زوجها إلى الولايات المتحدة لمدة سنتين حيث كان زوجها مبتعثًا للدراسة والحصول على درجة الماجستير من إدارة البنك المركزي.

وتستذكر نهى مرحلة ما بعد انتهاء ابتعاث زوجها إلى الولايات المتحدة: "بعد انتهاء مدة الابتعاث لأميركا عدنا للأردن ولكنني لم أعد للعمل في البنك المركزي بسبب رغبتي بالاعتناء بأطفالي، ورغبتي بالعمل المرن الذي يتوافق مع طبيعة التزاماتي الأسرية، وكان العمل المصرفي يتطلب التزامًا عاليًا بالوظيفة والدوام، لذا تركت العمل المصرفي وقمت بتأسيس روضة أطفال وحضانة في منطقة الدوار السابع، وخلال تلك الفترة انتسبت لجامعة بيروت العربية وتخصصت في دراسة التاريخ سنة 1973".

وتقول نهى المعايطة: "لاحقًا لذلك حصلت على دبلوم عالٍ من الجامعة الأردنية تخصص الإدارة المدرسية وأيضا حصلت على دبلوم ثاني من جامعة عمان العربية، وطبعا خلال تلك الرحلة كان هناك نشاط كبير جدا للمدارس وقطاع التعليم عمومًا، وكنت ناشطة جدًا في هذا المجال ومعروفة في الوسط التعليمي من خلال العديد من الفعاليات التي أدرتها أو أسستها أو شاركت بها، لذلك تم اختياري من الصندوق الأردني الهاشمي للتنمية الشرية كخبيرة طفولة، وبالفعل انتقلت للعمل في الصندوق الأردني الهاشمي لمدة 5 سنوات".

العمل مع قطاع المرأة والعمل التطوعي

بعد ذلك تم تأسيس اللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة في عام 1992 بدأت أنذاك العمل مع قطاع المرأة لفترة من الزمن ثم عدت وتفرغت لرعاية الأبناء الذين أضحوا في مرحلة التوجيهي وهي مرحلة حساسة ومهمة للغاية لذا فضلت متابعة أبنائي في هذه المرحلة.

وهنا وتحديدًا فيما يتعلق بعملها مع اللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة ومن باب الاعتراف بفضل هذه المؤسسات والهيئات على منتسبيها أو العاملين فيها أو المستهدفين من برامجها المختلفة فهي بالتأكيد تترك أثرا ما سواء في طبيعة الشخصية أو اتجاهاتها أو افكارها أو حتى طريقة تعاطيها مع مسائل حياتية مختلفة، لذا فهي تثمن عاليًا دور هذه الهيئات ومختلف منظمات المجتمع المدني أينما عملت أو تخصصت فهي بالتأكيد تترك أثرًا قد لا يرى بشكل مباشر لكنك تلمسه وتستشعر به في وقت ما أو موقف ما.

وتقول بهذا الخصوص: "أتاح لي العمل مع هذه المنظمات والهيئات الكثير من المعارف الحقوقية والقانونية والاجتماعية والسياسية .. وغيرها، وأيضًا اكتساب المهارات وامتلاك الأدوات التي تعتبر جزءً مهمًا من مكونات الشخصية الناجحة.

وخلال هذه المرحلة توجهت نهى نحو العمل التطوعي، بداية كانت من خلال عضويتها في الاتحاد النسائي العام/ اتحاد العاصمة، ثم لاحقًا أصبحت رئيسة لاتحاد العاصمة تلاها انتخابها كرئيسة للاتحاد النسائي العام، وأيضًا انتسبت للعديد من الهيئات والجمعيات والنوادي التي تعمل في المجال الحقوقي والخيري

والتنموي منها على سبيل المثال؛ جمعية تنظيم الأسرة، نادي الحديقة والمنزل وجمعية النساء الجامعيات .. وغيرها.

وفيما يتعلق بتجربتها ورئاستها للاتحاد النسائي العام تقول نهى: "كانت تجربة مميزة بالنسبة لي وللقطاعات التي يستهدفها الاتحاد من خلال برامجه وفعالياته المتنوعة، بالإضافة للكثير من التجارب المحلية والعربية والدولية التي اطلعت عليها خلال تلك المرحلة خصوصًا وأن تلك الفعاليات والمشاريع تستهدف قطاع المرأة التي تُشكل نصف المجتمع الأردني وتؤثر كثيرًا بالنصف الثاني الذي تقوم على رعايته وتنشئته لذلك أنا أقول دومًا أن الاهتمام بقطاع المرأة هو اهتمام بالمجتمع وبالوطن ككل".

نهى المعايطة في البرلمان

أما ما يتعلق بتجربة نهى المعايطة تحت قبة البرلمان الأردني حيث كانت ثاني امرأة أردنية تدخل لعالم هو بالتأكيد كان وما زال رغم التغييرات الطفيفة التي حدثت في هذا السياق ساحة محتكرة على الرجال بفعل مجموعة من العوامل والأسباب التي لم تتغير كثيرًا.

وتقول نهى في هذا السياق:"بداية علينا الإقرار أن دخول النساء للبرلمان كان نتيجة للتوجه الرسمي المنبثق عن ارادة سياسية سعت وأكدت دومًا على ضرورة إشراك المرأة الأردنية والاستفادة من قدراتها للعمل تحت القبة في إدارة الشأن العام، لذلك خضت هذه التجربة الهامة والمميزة جدًا بالنسبة لي من خلال شغور مقعد في البرلمان وكان يجب أن يتم ملئ هذا المقعد من خلال قنوات قانونية معتمدة في هذا السياق، وبالفعل قمت بترشيح نفسي لملئ هذا المقعد مستثمرة التوجه العام للمجلس بالاستجابة للإرادة السياسية بضرورة دعم قطاع المرأة وتمثيلها داخل مجلس النواب، وقمت بحشد اللازم من الموارد بما فيها خطة العمل الخاصة بي كبرنامج عمل تحت القبة، واستعنت بالأصدقاء والمعارف وأصحاب الخبرة واستشرت كثيرًا لأكون على بينة لما انا مقبلة عليه، لأنه عمل ليس سهلًا أبدًا ان تكون شريكًا في إدارة الشأن العام وممثلة لقطاع المرأة".

وبالفعل فازت نهى بالمقعد في المجلس الثالث عشر من أصل 17 مرشحًا ومرشحة، وكانت قد استفادت كثيرًا من تجاربها وخبراتها السابقة وخاصة ما يتعلق بقطاع المرأة لان حصيلة المعرفة والمهارات هي نتاج عمل ومثابرة وخبرات مختلفة.

وتتذكر نهى المعايطة تلك المرحلة جيدًا وتقول: "ما أذكره في هذا المجال أن رئيس مجلس النواب في ذلك الوقت طلب من كل مرشح ومرشحة أن يقوم بتقديم نفسه وبرنامجه تحت القبة لأن الانتخابات كانت داخلية من أعضاء المجلس، وبالفعل قدمت نفسي وبرنامجي وعكست طبيعة شخصيتي وبنائي الفكري والمعرفي وكانت الحصيلة أنني فزت بذلك المقعد وهكذا أصبحت عضوة في مجلس النواب الثالث عشر".

وعن العمل داخل مجلس النواب تضيف: "العمل داخل مجلس النواب كممثلة لقطاع المرأة وقضاياها المختلفة والمختلف حولها بذات الوقت ليس بالأمر السهل، إلا انني حرصت دومًا ومنذ البدايات على بناء شبكة علاقات محترمة ومميزة مع الزملاء وحرصت على التواصل والحضور الدائم وعدم التغيب لأعطي صورة مميزة عن التزام المرأة الأردنية وإيمانها بالقضايا والهم الذي تحمله سواء فيما يتعلق بقضايا المرأة او المجتمع بشكل عام".

وبرأيها النائب هو نائب وطن وليس نائبًا عن قطاع معين أو جغرافيا محددة، وأخذت في عملها في البرلمان في تلك الفترة على مبدأ "من شاور ما خاب" كما يقول المثل الشعبي، لهذا حاولت دائما الاستفادة من خبرات من سبقوها أو لهم اختصاص كالمحامين والخبراء الاقتصاديين .. وغيرهم لتكون دائمًا مطلة ومطلعة قبل الإدلاء برأيها في أي قضية قد تكون مطروحة تحت القبة، لأن النائب ليس دائما خبير في كل المعارف والاختصاصات لذا عليه السعي دوما للمعرفة والمعلومات بشكل دائم ومحدث، وكانت نهى حريصة على تمثيل ذاتها وقطاع المرأة والمواطن الأردني بأفضل الصور من خلال مشاركة فاعلة مؤثرة كلما كان ذلك متاحًا.

كلمات أو مواقف أثرت بها خلال تجربتها البرلمانية

وتقول نهى المعايطة: "كثيرة هي المواقف التي تصادف الإنسان في مسيرة حياته عمومًا، لكن نادرة تلك المواقف التي تحتفظ بها الذاكرة وتبقى كبوصلة تشير دومًا للاتجاه الصحيح ومنها على سبيل المثال؛ خلال طلبي مساندة أحد النواب لي خلال ترشحي لملأ المقعد الشاغر في مجلس النواب حيث كان التصويت داخلي أجابني قائلًا: خلينا نشوف إذا في توجه لجلالة سيدنا لشخص محدد، وبعد فترة قليلة عاد وقال لي: الحقيقة إنو سيدنا قال كلهم بناتي وأنا مع كل واحدة منهن وهذا شأن المجلس واختياراته، وبالفعل صوت لي ذلك النائب، وأيضًا وخلال حملتي لحشد الأصوات لي تحت القبة أجابني أحدهم قائلًا: أبوك كان ماسك السلم بالعرض، بس أنا رح أصوت معك، في إشارة لنشاط والدي السياسي سابقًا".

كلمة أخيرة للنساء

على المرأة البحث في داخلها عن قدراتها المختلفة ومن ثم توظيف تلك القدرات لبناء شخصيتها المستقلة القوية الممكنة، وبذات الوقت خدمة أسرتها وعائلتها الصغيرة الممثلة بالأبناء والأحفاد والأشقاء والعائلة عمومًا دون أن يكون ذلك على حساب طرف على آخر، بمعنى التوازن والعدالة في توزيع الاهتمام والرعاية بالذات والآخرين، وأيضًا الحرص على إيلاء العمل التطوعي جزءً من الموارد لأنه خدمة محمود عليها في الدارين، والموارد قد تكون مادية أو جسدية أو وقتًا، فأنا على الصعيد الشخصي "بلاقي حالي في العمل التطوعي".

"قلب أم بحجم الكون"

الدكتورة/ هالة حماد

الدكتورة المرحومة هالة جمال حماد من مواليد 13/ 4/ 1944 مدينة القدس/ فلسطين انتقلت إلى رحمة الله شتاء 2019 ولدت لأسرة ميسورة الحال، وتعتبر من عوائل فلسطين المعروفة والدها خريج الجامعات الأمريكية، وكان يعتبر الرجل الثاني في حكومة الإنتداب البريطاني كمسؤول الزراعة لعموم فلسطين، ولاحقًا شغل منصب وزير الزراعة بحكومة سعد جمعة سنة 1967.

بدأت حياتها التعليمية في مصر في المدرسة الألمانية/ راهبات الكاثوليك، ثم تابعت دراستها في الجامعة الأمريكية كلية بيروت للبنات وحصلت على درجة البكالوريس تخصص لغة وأدب انجليزي وتخصص فرعي تربية ودراما، لاحقًا عادت لتستقر في وطنها ومسقط رأسها فلسطين، حيث عملت كمدرسة في معهد معلمات رام الله، ثم حصلت على منحة دراسية لتفوقها لإكمال دراستها في بريطانيا مبعوثة من المجلس البريطاني الثقافي حيث حصلت على دبلوم عالٍ في اللغة الانجليزية الحديثة وكان جزء من دراستها في مجال الدراما.

وعملت هالة في ملاك وزارة التربية والتعليم كعضو لغة انجليزية/ مسؤولة امتحانات ومناهج من سنة 1968 ـ 1970، وفي عام 1970 تزوجت وسافرت للسعودية وهناك قامت بتأسيس أول نظام للطفولة المبكرة في الرياض "مدارس الرياض"، وبعد ذلك غادرت بمعية زوجها للعمل في أمريكا وهناك تابعت مسيرتها التعليمية حيث حصلت على درجة الماجستير في مجال نمو الطفل ونمو الأسرة، ثم تابعت الدراسة وحصلت على درجة الدكتوراه في علم إعداد المناهج والإشراف التربوي والتدريب في حقل الطفولة المبكرة عام 1982 حيث جمعت بإصرارها وعزيمتها القوية ما بين العمل كمساعدة تدريس في نفس الجامعة/ جامعة ولاية يوتا وكطالبة بذات الوقت.

ولدى عودتها للأردن عملت في مجلس التعليم العالي كمساعدة لتأسيس وزارة التعليم العالي حيث كانت مسؤولة عن الأبحاث للكليات العليا في الجامعات والكليات لمدة سنتين، وخلال ذلك الوقت تلقت عرضًا من اليونسكو للسفر والعمل في السعودية حيث تعرفت هناك على الدكتور فريدة العلاقي "مستشارة برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الانمائية لقطاع الطفولة والمرأة"، ومن ثم تم تعيينها في برنامج

الخليج العربي للعمل في كل منطقة الخليج حيث تنقلت للعمل في تلك البلاد وقامت بتأسيس فروع فيها ومنها البحرين، قطر، دبي وعُمان واستمرت بالعمل هناك لفترة ما بعد حرب الخليج.

وبعد هذه الجولة العملية في البلدان العربية عادت مرة أخرى للأردن وعملت بشـــكل مســـتقل إلى أن تم تعيينها في مؤسسة نهر الأردن كمديرة لِـ "برنامج حماية الطفل" واستمرت بالعمل مع مؤسسة نهر الأردن لعام 2005 بعد أن تقدمت باستقالتها من العمل في المؤسسة.

أما على صـــعيد كيفية توظيف الدراما في عملها وخاصـــة أنها كانت تتعامل على الأغلب مع قطاع وقضـــايا الطفولة، فقد عملت على ابتكار العديد من الطرق والوســـائل التعليمية بحيث يصـــبح " التعليم الممتع" للفئات التي تتعامل مع قضـــايا الطفولة وخاصـــة ما يتعلق بالاســـاءة للطفل، ومن أبرز تلك الابتكارات "شـخصـية سـلحوف" استنادًا إلى السـلحفاة التي تقضـي عمرها تحمل بيتها على ظهرها طوال الوقت لحمايتها والاحتماء به كلما شـــعرت بخطر ما يتهددها حيث تســـارع للدخول إليه طلبًا للنجاة والأمان، تلك هي الفلســفة التي قامت عليها لعبة ســلحوف التي اســتخدمت في برامج التوعية والتثقيف وبناء القدرات والمهارات المعرفية لجمهور المتلقين.

قالت الدكتورة هالة في مقابلات ســابقة معها : "إن اقصـــى غاياتي في تلك المرحلة كانت العمل الدؤوب على منع الإســـاءة قبل وقوعها بمعنى التركيز على الدور الوقائي، وايضـــا قمت بالعديد من الدراســـات والابحاث وتأليف القصـــص الهادفة تختص بمعالجة قضـــايا الطفولة ، وتم اعتمادها كوســـائل تعليمية لعدد من الجهات ذات الإهتمام والاختصاص المشترك ".

كانت الدكتورة حماد متيقنه أن النجاح في عالم الوقاية من العنف والإساءة ضد الأطفال سيؤثر بالتأكيد على خفض درجات الاســـاءة والعنف بشـــكل لافت لذلك تابعت تلك الجهود في هذا المجال بإقتراح تنفيذ برنامج بعنوان "بيت صغير"، حيث تم تصميم هذا البرنامج الإعلامي والذي بث لمرات متتالية على شاشة التلفاز الرســمي بشــكل يخاطب فئة الآباء والشــباب المقبلين على الزواج ليكتســبوا المهارات والمعارف اللازمة لمعنى تطور الطفل ونمائه من لحظة الحمل به، والمقصـــود من هذا البرنامج كان وقاية الأطفال وحمايتهم من ســوء التربية والتعامل الذي قد يقع في الحيز الخاص جدًا من أقرب الناس للطفل وأكثرهم ملاصقة له كالأب، الأم، الأخ والأقارب.

وكانت الدكتورة هالة حماد قد تقمصـــت في هذا البرنامج دور الجدة المحبة المتفهمة صـــاحبة الخبرة وليست المنظرة، ومن هنا جاء نجاح هذا البرنامج الذي تكرر عرضـه أكثر من أربع مرات، هذا البرنامج كان يحمل الكثير من الرسـائل للوالدين والأسـرة والأشـقاء ولكل المجتمع بأن التربية بالمحبة هي التربية

الفضـــلى وأن التأديب الذي قد يلبس ثوب التعذيب أحيانًا هو الطريقة المثلى أيضًـــا لتربية فاشـــلة ونتاج فاشل وبالتالي مجتمع يتصف بالعنف والقسوة.

ومن أبرز التحديات التي واجهتها الدكتورة هالة خلال مسيرتها المهنية عدم التفهم أو ضعف التفهم أحيانًا لبعض الطروحات التي تبنتها في هذا المجال والتي بدت لها وكأنها تطرح أحجيات عصية على الفهم من البعض وهذا كان يشـــعرها بحالة من الاغتراب عن المجتمع ولكن هذا لم يمنحها إلا القوة وزادها إيمانًا وثقة بصـــحة ما كنت تدعو إليه في مجال العمل مع قطاع الطفولة وقضـــاياها الإنســـانية وخاصـــة فيما يتعلق بالعنف والاساءة للأطفال والتي تشكل معولًا لهدم المجتمع.

اعتقد البعض ان الدكتورة حماد تدعو للتغريب من خلال طروحاتها وهذا أيضًـــا ليس صـــحيحًا بل هي دعوة للعودة لأصـالة فكرنا وقيمنا التي تنسجم مع روح الأديان السماوية، وواجهت باستغراب من يعملون في هذا الحقل ولديهم تحيزات طبقية وعرقية مبنية على توقعات مسبقة حول بعض الشرائح المجتمعية من الأطفال ومنهم "أطفال الغجر"، حيث يسئ البعض قصدًا أو بغير قصد خلال التعامل مع هذه الفئة وهذا أغرب ما واجهت الدكتورة ممن يعملون في هذا المضـمار ، والذي يفترض انهم يعون هذا الدور وهذه الرسالة الإنسانية وأن الجميع سواسية ولهم نفس الحقوق بدون أية اعتبارات للفئة، أو الدين، أو العرق، أو الطبقة، أو الوضع الاجتماعي أو الجنس.

من أقوالها أن "جل ما كنت أخشـــاه خلال عملي أنني كنت أخاف من فيض أمومتي التي تشـــكل طوق حماية ونجاة لمن عملت معهم وخصـوصًـا الأطفال المسـاء إليهم باعتمادهم علي، في حين كنت أسـعى لأن يعتمدوا على أنفســهم بمســاعدة الآخرين وليس بالاعتماد عليهم، فأنا لســت نادمة على شــئ عملته خلال عملي لطالما أحببت ما أعمل وعملت ما أحببت دومًا وكنت أبذل قصارى جهدي دائمًا وحرصت دومًا على العطاء بلا حدود وبلا قيود وأن هناك من سيأتي ويكمل المسيرة حتمًا".

كسر المألوف

السيدة/ هناء الأفغاني

ولدت هناء الأفغاني في عمان بشارع المهاجرين بتاريخ 2/ 2/ 1963 لأسرة مكونة من 4 بنات و4 ذكور، والتحقت في طفولتها بالمدارس الحكومية في حينه لغاية الصف الخامس، وانتقلت العائلة خلال هذه الفترة إلى ليبيا للعمل والعيش هناك حيث كانت تسكن عائلة والدتها الليبية الأصل، وهناك أكملت دراستها ومن ثم التحقت بجامعة بنغازي.

وتعود أصول هناء لأفغانستان حيث كان أجدادها من الحجاج العابرين لبلاد الشام لأداء مناسك الحج في الزمن القديم، وكان من المسلمات قديمًا ضرورة تقديس الحج بمعنى زيارة مدينة القدس في فلسطين والقيام بالشعائر الدينية المطلوبة والتي كانت تعرف بتقديس الحج، وهناك في فلسطين استقر أحد أجدادها واستوطن بل وقام بالزواج من ابنة إحدى عائلات مدينة الخليل، وعمل وسكن في فلسطين فترة من الزمن، ثم انتقل للأردن للعيش والعمل، وهكذا استقرت العائلة في مدينة عمان منذ ذلك الزمن.

وهناء الأفغاني من أبرز العناصر النسائية التي عملت في القطاع الشرطي لخدمة استمرت 33 عامًا، تنقلت بين عدة مواقع وظيفية وتركت بصمة أينما عملت بفضل مهنيتها العالية وحسن إدارتها ومثابرتها وحرصها الشديد على تطوير آليات العمل وتوطيد العلاقات مع الجميع وبين الجميع، حتى مع تلك الفئة من النساء اللواتي كن في نزاع مع القانون في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجويدة.

وفي احدى الأمسيات الرمضانية في مركز إصلاح وتأهيل النساء الجويدة بعد أن تم نقل هناء الأفغاني لموقع آخر، تكرر سؤال عدد من النزلات عنها إما للرغبة في مشاهدتها والسلام عليها في تلك الأمسية الرمضانية أو لطلب خدمة أو استشارة منها كما تعودن خلال فترة خدمتها كمديرة لمركز تأهيل وإصلاح النساء/ الجويدة، بالإضافة إلى تلك التحيات والهتاف باسمها خلال تصفيق الحضور خلال الحفل، وذلك يدلل على حسن التعامل والعلاقات الجيدة والمؤثرة والتي دعت النزيلات للهتاف باسمها خلال الإحتفال المذكور رغم علمهن أنها نقلت لموقع آخر.

كما حرصت هناء خلال مسيرتها المهنية على بناء علاقات مهنية متميزة قائمة على الإحترام المتبادل مع الرؤساء وزملائها وزميلاتها وكل من كان له علاقة أو معرفة ما بها في اطار من الإحترام المتبادل،

فالجميع يشهد لها بحسن الأداء والاخلاق الحميدة، وليس أقلها النزاهة والعمل الدؤوب والسيرة الحسنة على مدار خدمتها في هذا المجال والتي استمرت حتى تم ترقيتها لأعلى الدرجات الوظيفية في عملها الشرطي.

الدراسة ومراحلها

تقول هناء الأفغاني: "منذ طفولتي اتطلع نحو حياة مختلفة نشطة فاعلة وأردت دومًا ان أحفر اسمي في كل محطة أعبرها، وجاءت الفرصة لي بترك بصمتي في كل الأعمال والمهام والمواقع على اختلافها والتي تقلدتها خلال مسيرتي المهنية والتعليمية".

وتتابع هناء: "ميولي منذ البدايات كانت لدراسة اللغات، لكن توجهات أسرتي كانت باتجاه دراسة علم الاجتماع لقناعتهم بالاتجاهات والتخصصات ذات البعد الإجتماعي، وأنه ستكون لي فرصة أكبر للعمل في هذا المجال أكثر من أي تخصص آخر، بالنتيجة اضطررت لدراسة علم الاجتماع".

وتضيف: "كنت أول بنت للعائلة بما فيهن الخالات والعمات تدخل الجامعة وذلك لأن عائلتي من العائلات التقليدية والمحافظة جدًا، وكان والدي رحمه الله الداعم الأكبر لي لمتابعة الدراسة والعمل وهو من دفع بي للعمل في السلك الشرطي، وهو بالمناسبة كان يعتبر كسرًا للمألوف في العائلة واتجاهًا مختلفًا لتوجهاتها التي ترى أن الأنثى مكانها البيت والعائلة والزواج وهو الاتجاه المألوف والمقبول لدى أغلبية المجتمع وليس عائلتي فقط في ذلك الوقت".

وتواصل هناء روايتها عن تلك الفترة: "واجهتني الكثير من المصاعب والتحديات والعقبات خلال مسيرتي التعليمية في ليبيا، فقد كان مكان سكن عائلتي يبعد كثيرًا عن الجامعة حيث كنت أدرس، بحيث كنت أتنقل بالطائرة، لذلك كنت أزور عائلتي كل 3 أشهر لبعد المسافة ونحن داخل بلد واحد، فتلك المرحلة في ذلك الوقت وفي بلد الاغتراب لم تكن أبدًا بالمسيرة السهلة ولكنني تجاوزتها بكل اقتدار، رغم أن عائلتي اضطرت للعودة للأردن وكنت بالسنة الثالثة لذلك بقيت لوحدي في ليبيا لحين إكمال الدراسة ثم عدت والتحقت بالعائلة".

هناء الأفغاني ومسيرتها المهنية

التحقت هناء الأفغاني بالعمل في الشرطة النسائية مباشرة بعد تخرجها من الجامعة وعودتها من ليبيا وكذلك التحقت شقيقتها معها بنفس الدورة، إلا أن شقيقتها لم تكمل مسيرتها المهنية، وذلك لإصرارها على ارتداء الحجاب، ففي ذلك الوقت كانت تعليمات مديرية الأمن العام وأنظمته تمنع ارتداء الحجاب على منتسباته.

وفي هذا السياق تقول هناء: "تم استدعاء أختي من قبل مدير إقليم العاصمة ومدير الأمن العام في ذلك الوقت لثنيها عن قرارها بالتمسك بارتداء الحجاب والذي كان مخالفًا للأنظمة والتعليمات في حينه، لكنها

أصرت على موقفها فتم صرف مكافأتها وتم إنهاء خدمتها الشرطية في ذلك الوقت، وطبعًا لاحقًا لذلك تم تغيير تلك الأنظمة ولم يعد الحجاب مانعًا من العمل في القطاع الشرطي، وجاء قرار الحجاب لمن ترغب من منتسبات الأمن العام لاحقًا من خلال تدخل سمو الأميرة عائشة التي عملت على إقرار قبول الحجاب لمنتسبات الجيش، ومن ثم تم قبول منتسبات الأمن العام المحجبات، ولم يعد الحجاب مانعًا من العمل في هذا القطاع".

وتروي هناء مسيرة تعيينها في الأمن العام: "جاء تعييني للعمل في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجويدة والذي كان يسمى في ذلك الوقت سجن النساء، لكن مديرة الشرطة النسائية في حينه حسنية شاهين أصرت على التحاقي بالعمل في معهد الأميرة بسمة لإعداد وتأهيل الشرطة النسائية وكان ذلك عام 1987".

واستمرت بالعمل بالشرطة النسائية لغاية ترفيعها لرتبة نقيب ومن ثم تم نقلها للعمل في مركز إصلاح وتأهيل النساء وكانت مديرة المركز في حينه ابتسام الضمور، ولاحقًا لذلك تم تعيينها كمديرة لمركز الإصلاح والتأهيل واستمرت بالعمل به لمدة طويلة تجاوزت 11 عامًا.

وتقول عن هذه المرحلة: "خدمتي لمدة 11 عامًا في مركز إصلاح وتأهيل النساء تعتبر طويلة، فعادة ما تكون هناك تنقلات كثيرة ولا يستمر البقاء في نفس الموقع هذه المدة الزمنية، فقد كنت شديدة الحرص على عدم وقوع أية مخالفات أو أخطاء أو حتى التغاضي عن أية ممارسات أو سلوكيات مخالفة للأنظمة والتعليمات سواء على الصعيد الشخصي أو الكادر الذي يعمل معي أو حتى النزيلات ، كنت أتحرى الصدق والنزاهة والعدالة مع الجميع وللجميع، وأعتقد كان هذا أحد أبرز الأسباب وراء بقائي بنفس الموقع لمدة طويلة وهو ما كان ليس سائدًا في عملنا الشرطي، فدومًا هناك حركة تنقلات مستمرة".

وتخلل تلك الفترة الطويلة من العمل كمديرة لمركز إصلاح وتأهيل النساء حصولها على منحة الماجستير ومن ثم عادت لنفس الموقع والعمل، وكانت حينها أول واحدة تلتحق ببرنامج الماجستير في عهد مازن القاضي الذي كان مديرًا للأمن العام في حينه، لاحقًا لذلك أصبحت هناء نائبًا لمدير العلاقات العامة، وبعد ذلك تم إعادتها لإدارة مركز إصلاح النساء مرة ثانية لغاية 2011/9/25، ولاحقًا لذلك صدر قرار تعيينها كمديرة للشرطة النسائية وبقيت تعمل في نفس المجال لحين صدور قرار بإحالتها على التقاعد بتاريخ 2018/8/3، علما بأنها أول امرأة تصل للرقم 7 من حيث الأقدمية للنساء والرجال معًا العاملين في سلك الأمن العام.

وتقول عن نهاية خدمتها في الأمن العام: "كان من المفروض والعدالة المهنية وفقًا للقانون أن يتم ترقيتي لأصبح مساعدًا لمدير الأمن العام بحسب الأقدمية، لكن شاءت الأقدار وبتوجهات مسؤول ما بعيدًا عن العدالة والنزاهة والقدرات ومسيرتي المهنية المميزة الخالية تمامًا من أية مخالفات الذي قرر بحكم موقعه

الوظيفي أن ينسب باحالتي للتقاعد، وأعتقد أن المسألة بشكل أو بآخر هي تمييز مبني على الجنس بغض النظر عن المواقع التي شغلتها، وللأسف ما زال البعض لا يرى أن النساء قادرات على الوصول لأعلى المناصب".

وتتابع الحديث عن إحالتها على التقاعد: "تمت إحالتي على التقاعد وما زلت في أوج عطائي وقدراتي وكفاءتي، وبكل ثقة أقول أمتلك من القدرات المهنية والتعليمية والجسدية والعقلية والمهارات ما يمكنني من إدارة أعلى المواقع والمناصب، علما بأن مسيرتي المهنية تجاوزت 33 عامًا في هذا القطاع، لذلك اردد دائما ليس هكذا تورد الإبل، وأيضًا ليس من المعقول أنني أحسنت إدارة مرفق شرطي مهم بحيث كنت مسؤولة عن ما يقارب 5 آلاف شخص في مختلف المحافظات، وأحتل رقم 7 من حيث الأقدمية على النساء والرجال ويتم إحالتي للتقاعد بحيث أحرم من منصب وظيفي هام كان سيغير الكثير في حيثيات حياتي الوظيفية والشخصية".

مبادرات تبنتها أثناء مسيرتها العملية

بادرت هناء الأفغاني خلال مسيرتها العملية بمختلف المواقع بالعديد من المبادرات التي كان لها عظيم الأثر على العمل والعاملين بل والمنتفعين بنفس الوقت.

ومن هذه المبادرات تقول هناء: "خلال عملي بمركز إصلاح وتأهيل النساء بالجويدة، كنت شديدة التفهم والتعاطف مع الموظفات وظروفهن الأسرية كأمهات عاملات ومع النزيلات أيضًا، لقناعتي أن أغلبهن لسن مجرمات أومحتالات أومخالفات القانون بطبعهن بل هناك جملة من الظروف الحياتية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية وعوامل تنشئة أسرية متباينة قد غررت بهن ودفعتهن لمخالفة القانون، ومن ثم وجدن أنفسهن خلف القضبان منسيات من أسرهن ومجتمعهن، بل هنّ مدانات للأبد يعانين من الوصم الاجتماعي الذي سيرافقهن معظم حياتهن ويترك ظلاله السوداء عليها، تلك النساء المنسيات خلف القضبان في عتمة سجن المجتمع وعتمة السجن".

ومن أبرز تلك المبادرات التي قدمتها هناء الأفغاني أيضًا السعي الدائم لتحسين ظروف النزيلات وإقامتهن وحياتهن وتعزيز تواصلهن وإتاحة كل الفرص لذلك خصوصًا من الأسر، ومنها تشجيعهن للعمل واكتساب المهارات وتعزيز معارفهن المهنية والمعرفية حسب الموارد المتاحة، وكان تركيزها على ضرورة تعلم الحرف التي ستؤمن لهن نوعًا من الدخل يقيهن من العوز والفقر والوقوع في شر الحاجة.

وأسست هناء حضانة لأبناء العاملات "الشرطيات" أسوة بالنزيلات وهو حق لهن أن يشعرن بالآمان على أطفالهن خلال أداء عملهن.

وتقول هناء بهذا الخصوص: "صحيح شاءت الأقدار أن أحرم من الأمومة لكن إحساسي عالٍ جدًا بمعنى الأمومة واحتياجاتها وطبيعة حساسية هذا الدور الفطري والمقدس، لذلك قمت بتخصيص مكان كحضانة لأطفال العاملات والذي تم لاحقًا تطويره وتأهيله ليكون أكثر ملاءمة بناء على تعاون بعض الرؤساء في حينه، بالإضافة لتأسيس بعض المشاغل الحرفية للارتقاء بالتعليم المهني لأهميته وضرورته بذات الوقت للنزيلات واللواتي هن بأمس الحاجة لمصدر دخل يكفيهن شر العوز والفقر داخل المؤسسة السجنية وخارجها حين يتم الإفراج عنهن وانتهاء مدة محكوميتهن". كما عملت هناء خلال عملها على تأسيس مختبر لغات وبذلت الكثير من الجهد لإنجازه من خلال المرور عبر القنوات القانونية والأنظمة المرعية.

قصص علقت بذاكرتها

وتستذكر هناء الأفغاني مواقف علقت بذاكرتها خلال مسيرتها العملية في مركز إصلاح وتأهيل النساء: "من الصور والمشاهد الإنسانية التي تجرح الإحساس والمشاعر الإنسانية وتحزنني بذات الوقت، كان ذلك المشهد الذي يتكرر خلال مواسم الأعياد، حيث كانت الزيارات في البدايات تتم من خلال الشبك، وكان من تلك المشاهد محاولة الأمهات والأطفال لمس أيادي ووجوه بعضهم البعض من خلال الشبك في محاولات يائسة للتعبير عن فيض المشاعر والرغبة باحتضان الأم لطفلها أو الطفل لأمه، لذلك سعيت بشكل دائم للزيارات المباشرة وخاصة في المناسبات والأعياد لإعطاء فرصة إنسانية للتعبير الإنساني الطبيعي عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية الفطرية وخاصة للأمهات، إضافة إلى توفير الهدايا والألعاب لتقريب المسافات بين الأطفال والأمهات وتعزيز العلاقات الحميمية بينهم، ولأنني على ثقة بأن الإنسان لا يولد بطبعه مجرمًا بل هي الظروف التي تختلف من قضية لقضية، ولأن خلف كل نزيلة ألف حكاية".

ولإيمانها بدور المجتمع المدني ومنظماته المختلفة وخاصة تلك التي لا تنسى المنسيات خلف القضبان كانت تعمل على تسهيل تواصلهم مع النزيلات والمؤسسة السجنية بما يتفق مع الأنظمة والمعايير المرعية، وكان كل ذلك يتم في طور تسهيل المهمات وتقديم يد العون والمساعدة، علمًا بان الكثير من القضايا كانت تحل بمجرد تدخل مهني سليم من بعض تلك المنظمات.

وساعدت هناء بتسهيل الكثير من الظروف لبعض النزيلات اللواتي يرغبن بمتابعة الدراسة وتأمين الأجواء الملائمة للدراسة، وأحيانًا كنت استعين ببعض الضابطات اللواتي يمتلكن إمكانية التعليم من حيث التخصص والمهارات لمساعدتهن في التحصيل الدراسي، وكانت تلك الضابط مكلفة بمساعدة كل واحدة منهن تحتاج لهذا النوع من الدعم الدراسي.

ومن المواقف التي عايشتها هناء خلال مسيرتيها المهنية الكثير من حالات الندم الشديد والتوبة الصادقة لبعض من ارتكبن جرائم مروعة بحق أنفسهن وحق المجتمع.

وتقول: "ومن تلك الحالات تلك الأم التي أقدمت على قتل حماتها وطفلتها بشكل بشع خلال نوبة ذعر سيطرت عليها وكانت هي بالأساس ضحية زواج مبكر جدًا وغربة مكانية وعنف ممنهج يُمارس عليها من حماتها كما ورد في اعترافاتها، تلك الأم تخلع قلبك من شدة تألمها وندمها وقهرها وحرمانها، فحرصت دومًا على التعامل معهن كبشر وليس على أساس بشاعة افعالهن الجرمية لأن تلك هي وظيفة القضاء ووظيفتي الاحتفاظ بهن".

تكريم ملكي

نالت هناء العديد من التكريمات من جهات رسمية ومنظمات مجتمع مدني وتقول: "من أبرز تلك التكريمات التي أثلجت صدري كان تنسيبي لاستلام وسام الاستحقاق من جلالة المغفور له الملك حسين بن طلال وأيضا تنسيبي لاستلام وسام آخر من جلالة الملك عبدالله الثاني وكنت الوحيدة التي حصلت على هذا الوسام من النساء وهذا مصدر فخر واعتزاز كبير بالنسبة لي، كذلك كرمت من دولة الإمارات العربية المتحدة ومن مديرية الأمن العام أكثر من مرة، وأيضًا تم تكريمي من عدد من منظمات المجتمع المدني بمناسبات مختلفة، أيضًا تم تكريمي من خلال عدة إيفادات للنساء المتميزات في الأمن العام ومنها على سبيل المثال؛ إيفادي للمشاركة في برنامج الزائر الدولي/ أميركا، وأيضا إيفادي للسويد والمانيا والجزائر والبحرين ومصر وهذا اعتبره نوعًا من التكريم والترشيح على أساس الكفاءة".

كلمة أخيرة للنساء

لا تجاملي أبدًا في أي مجال على حساب القيم أو المعايير الأخلاقية، لأنك ستدفعين الثمن لوحدك لا محالة، وأيضًا أحبي بلدك وأهله ومن يقيمون على هذا التراب العزيز لأنهم هويتك وجزء أصيل من كينونتك، واختم، المرأة الأردنية إن أعطيت الفرصة فهي حتمًا ستصنع المعجزات مهما كانت لأنها تمتلك القدرة على إحداث التغيير دومًا نحو الأفضل.

قلب من ذهب

السيدة/ هيفاء البشير

هيفاء البشير قصة عطاء بلا حدود للأسرة والمجتمع ولكل من عرفها، فهي امرأة من فولاذ بصبرها وصمودها ونتاج عملها، وتمتلك فيضًا من الأمومة المعطآءة، مستثمرة مختلفة مميزة في الحيز العام والحيز الخاص، وتمتلك إرادة ورؤية ثاقبة لما تريد، لذلك عملت كثيرًا وأنجزت كثيرًا وهي تستحق الوقوف إجلالًا لها كما حدث معها في نادي التوست ماستر حيث وقف جميع من في القاعة احترامًا واجلالًا لها قبل أن تعلن هيئة التحكيم فوزها كما جرت العادة، اختارها الجمهور قبل أن تختارها لجنة التحكيم.

وهيفاء هي الابنة الصغرى لعائلة مكونة من ثلاثة أولاد وثلاث بنات، ولدت في مدينة نابلس، وتعتبر عائلتها من الطبقة الوسطى حيث كان يمتلك والدها ورشة نجارة يعمل فيها، أما والدتها فهي مدبرة منزل من الطراز الرفيع وتدير شؤون أسرتها بحكمة بالغة وتتمحور رؤاها حول العائلة واحتياجاتها وكيفية تدبير شؤون العائلة بأفضل الأحوال.

وأولت عائلة هيفاء البشير أولوية قصوى للتعليم لأنها أدركت منذ البدايات أهمية التعليم والمعرفة والثقافة في حياة الفرد عمومًا، لذلك حرصت أسرتها على أن تنال حقها من التعليم في ذلك الوقت على الشكل الأمثل والمتاح حيث كانت البلاد ترزح تحت ثقل الانتداب البريطاني وبدايات الصراع العربي الفلسطيني الصهيوني.

طفوله حزينة وأحداث حفرت في ذاكرتها

وتروي هيفاء مراحل طفولتها: "لم أعش طفولة سعيدة أبدًا بعدما فقدت والدي في سن مبكرة من عمري، وتولت والدتي وأخي مسؤولية العناية بي، فقد غمرني أخي بفيض من مشاعر الأبوة والأخوة والبنوة معًا، بعد أن تركني والدي مبكرًا وذهب للقاء ربه حسبما أفهمتني والدتي في ذلك الصباح الحزين والذي ما زال محفورًا بذاكرتي حتى بعد مرور تلك السنوات الطويلة".

وتضيف: "لا أتذكر من طفولتي سوى بعض المشاهد والصور، غادر والدي وغادر معه الفرح، أما والدتي فقد كانت امرأة جادة، حازمة، عطوفة وكتومة، أميل للصمت خصوصًا أنها فقدت اثنين من أشقائها في حرب السفربرلك وهي حرب كانت قلما يعود منها المحاربون، وأخوالي ذهبوا ولم يعودوا أبدًا ولم نعد نسمع

عنهم شـيئًا، لذلك عندما كبرت أدركت ذلك الحزن العميق الذي يسـكن عيون أمي ونظراتها وتفهمت ذلك الصـمت المهيب الذي تجذر بموت أخي الذي ذهب ليحضـر لنا سـلة من الصـبر والتين من مزرعة لنا بعيدة على أطراف القرية وعاد محمومًا من ضربة الشمس والمشي لساعات لم يكن ليتحملها جسده الغض وهو لم يكن يتجاوز في حينه 13 عامًا، وبعد أيام قليلة من مصـــارعة الحمى ارتقى إلى بارئه ولحق بوالدي وأخوالي".

وتتابع هيفاء: "لا أتذكر أنني عشت كالأطفال أو أمتلكت ألعابًا، أو كان لي أقران أجاريهم في استحقاقات الطفولة وحاجاتها، لا أميل إلى المرح واللهو كما يميل الأطفال، لذلك كنت منذ صـــغري مختلفة عن الأطفال قد أدخل شرنقتي لساعات لا أغادرها، والذي أتذكره هو مشاركاتي رغم صغر سني بتأدية بعض الواجبات أو الطقوس الاجتماعية والدينية مثل مرافقة العائلة إلى المسجد في الأعياد للمشاركة والاستماع لصـــلاة العيد أو المشـــاركة في اللقاءات التي يُحتفل فيها بالمولد النبوي الشـــريف، ولعل من الذكريات المبهجة لي في تلك المرحلة من العمر هو مرافقة والدتي لحمام الســـوق أســـبوعيًا، وكانت زيارة الحمام فسحة عظيمة عند النساء، حيث يأخذن معهن ما لذ وطاب من الأطعمة والمأكولات وبالطبع كانت تتخلل ذلك الأهازيج والغناء، ونحن الصغار كانت لعبتنا المفضلة التراشق بالمياه".

وهنا تتنهد هيفاء مسـتحضـرة ذكريات لا تنسـى وتقول: "تلك ذكريات جميلة لكنها عابرة في زمن الحرب والاضـــرابات والغليان الشـــعبي وحالة التضـــييق على حياة الناس ومعاشـــهم من البريطانيين الذي كانوا يداهمون البيوت في نابلس ويعيثون فيها فسادًا بحثًا عن الثوار ويقلبونها رأسًا على عقب ويدمرون كل ما تصـل إليه أيديهم، وطبعا كانت هذه المشـاهد مرعبة للكبار فكيف للصـغار ونحن نرى تلك البنادق موجة لصدور أهالينا مهددة أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم" .

ولا تنسـى هيفاء في تلك المرحلة من عمرها تلك النداءات عبر مكبرات الصـوت من الإنجليز التي كانت تدعو الأهالي للنزول للساحات العامة ليقتادوا الشباب للاعتقال بدعوى المقاومة أو الانضمام للثوار.

وفي هذا السـياق تقول: "كان أهل المدينة يلبسـون العقال والحطة وهو لباس أهل القرى الشـعبي التقليدي وأهل المدينة يلبســـون الطربوش، وكان الاعتقاد الأغلب عند الإنجليز أن كل من يلبس حطة وعقال هو من الثوار المقاومين للاحتلال فكانوا يســـارعون لاعتقاله وتعذيبه حتى لو لم يكن من الثوار، وما أتذكره أن أهالي البلدة قرروا كنوع من التضـــامن مع هؤلاء الثوار خلع الطربوش وارتداء الحطة والعقال حتى يصبح الكل سواسية ولا يكون فقط أهل القرى هم المستهدفين، وكان كل من أصر على ارتداء الطربوش خائنًا وغير متضـامن مع الثورة التي بدأت في عام 1936 واستمرت لمدة ستة أشـهر تعطلت فيها الحياة العامة وأصـبح الناس يعانون من ضـنك العيش وشـح المواد الغذائية، وهنا بدأت الحرب العالمية الثانية

التي انتهت بهزيمة الألمان وترسخ الانتداب البريطاني على فلسطين ومن ثم تسليم فلسطين للعصابات اليهودية".

ومما تتذكره هيفاء عن تلك الطفولة وتلك المرحلة مداهمة الإنجليز في أحد الأيام لمنزل مجاور لمنزلهم يعود لعائلة عرفات وهو منزل مبني من الحجارة الكبيرة كالقلاع ولما وجدوا به بعض الرصاصات قاموا بنسف المنزل، معتبرين أن سكانه من الثوار ومن الذين يقاومون السلطات البريطانية وما هي إلا لحظات حتى دوى صوت الإنفجار مزلزلًا أركان ذلك البيت العريق الجميل بل زلزل أيضًا أساسات البيوت المجاورة من قوة الانفجار وامتلأت السماء بالغبار وارتفعت العيون الباكية وأيادي الأهالي للسماء متضرعة برد ذلك البلاء.

التحصيل العلمي وبدايات الحياة العملية

أما عن التحصيل العلمي لهيفاء البشير فتقول: "اعتبر أن أجمل أيام حياتي كانت أيام الدراسة رغم كل المعاناة والصعوبات التي رافقت مسيرة تحصيلي العلمي، وليس أصعبها في ذلك الوقت التنقل الذي كان على الأغلب سيرًا على الأقدام، فلم تكن هناك مواصلات كما هي الحال الآن، وفي أيام الصيف والحر الشديد كنا نحمل شمسيات تقينا الحر كما تقينا المطر في فصل الشتاء، بالإضافة لعدم توفر الكهرباء أيضًا في أغلب الأحيان نتيجة الانقطاع الدائم بسبب الأحداث والصراع الدائر في فلسطين، فقد دخلت إلى المدرسة في سن أصغر من المعتاد لذلك واجهتني في البداية بعض الصعاب لكنني اجتزتها بفضل معلماتي ذوات الكفاءة والقدرات المتميزة خصوصًا بالتعامل مع الأطفال وقدراتهم واحتياجاتهم ".

وفي عام 1946 أنهت الصف الثالث الإعدادي وكان حينذاك نظام التعليم الإنجليزي يخصص بعثات لدار المعلمات في القدس للبنات أو دار المعلمين للشباب، ويتم اختيار الطلبة المتفوقين لذلك الابتعاث الدراسي، وكانت مدرستها تسمى العائشية.

وتذكر هيفاء أن مديرة المدرسة آنذاك كانت تدعى "مس هاكر" وهي إنجليزية جاءت وسألتها عدة أسئلة لبعض الفتيات ثم ذهبت، وبعد ذلك بأسبوع وردتها رسالة تخبرها انه تم قبولها في بعثة دار المعلمات في القدس وكانت مدة الدراسة 5 سنوات لاعتبارات تتعلق بعدم وجود مدارس ثانوية في عموم مدن فلسطين في ذلك الوقت، لذلك كان يضاف للمدة الدراسية عامين إضافيين فتصبح المدة 5 سنوات بالمجمل.

وتقول هيفاء البشير: "تم تعييني كمعلمة في نابلس على ملاك وزارة المعارف براتب 18 دينارًا شهريًا، وفي البداية تم تعييني كمعلمة متنقلة بين المدارس لتغطية مكان المعلمات المجازات وبعد ذلك تم تعييني كمعلمة ثابتة في المدرسة العائشية، وكنت معلمة مجتهدة كثيرًا فقد كنت أميل لتدريس المواد الأدبية وقد قمت بتحويل بعض الروايات التي قرأتها آنذاك إلى مسرحيات بمشاركة الطالبات، وقمنا بعرضها على

الناس لقاء تذاكر مدفوعة تبرعنا بها في ذلك الوقت للاتحاد النسائي الذي كانت رئيسته السيدة عندليب العمد".

وتضيف: "خلال قيامي بالتعليم كنت أجمع التبرعات وأقوم بتغطية ما تبقى من راتبي والذي بدأ بستة دنانير شهريًا للطالبات المعوزات، حيث كان يطلب من كل طالبة دفع رسوم مدرسية 25 قرشًا، وطبعًا كانت بعض الطالبات الفقيرات يعجزن عن دفع هذا المبلغ مما قد يتسبب في فقدانهن لحقهن بالتعليم، وكنت أدرك مخاطر ذلك على الطالبات والمجتمع معًا لذلك شكلت لجنة تتوكل بجمع التبرعات من البيوت والأهالي وبعض المتطوعين وكنت إحدى أولئك المتطوعات والملتزمات بذلك".

وفي عام 1951 وبعدما عملت في مجال التعليم عبرت نهر الأردن مرورًا بالسلط إلى عمان للتعزية باستشهاد المغفور له جلالة الملك عبدالله الأول، حيث نزلوا حينها في فندق يدعى "فيلادلفيا" وتوجهوا للديوان الملكي وسجلوا في سجل الزائرين، وتلك كانت إحدى المحطات الهامة التي مرت بحياتي خلال مسيرتي التعليمية.

من نابلس إلى السلط مستقر وزواج

وتقول هيفاء البشير: "لم أكن أعلم حينها أنه سيستقر بي المقام في مدينة السلط التي عبرت منها ذات يوم متوجهة إلى عمان، إذ تزوجت لاحقًا من الدكتور محمد البشير وهو من عوائل السلط المعروفة بحسن الأخلاق والسيرة، عن طريق صديق مشترك له ولشقيقي الذي وصف له تلك الصبية التي تسكن جبال نابلس توأم جبال السلط وكانت القسمة والنصيب، وانتقلت للعيش مع زوجي المرحوم الدكتور محمد البشير في منزل مستقل لبعض الوقت ومن ثم انتقلت والدته للعيش معنا حيث كان والده متزوج من امرأة أخرى وبقينا معا طوال حياتها، عاملتها كابنتها وعاملتني كأم وأمضينا أوقاتًا جميلة معًا".

وتصف هنا مدينة السلط: "يقال إن مدينة السلط هي توأم مدينة نابلس من حيث الجغرافيا، فكانت مدينة دافئة بيوتها حجرية مضاءة بالكهرباء وأهلها أناس طيبون، وكان أكثر ما يلفتني فيهم تلك الرغبة والشوق للتعرّف على تلك العروس القادمة من خلف النهر، بالمقابل كنت دومًا الابنة البارة بهم وعشت معهم تفاصيل حياتي بمحبة كبيرة إنهم أهلي وأهل أبنائي".

وعندما كان يشتد بها الحنين لمسقط رأسها وأمها ومدينتها الأخاذة بكل تفاصيلها وناسها كان الدكتور محمد رحمه الله يرافقها لتلال السلط العالية والمشرفة على جبال نابلس فتقوم هي بالتلويح بيدها قائلة: "سلامًا عليك مدينتي الجميلة سلام لأمي وأخواتي وأهلي وأحبتي وجيراني وسلام لبيوتها وحاراتها وأزقتها وشجرها وحجرها ونسماتها وكل ما فيها، وكنت أظن ان تلك النسمات كانت تحمل بأمانة شوقها وحنينها لتلك الديار الذي لم ولن تغادرها يومًا".

العمل في التعليم في الأردن

وعودة للعمل في قطاع التعليم ولكن هذه المرة في الأردن وتقول هيفاء البشير: "كان العمل ممنوعًا آنذاك على النســـاء المتزوجات، بداية لم أعمل ولكن لاحقًا وفي بداية العام 1965 عُرض على العمل في التدريس للمرحلة الثانوية وبالفعل التحقت بالعمل كمدرسة حيث أرسلت ابني لنابلس لكي تعتني به والدتي ولكن ذلك لم يستمر طويلًا لأنني لم استطع البقاء بعيدة عن طفلي رغم أنني كنت أقوم بزيارته بشكل متكرر، وبقيت أعمل لسنة 1962 حيث فوجئت بقرار نقلي للعمل كمدرسة في مدينة الكرك، وقد جاء هذا القرار من قبل وزير التربية والتعليم حينها الشـــيخ محمد الشـــنقيطي الذي كان يرى في هذا القرار إبعاد للمعلمات المتزوجات للعودة لبيوتهن والتوقف عن العمل فقد كان رحمه الله من أشـد المعارضـين لعمل المرأة والمرأة المتزوجة على وجه الخصوص، وبالفعل توقفت عن العمل المدفوع الأجر وقدمت استقالتي".

محطات تخللها المعاناة والحزن وإثبات الذات

كثيرة هي الأحداث والمواقف التي مرت بها هيفاء وخاصـة بعد فقدان زوجها الدكتور محمد البشير وكان آنذاك وزيرًا للصحة خلال مرافقته لجلالة الملكة علياء طوقان لمحافظة الطفيلة استجابة لنداء مواطن من الطفيلة يشكو سوء الأحوال في مستشفى الطفيلة.

وتروي هيفاء مرحلة من أقســـى محطات حياتها: "بعد فقدان زوجي الســـند والمعيل والحامي والرفيق والحبيب دخلت في دوامة حزن مرير وعشـــت حالة الفقدان بأقســـى صـــورها ومعانيها، وقد أرعبتني الوحدة وثقل المسؤولية ومصـير أولادي في ظل الرحيل بلا وداع والرحيل بلا إنذار والرحيل المفاجئ المفجع، وكان حينها ابني بلال في مرحلة التوجيهي تلك المحطة الفاصلة في المسيرة التعليمية، وكان قد أصـيب بصـدمة شـديدة إثر موت والده المفاجئ، وكيف له أن يجتاز هذه المرحلة وهو بهذه النفسية المحطمة، لهذا استبقت الأحداث وأخذته وسافرت معه إلى بريطانيا بعد أن قدم الامتحان مباشرة دون انتظار النتيجة وسجلته في معهد شروزبيري، وأثناء ذلك وصلنا خبر نجاحه وحصوله على المركز الأول في الكلية العلمية الاسلامية وكنت حينها منهارة تمامًا وذاهلة عن نفسي يلفني سواد الملابس وسواد الحزن، وأحاول أن أخفي حزني بالركض المتواصل لتحصين ابني تعليميًا، وعندما أعود لغرفتي مساء أنهار أمام ذاتي تمامًا، تلك كانت من أقسى أيام عمري".

وفي إحدى المرات دعيت لبازار خيري وكانت تقف بين الطاولات لا تستطيع أن تمنع دموعها من التساقط على مرأى من الجميع، وفجأة لمعت في ذهنها جملة من التساؤولات فكيف لها أن تستمر على هذا الحال ومن سيساعد أبنائها إن عجزت وغرقت في في دوامة الحزن ومن سيتحمل معها الأعباء المادية المترتبة على تعليم ومساعدة ستة أبناء بعضهم ما زالوا أطفالًا.

وفي ذلك اليوم اتخذت قرارًا بإخلاء الفيلا التي بناها زوجها رحمه الله لهم وتأجيرها والانتقال لشقة مجاورة للاستفادة من أجرتها في تغطية كلف تعليم أبنائها، وفعلًا وبفضل تلك الأجرة تابع الأبناء تعليمهم الجامعي في مصر، بل أمنت لهم ملكية شقة في منطقة المعادي لتضع حدًا لمعاناتهم مع المؤجرين بضرورة الإخلاء في فصل الصيف بسبب المردود الأعلى لتلك الشقة.

وهنا تقول هيفاء: "كنت امتلك قطعة أرض بالأغوار حيث علمت أن مصفاة البترول تدعم إنشاء كازية للمحروقات بالعدد اللازمة وحفر الآبار ولكنها تحتاج إلى من يدير تلك الكازية، وبالفعل قمت بإنشاء الكازية وطلبت من ابني الذي كان يدرس الطب في القاهرة أخذ إجازة والعودة والدوام في الكازية لبعض الوقت للاطلاع عليها وعلى كيفية إدارتها، لكي يتمكن لاحقًا من إدارتها بعد الانتهاء من الدراسة لتكون مصدر دخل آخر للأسرة، وتجرأت على أخذ القروض الزراعية والبنكية وقمت بتشجير مزرعة حمضيات في الأغوار وقمت بتربية النحل والأغنام والأبقار وقد نجحت في ذلك بمعاونة ابني عبد الرحمن الذي كان يدرس الطب حيث قام بحقنها وتخصيبها وأصبحت تلد توائم مما زاد في إنتاج المزرعة".

وبعد تلك المحطة من مسيرة الحياة قررت هيفاء العودة مع أبنائها للعودة للسكن في منزلهم القديم في زي لتقوم باستثمار تلك المزرعة المبني عليها البيت، ورغم معارضة الأبناء بداية إلا أنها أقنعتهم، وهناك قامت بتصنيع الأجبان والألبان والزيتون وقامت بتسويق تلك المنتجات بلا غضاضة وكانت تشارك بالبازارات وعرض تلك المنتجات وقد نجحت في ذلك.

وفي محطة جديدة من حياتها خاضت الانتخابات البرلمانية كمرشحة امرأة في الوقت الذي ترشح فيه ابنها عوني في نفس الانتخابات، وحاولت العشيرة إقناعها بالعدول عن ترشيح نفسها لصالح ابنها عوني لكنها رفضت وتمسكت بموقفها.

وهنا تقول: "قمت بإدارة الحملة الانتخابية بجدارة وكنت خلال قيامي بالدعاية الانتخابية لنفسي في السلط والبقعة أنسى نفسي وأقوم بالترويج لابني، لكنني تمسكت به كحق لي، بالفعل نجح ابني وكان أصغر مرشح حينذاك وأنا خسرت المعركة لكنني لست نادمة على هذه التجربة".

وتم تعيينها في عام 1980 كعضو في مجلس أمانة العاصمة، ثم أعيد تعيينها في مجلس الأمانة لسنة 1986، وفي عهد المغفور له بإذن الله جلالة الملك الحسين بن طلال وفي عهد حكومة المرحوم عبدالحميد شرف تم تعيينها عضوًا في المجلس الوطني الاستشاري من 1982 ـ 1984.

وأسست هيفاء البشير جمعية صديقات المستشفى مع عدد من زوجات الأطباء بهدف دعم قطاع التمريض الذي كان حكرًا على العاملات الوافدات وتشجيع عملية الإحلال من بنات البلد، في حين كانت هذه المهنة من المهن غير المقبولة اجتماعيًا لاعتبارات تتعلق بتفاسير خاطئة للشريعة ومفهوم الخلوة بين

الممرضة والطبيب أو المرضى، كما قامت بتأسيس جمعية الآسرة البيضاء لرعاية كبار السن في وقت مبكر، وكان الجميع يعتقد حينها أنه لا حاجة لهذه الخدمة لأن المجتمع متكافل والأسر لا تتخلى عن كبار السن، حيث قامت بجهود جبارة مع الجهات الرسمية والمتبرعين لإنجاز هذه الدار والتي حملت رقم 47 في سجل هيئات العمل التطوعي.

وترأست هيفاء الاتحاد النسائي العام مرات عديدة عن طريق الانتخاب، وشاركت بالعديد من المؤتمرات النسوية بإشراف الأمم المتحدة مثل؛ مؤتمر المكسيك الرسمي 1975، ومؤتمر برلين الشرقية الشعبي 1975، ومؤتمر كوبنهاجن بشقيه الرسمي والشعبي 1980، ومؤتمر نيروبي بشقيه الرسمي والشعبي 1985، ومؤتمر بيجين في الصين 1995.

كما تم تعيينها في عضوية مجلس أمناء آل البيت، وعضوية مجلس الصحة العالمي، وأيضًا لديها العديد من العضويات في عدد من المؤسسات والمنظمات والهيئات المحلية والعربية والدولية، كما التحقت بكلية التمريض بالجامعة الأردنية وحصلت على المركز الأول.

ونالت هيفاء البشير التكريم من عدد من الجهات الرسمية والأهلية المحلية، وكذلك كُرمت على الصعيد الإقليمي والدولي، ولها أيضًا بعض الإصدرات القصصية الممتعة النابعة من الوجدان والموجهة للأطفال والعديد من أوراق العمل والأبحاث المتخصصة في مجالات عدة.